

دلالة السياق القرآني في منهج الاستدلال عند المحقق الخليلي
دراسة تطبيقية على كتاب تمهيد قواعد الإيمان

إعداد

بدرية علي وليد الهنائية

الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا

٢٠٢٤م

دلالة السياق القرآني في منهج الاستدلال عند المحقق الخليلي
دراسة تطبيقية على كتاب تمهيد قواعد الإيمان

إعداد

بدرية علي وليد الهنائية

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في معارف الوحي والتراث

قسم دراسات القرآن والسنة

كلية عبد الحميد أبوسليمان لمعارف الوحي والعلوم الإنسانية

الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا

فبراير ٢٠٢٤ م

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة السياق القرآني وعلاقته بمنهج الاستدلال عند المحقق سعيد بن خلفان الخليلي، وذلك من خلال تحليل كتابه "تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام والأديان". وإبراز أهمية دراسة السياق القرآني في فهم المعاني القرآنية واستخلاص الأحكام منها، والفوائد والضوابط التي يجب مراعاتها في استخدام السياق القرآني كأداة للاستدلال. تتبع البحث منهج المحقق الخليلي في استخلاص علاقة السياق القرآني بفروع علوم القرآن التي وظفها في كتابه مثل: الوقف والابتداء، والناسخ والمنسوخ، والقراءات المتواترة وغير المتواترة، والتعامل مع أسباب النزول. كما ارتكز البحث على استنباط الروابط السياقية في تفسيره لسورة الفاتحة، والأنعام، والحديد، وبعض القصص القرآنية. وفق منهجية وصفية تحليلية، تستند إلى جمع المعلومات والمصادر المتعلقة بالموضوع، وتحليلها وتقييمها واستخلاص النتائج منها. ويخلص البحث إلى أن كتاب التمهيد للمحقق الخليلي، بأجزائه الثلاثة عشر يحوي العديد من الآيات القرآنية التي اتبع فيها منهج السياق القرآني في تفسيرها، وأظهر بذلك مدى تأثير السياق القرآني على فهم القرآن والاستدلال به.

ABSTRACT

This research aims to study the Qur'anic context and its relationship to the method of inference according to the editor (al-muḥaqqiq) Saeed bin Khalfan Al-Khalili, through analyzing his book, Introduction to the Rules of Faith (Tamhīd Qawā'id al-'Imān). Also, the research highlights the importance of investigating the Qur'anic context in understanding the meanings and deriving rulings from them, and the benefits and rules that must be taken into account in using the Qur'anic context as a tool for inference. The research follows the editor Al-Khalili methodology in deriving the relationship of the Qur'anic context to the fields of Qur'anic sciences that he employed in his book, such as stop and start, abrogator and abrogated, frequent and infrequent readings (Mutawātir and Non-Mutawātir), and dealing with the causes for revelation. The research also focused on deducing contextual links in the editor's interpretation of Surat Al-Fātiḥah, Al-An'ām, Al-Ḥadid, and some Quranic stories. All this has been achieved according to the descriptive and analytical methodology based on collecting information and sources related to the subject, analyzing and evaluating them, and extracting results from them. Finally, the research concludes that editor Al-Khalili's book Al-Tamhīd, with its thirteen parts, contains many Qur'anic verses in which he followed the Qur'anic context method in interpreting them, and thus demonstrated the extent of the Qur'anic context's influence on understanding the Qur'an and inferencing from it.

APPROVAL PAGE

The thesis of Badriya Ali Waleed Hinai has been approved by the following:

Radwan Jamal Yousef Elatrash
Supervisor

Nadzrah Ahmad
Co-Supervisor

Noor Mohammad Osmani
Internal Examiner

Khairul Anuar Mohamad
External Examiner

Akram M Z M Khedher
Chairman

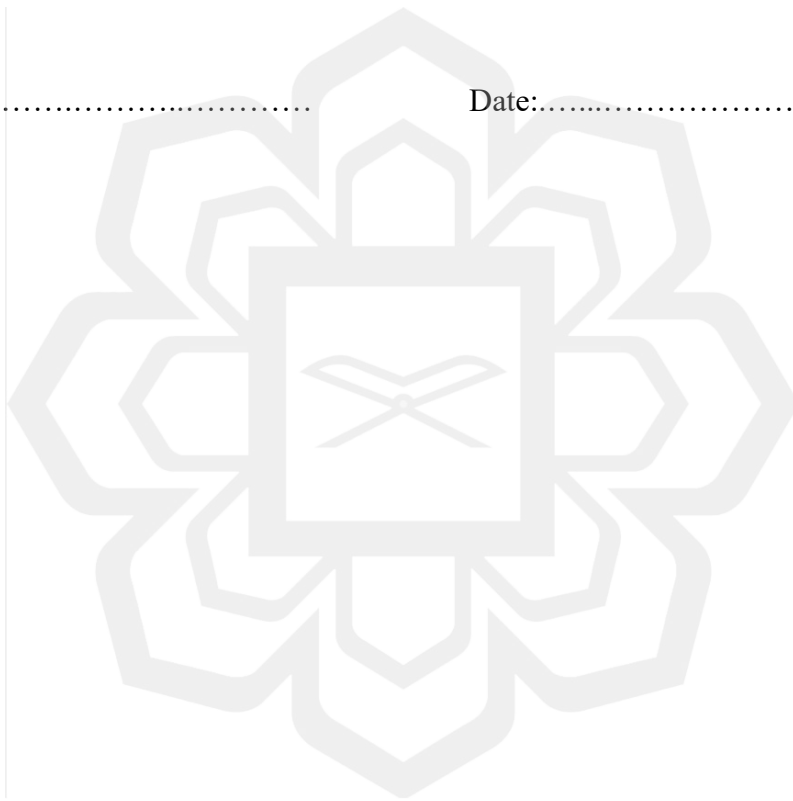
DECLARATION

I hereby declare that this thesis is the result of my own investigations, except where otherwise stated. I also declare that it has not been previously or concurrently submitted as a whole for any other degrees at IIUM or other institutions.

BADRIYA ALI WALEED HINAI

Signature:

Date:.....



إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية استخدام الأبحاث غير المنشورة

حقوق الطبع ٢٠٢٤م محفوظة ل: بدرية علي وليد الهنائية

دلالة السياق القرآني في منهج الاستدلال عند المحقق الخليلي

دراسة تطبيقية على كتاب تمهيد قواعد الإيمان

لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل وبأي صورة (آلية كانت أو إلكترونية أو غيرها) بما في ذلك الاستنساخ أو التسجيل، من دون إذن مكتوب من الباحث إلا في الحالات الآتية:

- ١- يمكن للآخرين اقتباس أية مادة من هذا البحث غير المنشور في كتاباتهم بشرط الاعتراف بفضل صاحب النص المقتبس وتوثيق النص بصورة مناسبة.
- ٢- يكون للجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ومكتبتها حق الاستنساخ (بشكل الطبع أو بصورة آلية) لأغراض مؤسسية وتعليمية، ولكن ليس لأغراض البيع العام.
- ٣- يكون لمكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا حق استخراج نسخ من هذا البحث غير المنشور إذا طلبتها مكتبات الجامعات ومراكز البحوث الأخرى.

أكد هذا الإقرار: بدرية علي وليد الهنائية

التوقيع: التاريخ:

التوقيع:

أهدي هذا البحث إلى روح المحقق العلامة سعيد بن خلفان الخليلي رحمه الله تعالى، وفاءً للإرث العلمي الغني الذي خلفه للأمة.

وإلى والديَّ العزيزين، الذين ربَّاني على حب العلم والدين، وسانداني في كل خطوة من خطوات حياتي، ودعوا لي بالتوفيق والسداد، فجزاهما الله خير الجزاء في الدارين.

وإلى مشايخي وأساتذتي الذين كان لهم الفضل في إتمام هذا العمل، بارك الرحمن في وقتهم وجهدهم.

وإلى طلاب العلم كافة وطلاب القرآن الكريم خاصة، الذين يسعون إلى اكتساب العلم الشرعي والتقرب إلى كتاب الله تعالى بالتدبر والتفهم والعمل، والذين يحملون لواء التجديد والإصلاح في زمان الفتن والشبهات.

الشكر والتقدير

أحمد الله تعالى على تمام نعمه ودوام منه، وسعة فضله؛ فله الحمد والثناء، والعزة والكبرياء، في المبدأ والانتهاء، ثم إني أشكر كل إخواني الأعزاء الذي كان لهم الفضل في التشجيع والمساندة ومد يد العون لإخراج هذا العمل بهذه الحلة القشبية، كل التقدير لكل من أسهم في هذا العمل إرشادًا وتوجيهًا ومتابعة وتصحيحًا، كما لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل، وحسن الثناء والتقدير لفضيلة الشيخ الدكتور رضوان الأطرش على جهوده المخلصة ومتابعته المستمرة، فكان نعم العون والسند أدامه الله معينًا وسندًا لطلبة العلم، وألبسه لبوس الصحة والعافية، وأتقدم بالشكر والامتنان للأستاذ الشيخ خالد بن عبدالله الخروصي، على توجيهاته السديدة، ومعاونته الثمينة في الوصول لاحتياجات البحث. والشكر العاطر للشيخ وليد القري، والشيخ محمد الذهلي، من مكتب الإفتاء على سعة صدورهم في الإجابة على الأسئلة وحسن التوضيح، كما أتقدم بالشكر والتقدير للإخوة العاملين في مكتبة الجامعة العالمية الإسلامية بماليزيا والأخوة العاملين في مكتبة جامعة السلطان قابوس على التسهيلات في الحصول على العلم والمعرفة. سائلة المولى عز وجل أن يتقبل منهم جميعًا خالص أعمالهم.

فهرس محتويات البحث

ب.....	ملخص البحث
ج.....	ملخص البحث بالإنجليزية
د.....	صفحة القبول
ه.....	صفحة التصريح
و.....	صفحة الإقرار
ز.....	الإهداء
ح.....	الشكر والتقدير
ط.....	فهرس محتويات البحث
١	الفصل الأول: خطة البحث وهيكله العام
١	المقدمة
٤	مشكلة البحث
٥	أسئلة البحث
٥	أهداف البحث
٥	أهمية البحث
٦	حدود البحث
٦	منهجية البحث
٧	الدراسات السابقة

الفصل الثاني: تعريف دلالة السياق القرآني وأنواعها وحجيتها وخصوصيتها وفوائدها	
وضوابطها وأسباب البعد عنها وتطبيقاتها عند المحقق الخليلي	١٤
المبحث الأول: تعريف الدلالة لغة واصطلاحاً وأنواعها وتطبيقاتها القرآنية عند المحقق الخليلي	١٤
المطلب الأول: تعريف الدلالة في اللغة واصطلاحاً	١٦
المطلب الثاني: تقسيمات الدلالة عند العلماء وتطبيقاتها عند المحقق الخليلي	١٧
المبحث الثاني: تعريف السياق القرآني لغة واصطلاحاً وخصوصية دلالة السياق القرآني وضوابطه	٢٧
المطلب الأول: القرآن لغة واصطلاحاً	٢٧
المطلب الثاني: السياق لغة واصطلاحاً	٢٨
المطلب الثالث: حجية دلالة السياق القرآني	٣٣
المطلب الرابع: خصوصية الدلالة في السياق القرآني	٣٨
المطلب الخامس: ضوابط اعتبار دلالة السياق القرآني	٤٣
المبحث الثالث: أنواع السياق القرآني وأهميته فهم الآيات القرآنية	٥٠
المطلب الأول: أنواع السياق القرآني الداخلي والخارجي	٥٠
المطلب الثاني: أنواع السياق القرآني الخارجي	٥٤
المطلب الثالث: أهمية السياق القرآني في فهم الآيات	٥٩
المبحث الرابع: فوائد السياق القرآني وأسباب البعد عن السياق	٦٦
المطلب الأول: فوائد السياق القرآني	٦٦
المطلب الثاني: أسباب البعد عن السياق	٧١
المطلب الثالث: تطبيقات سياقية اعترض فيها المحقق الخليلي على شيخه لبعده عن السياق	٧٤

الفصل الثالث: نسب المحقق الخليلي ونشأته وآثاره العلمية وأبرز ملامح مدرسته

الخليلية ومنهجها	٧٨
المبحث الأول: نسبه ونشأته وشيوخه وتلاميذه وأخلاقه	٧٨
المطلب الأول: اسمه ونسبه ونشأته	٧٨
المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه	٨٠
المطلب الثالث: أخلاقه وصفاته:	٨٥
المطلب الرابع: وفاته	٨٨
المبحث الثاني: آثار المحقق الخليلي العلمية وثناء العلماء عليه والتعريف بكتابه تمهيد	
قواعد الإيمان	٩٠
المطلب الأول: آثاره العلمية	٩٠
المطلب الثاني: ثناء العلماء عليه	٩٨
المطلب الثالث: التعريف بكتاب تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد ومسائل الأحكام	
وجامعه	١٠١
المبحث الثالث: مدرسة المحقق الخليلي وأبرز ملامحها	١٠٦
المطلب الأول: التعريف بالمدرسة ومنهجها	١٠٦
المطلب الثاني: موقف المحقق الخليلي من مدرسة أهل الرأي والحديث	١٠٧
المطلب الثالث: الأفكار والتوجهات لمدرسة المحقق الخليلي	١١٢
المطلب الرابع: الأثر الاجتماعي لمدرسة المحقق الخليلي على الصعيد الديني والسياسي	
.....	١١٧
المبحث الرابع: المنهج الاستدلالي للمحقق سعيد بن خلفان الخليلي	١٢٠
المطلب الأول: منهجه الأصولي الفقهي	١٢٠
المطلب الثاني: منهج المحقق الخليلي في الاستدلال بالقرآن	١٢٣
المطلب الثالث: منهج المحقق الخليلي في الإفتاء	١٣٠
المطلب الرابع: منهج المحقق الخليلي في أدب السلوك إلى الله	١٣٢

الفصل الرابع: علوم القرآن عند المحقق الخليلي وعلاقتها بالسياق القرآني في

استدلالاته	١٣٥
المبحث الأول: التجويد عند المحقق الخليلي وعلاقته بالسياق في استدلالاته	١٣٥
المطلب الأول: أهمية تعلم التجويد عند المحقق الخليلي	١٣٧
المطلب الثاني: التجويد وأثره في الدلالة السياقية	١٤٠
المبحث الثاني: القراءات عند المحقق الخليلي وعلاقتها بالسياق في استدلالاته	١٥٣
المطلب الأول: الأحرف السبعة وصلتها بالقراءات:	١٥٣
المطلب الثاني: التعريف بالقراءة الشاذة وحكمها	١٥٥
المطلب الثاني: فوائد القراءة الشاذة:	١٥٨
المطلب الثالث: تطبيقات المحقق الخليلي في الحكم على القراءات الشاذة بالسياق ١٥٩	
المبحث الثالث: الناسخ والمنسوخ عند المحقق الخليلي وعلاقته بالسياق القرآني في	
استدلالاته	١٦٣
المطلب الأول: معنى النسخ في القرآن لغة واصطلاحاً	١٦٤
المطلب الثاني: أنواع النسخ في القرآن الكريم	١٦٦
المبحث الرابع: أسباب النزول عند المحقق الخليلي وعلاقته بالسياق في استدلالاته ...	١٧٢
المطلب الأول: تعريف سبب النزول وصيغه وأهميته	١٧٣
المطلب الثاني: أثر السياق القرآني على أسباب النزول	١٧٧
المطلب الثالث: تطبيقات على إعمال المحقق الخليلي للسياق في بيان أسباب النزول	
.....	١٨٠

الفصل الخامس: نماذج تطبيقية على دلالة السياق القرآني في التفسير عند المحقق

الخليلي	١٨٦
المبحث الأول: دلالة السياق القرآني في تفسير الفاتحة عند المحقق الخليلي	١٨٦
المطلب الأول: تعريف التفسير لغة واصطلاحاً	١٨٦
المطلب الثاني: السياق الكلي لسورة الفاتحة عند المحقق الخليلي	١٨٨

المطلب الثالث: السياق القرآني في مقطع آيات الربوبية لسورة الفاتحة عند المحقق الخليلي	١٨٩
المطلب الرابع: السياق القرآني في مقطع آيات طلب الهداية من سورة الفاتحة عند المحقق الخليلي	١٩٣
المبحث الثاني: دلالة السياق القرآني في استحضار مشهد من يوم القيامة في سورة الحديد عند المحقق الخليلي	١٩٧
المطلب الأول: مرحلة مسير أصحاب النور وأصحاب الظلمة يوم القيام	١٩٨
المطلب الثاني: مرحلة البشرى وضرب السور والمحاورة بين الفريقين:	٢٠٤
المطلب الثالث: مرحلة الجزاء من جنس العمل والمناداة الأخيرة:	٢٠٧
المبحث الثالث: دلالة السياق القرآني في تخصيص عموم آية التحريم في سورة الأنعام عند المحقق الخليلي	٢١٠
المطلب الأول: تعريف تخصيص العموم وأقسامه:	٢١٠
المطلب الثاني: السياق الكلي العام لسورة الأنعام	٢١٣
المطلب الثالث: الغرض من سياق آية التحريم في سورة الأنعام:	٢١٥
المطلب الرابع: السياق الداخلي لآية التحريم وأقوال العلماء فيها	٢١٧
المطلب الخامس: إعمال المحقق الخليلي للسياق الخارجي في آية التحريم بسورة الأنعام:	٢٢١
المبحث الرابع: دلالة السياق القرآني في آية محاججة إبراهيم عليه السلام قومه في سورة الأنعام عند المحقق الخليلي	٢٢٨
المطلب الأول: سياق آية محاججة إبراهيم عليه السلام أبيه وقومه	٢٢٨
المطلب الثاني: سياق آية محاججة إبراهيم أبيه وقومه في سورة الأنعام	٢٣٠
المبحث الخامس: دلالة السياق القرآني في آية مسألة فرعون عن رب العالمين في سورة الشعراء عند المحقق الخليلي	٢٣٨
المطلب الأول: المحور الكلي لسورة الشعراء	٢٣٨
المطلب الثاني: العدول في سياق آية مسألة فرعون عند المحقق الخليلي	٢٤٠

المطلب الثالث: أثر السياق المقاصدي لجواب موسى عليه السلام ٢٤١

الخاتمة ٢٤٣

أولاً: النتائج ٢٤٣

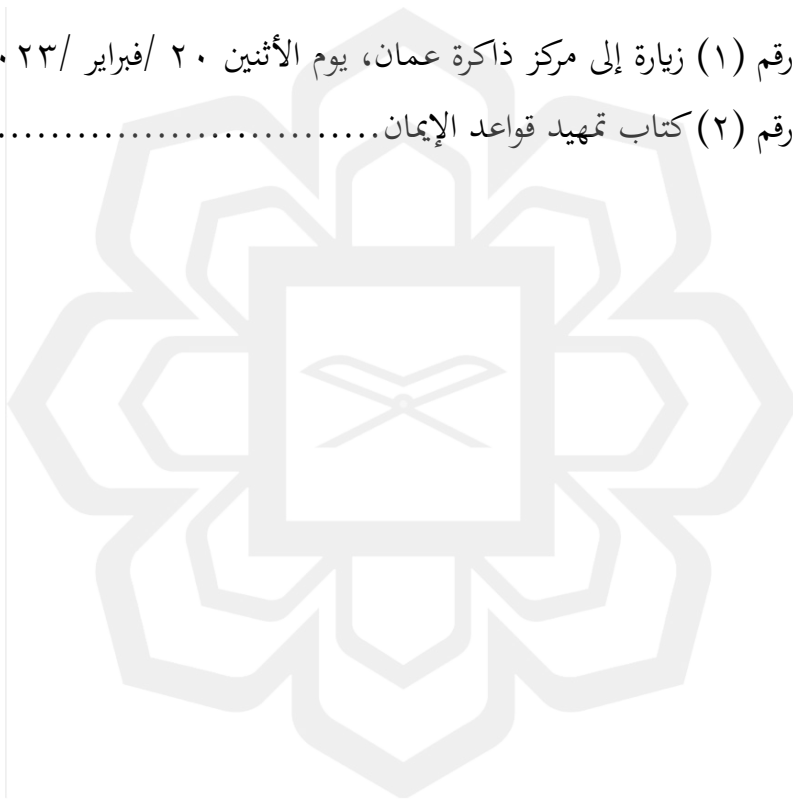
ثانياً: التوصيات العملية للبحث: ٢٤٦

قائمة المصادر والمراجع ٢٤٨

الملاحق ٢٨٠

ملحق رقم (١) زيارة إلى مركز ذاكرة عمان، يوم الاثنين ٢٠ / فبراير / ٢٠٢٣ م ٢٨٠

ملحق رقم (٢) كتاب تمهيد قواعد الإيمان ٢٨٧



الفصل الأول

خطة البحث وهيكله العام

المقدمة

الحمد لله الذي فاقت آلاؤه عن الإحصاء، وعظمت نعمه عن الجزاء، وتفضل على عباده بالنعم، لا يريد منهم سوى شكرها، ليتفضل عليهم بالمزيد منها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧] نحمده حمداً يليق بجلاله وعظمته، أنزل خير كتبه، وأرسل إلينا أفضل رسله، وجعلنا خير أمة أخرجت للناس، من غير حول لنا ولا قوة، فله الحمد حتى يرضى، وله الحمد بعد الرضا والصلاة والسلام على عبدالله ورسوله، وصفيه من خلقه، خير الأولين والآخرين، وإمام المجاهدين المتقين، وقائد الغر المحجلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد!

فإننا حين نتعامل مع النص القرآني، نجده نصاً له خصوصيته، وسماته المعينة التي تجعله مختلفاً عن بقية النصوص، كونه كلام الله تعالى المنزل على نبيه محمد ﷺ المتعبد بتلاوته كما صرح به أكثر علماء علوم القرآن، وكونه المصدر الأول للعقيدة والأحكام التشريعية، وهو بهذه الاعتبارات تم له الجلال والتقديس اللذين لم يكونا لأي نص آخر عند المسلمين، لكن هذا الجلال والتقديس للقرآن الكريم لم يكن ليقف حائلاً من دون دراسته بأشكال وأغراض ومناهج مختلفة، فدرس لغوياً وبلاغياً وإقرائياً وأدائياً وفقهاً وتفسيراً، كل هذه الأشكال من التعامل مع القرآن الكريم كانت باعتباره مقدساً ومعجزاً ومصدراً للتشريع، مع وجود الضابط في الدراسة العلمية. ومن الدراسات في الحقل القرآني، دراسة الدليل القرآني الذي يُستشهد به من القرآن الكريم على واقعة معينة، والدليل كما عرفه الأصوليون: "هو ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى العلم بمطلوب خبري، أو ما يتخذ حجة على أن المبحوث عنه حكم شرعي"، وعليه

١ محمد نبيل العمري، "الأدلة القرآنية: أنواعها، ميزاتها، خصائصها"، الأردن: مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد ٢٧، العدد ٢، (٢٠٠٠م)، ص ٤٨٣.

فالدليل القرآني هو الحجة القرآنية المستشهد بها على حكم شرعي، على أن هذا الاستشهاد لم يأت عبثاً، بل وفق ضوابط وأسس مبنية على فهم كتاب الله تعالى مقالاً وحالاً، والتي يطلق عليها السياق القرآني، فالسياق القرآني هو: "ما يحيط بالنص من عوامل داخلية أو خارجية، لها أثر في فهمه، من سابق أو لاحق به، أو حال من حال المخاطب، والمخاطب، والغرض الذي سيق له، والجو الذي نزل فيه"^٢.

فكما أن السياق أصل من أصول التفسير، فهو أيضاً أصل من أصول الاستدلال القرآني في الفقه. حيث كان ديدن الفقهاء في الصدر الأول للإسلام أن يأتوا بالمسائل مقرونة بالدليل، غير أنه سرعان ما اختصر ذلك المنهج، إلى منهج سرد المسائل الفقهية مفرغة من الدليل، حتى أصبح الفقه بين عامة الناس هو الفقه المجرد من الدليل، إلى أن جاء القرن الرابع وما بعده، وبدأت تدب نفضة الدليل من جديد. إلا أن مناهج العلماء في الاستدلال تباينت، لذلك كان معرفة مناهج هؤلاء العلماء من الأهمية بمكان، ومن هؤلاء العلماء الذين اشتهروا في القطر العماني في تحقيق المسائل، المحقق الخليلي سعيد بن خلفان الخليلي^٣، فقد اشتهرت حياة المحقق الخليلي بوفرة الإنتاج العلمي، في مختلف علوم اللغة والشريعة، حيث بدأ حياة التأليف منذ عمر مبكر، فألف أول مادة له، وهي ألفية في علم الصرف وهو لم يتجاوز سن السادسة عشرة من عمره بعد، وقضى عمره وهو يؤلف ويدون ويحقق في مختلف الفنون، مع الظروف والملابسات المتغيرة التي عاصرها في زمنه، وحاجة الناس إلى الأحكام والفتاوى في النوازل والمحدثات، وقيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتدريس الطلبة، وإقامة الدولة، فمن الطبيعي أن تتعدد مؤلفاته ومسائله.

^٢ سعيد بن محمد بن سعيد الشهري، السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة دراسة نظرية تطبيقية، (الرياض: كرسى القرآن الكريم وعلومه بجامعة الملك سعود، ط ١، ١٤٣٦هـ)، ص ٢٢.

^٣ هو سعيد بن خلفان بن أحمد بن صالح بن أحمد بن عامر بن ناصر بن عامر بن بو سالم بن أحمد، من نسل الخليل بن عبدالله بن عمر بن محمد ابن الإمام الخليل بن شاذان بن الإمام الصلت بن مالك بن بلعرب الخروصي، وسمي بالخليلي نسبة إلى الخليل بن شاذان. ويكنى أبو محمد ويلقب ب المحقق لشهرته بتحقيق المسائل وتأصيلها، واقتراحها بالأدلة. ولد ببلدة بوشعرام ١٢٣١هـ. انظر: سعيد بن خلفان الخليلي، إغاثة الملهوف بالسيف المذكر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحقيق: صالح بن سليم بن صالح الرنجي، (الأردن: جامعة آل البيت، رسالة ماجستير، د.ط، د.ت)، ص ٤٠.

وقد اخترت تتبع منهجه الاستدلالي في الأدلة القرآنية فحسب؛ كي لا يتفرع البحث في الأدلة الأخرى، واقتصره على فرع الدليل القرآني يزيده عمقاً وتركيزاً، إذ أن كتابه محل التطبيق يقع في اثني عشر جزءاً، وهو أحد أوسع مؤلفاته، فحري بطلبة علوم القرآن الوقوف عليه لمعرفة منهجه الاستدلالي بالدليل القرآني وعلاقة هذا الدليل بالسياق القرآني بأنواعه الأربعة (سياق القرآن، وسياق السورة، وسياق المقطع أو الآيات، وسياق الآية). ومن أمثلة تعامل المحقق الخليلي مع السياق في الاستدلال استدلاله بآية البر في مسألة الصيام في السفر الواردة في حديث "ليس من البر الصيام في السفر"^٤ فقد ذكر وجهين:

الوجه الأول: أن المراد بالبر هنا ليس البر الكامل أو البر الذي ينبغي العناية به. وقد استدل على ذلك بآية ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ١٧٧] وهذا الذي قاله مذكور في شروح كتب الحديث وهو مروي عن الإمام الشافعي في أحد القولين فقد ذكر احتمال أن يكون المراد من الحديث الشريف (ليس من البر الكامل الصيام في السفر) وهذا الذي نص عليه العلامة الطحاوي^٥.

الوجه الثاني: أن الحديث وإن كان عاماً فهو خاص كما تأتي الأدلة العامة ويقصد بهذا الخصوص أحياناً، وذلك بأن يحمل على ما إذا تعب المسافر وشق عليه الصيام، وهذا الوجه الأخير الذي ذكره هو الذي يعتضد بما رواه الإمام البخاري وغيره، وأيضاً ذهب إليه العلامة ابن دقيق العيد فيما حكاه عنه الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري، وذلك أنه قال: "وينبغي أن يتنبه للفرق بين دلالة السبب والسياق والقرائن على تخصيص العام وعلى مراد المتكلم وبين مجرد ورود العام على سبب التخصيص، فإن بين العامين فرقاً واضحاً، ومن أجراها

^٤ أخرجه محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معبد، صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ج ٨، ص ٣٢٢، كتاب الصوم، باب صوم المسافر، الرقم ٣٥٥٤.

^٥ هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي، ولد عام ٢٣٩هـ وتوفي عام ٣٢١هـ. محدث الديار المصرية، نشأ في قرية طحا في المنيا بصعيد مصر، كان أول شيخ له خاله المزني أحد تلاميذ الإمام الشافعي، تفقه على مذهب الشافعي، ثم تحول حنفياً. انظر: عبد القادر بن محمد القرشي، الحاوي في بيان آثار الطحاوي، تحقيق: السيد يوسف أحمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ط، ١٩٩٩م)، ج ١، ص ٦.

مجرى واحد لم يصب، فإن مجرد ورود العام على سبب لا يقتضي التخصيص به. وأما السياق والقرائن الدالة على مراد المتكلم فهي المرشدة لبيان المجملات وتعيين المحتملات^٦.

مشكلة البحث

يعد مجال علوم القرآن مجالاً واسعاً فقد كتب فيه كثير من الباحثين، وقد برز من هؤلاء العلماء المختصين المحقق سعيد بن خلفان الخليلي، وعلى الرغم من اهتمام المحقق سعيد بن خلفان الخليلي في كتابه تمهيد قواعد الإيمان بمباحث علوم القرآن إلا أن هذا الجهد في علوم القرآن لم يجد العناية والاهتمام بشكل كاف من قبل الباحثين والدارسين. فالحديث عن علوم القرآن عند المحقق الخليلي قل فيها الدلائل خصوصاً ما جاء في دلالة السياق القرآني عند المحقق الخليلي، رغم أن كتابه يعد من الكتب التي نالت حظاً وافراً من اهتمامه، ومع ذلك لم يسبق أن تناوله أحد بدراسة مستقلة. ولقد أثبت الدكتور رضوان جمال الأطرش ما لدراسة السياق القرآني من دور في فهم الآيات وتفسيرها^٧.

لذلك ارتأى البحث دراسة منهجيته الاستدلالية وعلاقتها بالسياق دراسة تطبيقية على نماذج قرآنية لكشف ما خفي من جوانب في منهجيته الاستدلالية بالسياق القرآني. وأكد على هذا الباحث سليمان العبري على هذا في بحثه (سعيد بن خلفان الخليلي وآراؤه في علوم القرآن الكريم)^٨، كما لا يخفى على كل ذي بصيرة ما للسياق القرآني من الميزات الكثيرة، التي يجب أن يُعنى بالبحث والتمحيص عنها، لما فيها من الخير العميم، والفائدة الكبيرة في تنقية وغرلة الآراء الصحيحة من السقيمة.

^٦ محمد علي الصلابي، قرارات في فكر الخليلي، (سلطنة عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م).

^٧ رضوان جمال الأطرش، كلمات في مبادئ علمي التفسير التحليلي والموضوعي، (كوالالمبور: دار المشرق الدولية للكتاب، ط١، ٢٠٢٢م)، ص ١٧٦.

^٨ انظر: سليمان بن سعيد العبري، سعيد بن خلفان الخليلي وآراؤه في علوم القرآن الكريم. (رسالة ماجستير غير منشورة، السودان: جامعة أم درمان، ٢٠١٠م)، ص ١٧٣.

أسئلة البحث

بناءً على مشكلة البحث المذكورة أعلاه ستقوم الباحثة بالجواب عن الأسئلة الآتية:

١. ما المقصود بدلالة السياق القرآني؟ وماهي أنواعها وفوائدها وحجيتها وخصوصيتها وضوابطها وأسباب البعد عنها؟ وما مدى تطبيقها عند المحقق الخليلي؟
٢. من المحقق الخليلي؟ وما آثاره العلمية؟ وما كتابه تمهيد قواعد الإيمان؟ وما منهجه الاستدلالي فيه؟
٣. ماهي مباحث علوم القرآن عند المحقق الخليلي؟ وما علاقتها بدلالة السياق القرآني في استدلالاته؟
٤. ما هي النماذج التطبيقية على دلالة السياق القرآني في التفسير عند المحقق الخليلي؟

أهداف البحث

ونظراً لأسئلة البحث السابقة، يروم هذا البحث تحقيق الأهداف الآتية:

١. توضيح مفهوم دلالة السياق القرآني، وأنواعها وفوائدها وحجيتها وخصوصيتها وضوابطها وأسباب البعد عنها، وتطبيقاتها عند المحقق الخليلي.
٢. التعريف بالمحقق الخليلي، وآثاره العلمية، وكتابته تمهيد قواعد الإيمان، ومنهجه الاستدلالي فيه.
٣. بيان ودراسة مباحث علوم القرآن عند المحقق الخليلي، وعلاقتها بدلالة السياق القرآني في استدلالاته.
٤. جمع وتحليل النماذج التطبيقية على دلالة السياق القرآني في التفسير عند المحقق الخليلي.

أهمية البحث

تكمن أهمية هذه الدراسة من خلال الآتي:

١. أنها تعود بالنفع على طلاب العلم بالاستفادة من مناهج العلماء في الاستشهاد بالدليل القرآني، وخصوصاً منهج المحقق الخليلي.
٢. المزوجة بين علوم القرآن والعلوم الشرعية الأخرى مثل أصول الفقه وبيان علاقة ذلك بدلالة السياق القرآني.
٣. تكوين قدرة علمية لدى الباحثين وطلاب الدراسات العليا على ربط الأحكام بأدلتها القرآنية، وتنمية الملكة الفقهية والكشف عن دلالة السياق في التفسير.
٤. خدمةً للمكتبة الإسلامية بإحياء الموروث والتنقيب فيه وإبراز معالمه وأسس.

حدود البحث

- تشمل هذه الدراسة حدين يوضحان معالم سيرها، ولا تخرج عنهما؛ لتزيد البحث عمقاً، ووضوحاً كالآتي:
- أولاً: الاقتصار على الأدلة القرآنية فقط دون بقية الأدلة الشرعية الواردة في كتاب تمهيد قواعد الإيمان.
- ثانياً: الاقتصار في النماذج التطبيقية على مباحث علوم القرآن والتفسير فيما ورد فيها دليلاً قرآنياً.

منهجية البحث

ستعتمد الدراسة المناهج التالية لتحقيق أهدافها:

١. **المنهج الاستقرائي:** ستتبعه الباحثة لتجميع المعلومات المتعلقة بدلالة السياق القرآني وعلاقته بمنهج الاستدلال، الموجودة في مختلف الوسائل المكتوبة والمسموعة.
٢. **المنهج التحليلي:** حيث تعمل الباحثة على تتبع العلاقة بين مصطلحات البحث، ومن ثم دراستها وتفسيرها ومناقشتها وتحليلها وترتيبها ومقارنتها بغيرها، واستنباط ما يناسب من أحكام، وتطبيق النظرية السياقية القرآنية على الآيات

المبثوثة في كتاب تمهيد قواعد الإيمان، وتتبع توافقها مع الدراسات التأصيلية ومنهجية النظر في كتاب الله تعالى.

الدراسات السابقة

لم تجد الباحثة -حسب ما وقع بين يديها من مصادر- دراسة استوعبت البحث في دلالة السياق القرآني في منهج الاستدلال عند المحقق الخليلي، وعالجت المشكلة المطروحة بالطريقة ذاتها..

وحاصل ما تم التوصل إليه دراسات عالجت إحدى جانبي الدراسة من حيث المنهج الاستدلالي بالقرآن الكريم والسياق القرآني، ومن تلك الدراسات:

الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق^٩، للدكتورة خلود العُموش. حيث طبقت دراستها على سورة البقرة، تطرقت الباحثة في الفصل الأول لنظرية العلاقة بين النص والسياق في المساهمات الغربية والمساهمات العربية، ثم في الفصل الثاني درست العلاقة بين النص والسياق في ميدان علوم القرآن، وأصول الفقه، وعلوم التفسير، والفصل الثالث تطبيقاً على سورة البقرة من حيث موضوع الخطاب، وعنوان النص، والنص والمتلقي الأول، والنص والمخاطبون، عن الخطاب القرآني بين حدود النص وآفاق السياق. تلتقي الدراسة الحالية مع هذه الدراسة، في إيجاد العلاقة بين السياق والدليل القرآني خاصة في علمي علوم القرآن وأصول الفقه إلا أن الدراسة الحالية تأخذها من زاوية منهج الاستدلال بالدليل القرآني وعلاقته بالنص، في حين أخذتها الأخرى من جوانب مختلفة، فكان بين الدراستين اختلاف في الإطار والهدف والطرح، كما اختلفتا في الإطار التطبيقي.

نظرية السياق القرآني^{١٠}، دراسة تأصيلية دلالية نقدية، للمثنى عبد الفتاح محمود.

تناولت

^٩ خلود العُموش، الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، (عمان: جدارا للكتاب العالمي، ط ١، ٢٠٠٨م).

^{١٠} المثنى عبد الفتاح محمود، نظرية السياق القرآني دراسة تأصيلية دلالية نقدية، (عمان: دار وائل للنشر، ط ١، ٢٠٠٨م).

هذه الدراسة مقدمات أساسية في نظرية السياق القرآني من حيث: مفهومه، والفرق بينه وبين النظم، وعلاقته بكل من ترتيب الآيات والصور وعلم المناسبات والتفسير الموضوعي، وخصائص السياق القرآني. ثم تطرق الباحث لمحاول السياق القرآني، فكان المحور الأول عن أنواع السياق القرآني، والمحور الثاني ضوابط السياق، بينما المحور الثالث والرابع عن فوائد السياق القرآني والأسباب الصارفة عن الأخذ به. ختم الباحث بحثه بدراسة تطبيقية على سورة فاطر. يتضح من رسالة المثني اختلافها عن الرسالة الحالية من حيث الجانب التطبيقي وإيجاد العلاقة بين النص القرآني وسياقه.

السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة^{١١}، للباحث سعيد بن محمد الشهراني. وأصل هذا الكتاب رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة. حوت هذه الدراسة باين، الباب الأول دراسة نظرية للسياق القرآني، ضم ثلاثة فصول: الفصل الأول تعريف السياق القرآني واهتمام العلماء به، ثم التعريف بالمدرسة العقلية في التفسير في الفصل الثاني، وختم الباب بفصل يحوي قواعد السياق القرآني، ومرادفات السياق في تفسير المدرسة العقلية، أما الدراسة التطبيقية فقد ضمت أربعة فصول تطبيقية في أثر السياق في مسائل الاعتقاد، وفي كشف المعاني وبيان المراد، ثم أثره في علوم القرآن، وختمه بفصل عن أثره في الأحكام الفقهية. تختلف دراستنا الحالية عن هذه الدراسة من حيث الجانب التطبيقي ومحل التطبيق. ركز الباحث هنا على المدرسة العقلية وأقوالهم بينما دراستنا تنصب على كتاب تمهيد قواعد الإيمان للمحقق الخليلي، كما أن النماذج القرآنية المتناولة بالدراستين مختلفتين.

الخطاب القرآني بين إشكالية الفهم ودلالة النص^{١٢}، للباحث أيوب جرجيس العطية. تناولت هذه الدراسة بحث العلاقة بين إشكالية الفهم ودلالة النص في ضوء الخطاب القرآني، حيث تكونت من ثلاثة فصول، الفصل الأول فيه آيات حُرِفَتْ دلالتها لاقتطاعها من سياق النص، ضرب فيها بعشرة أمثلة تطبيقية من القرآن الكريم في المبحث الأول على آيات تتعلق

^{١١} سعيد بن محمد بن سعيد الشهراني، السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة دراسة نظرية تطبيقية، (الرياض: كرسي القرآن الكريم وعلومه بجامعة الملك سعود، ط ١، ١٤٣٦هـ).

^{١٢} أيوب جرجيس العطية، الخطاب القرآني بين إشكالية الفهم ودلالة النص، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

بالعمل والدعوة والأمر بالمعروف اقتطعت من سياقها. وفي المبحث الثاني بتسع آيات تعلق ببعض الأحكام الشرعية، وفي المبحث الثالث آيات تتحدث عن أهل الكتاب، ثم ختم الفصل بآيات تتعلق بالأنبياء عليهم السلام، ومبحث يتعلق بالكتاب (القرآن) اقتطعت من سياقها. وقد اتفقت دراستنا مع هذه الدراسة في هذا الفصل، إذ أننا نسلط الضوء على الأدلة القرآنية ونبحث في علاقتها بالسياق من حيث الاقتطاع وعدمه، بينما الفصل الثاني والثالث يتحدثان عن آيات أشكل فهمها بسبب المشترك اللفظي والسبب البلاغي والنحوي وهي لا تلامس كثيراً موضوع هذه الرسالة.

قراءات في فكر الخليلي^{١٣}، كتاب من إصدار المنتدى الأدبي بسلطنة عمان، يضم بين دفتيه سبع قراءات للمحقق الخليلي، وهي نتاج ندوة أقيمت احتفاءً به ١٩٩١ م. كانت القراءة الأولى لسماحة الشيخ أحمد الخليلي مفتي عام السلطنة، بعنوان: المحقق الخليلي فقيهاً ومحققاً، تحدث فيها عن تراث المحقق الخليلي، وباعه الطويل في علوم اللغة والشريعة، ومؤلفاته التي كانت في باكورة حياته، واطلاعه الواسع حتى على مؤلفات النصارى الفرنسيين المترجمة وضرب أمثلة على ذلك. ومما يلامس هذه الرسالة في قراءة سماحة الشيخ ضربه بعض الأمثلة في الفقه التي استدلت بها المحقق الخليلي معتمداً على السياق القرآني في الصيام، كما تتطرق لمسائل في القراءات القرآنية والوقف. بينما القراءات الأخرى فهي تخص البلاغة والشعر وعلم العروض والقوافي للمحقق الخليلي فهي لا تمس هذه الرسالة.

تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد ومسائل الأحكام والأديان، للمحقق سعيد بن خلفان الخليلي^{١٤}، تحقيق حارث بن محمد بن شامس البطاشي، وهو اثنا عشر جزءاً، حوى التعريف بالمؤلف، ومكانته وآثاره العلمية، والتعريف بالكتاب الذي هو مجال تطبيق الرسالة الحالية، والتحقق من نسبته إليه، ومخطوطاته، وبه مسائل كثيرة في تفسير الآيات، وفقه العبادات، وفقه المعاملات، وفقه الأسرة، وفقه العقوبات، وهذه تمس بحثنا في الجانب التطبيقي فيما ورد فيها دليلاً قرآنياً، كما يحوي الكتاب أبواباً أخرى من المسائل لا تتعلق بموضوع البحث.

^{١٣} محمد علي الصليبي، قراءات في فكر الخليلي، (سلطنة عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤ م).

^{١٤} المحقق سعيد بن خلفان الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد ومسائل الأحكام والأديان، (القاهرة: دار الهلال العالمية، ط ١، ١٤٣١/ ٢٠١٠ م).

أثر السياق الثقافي في فهم النص القرآني في تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن

للقنوجي ١٣٠٧هـ^{١٥}، وهي مقالة محكمة لكل من بشير سالم فرج ومحمد عبد الجبار عبد الله الكريدي، تناولوا فيه أثر السياق الثقافي في فهم النص القرآني، وطبقاً ذلك في تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي ١٣٠٧هـ، حيث هدف البحث إظهار أثر السياق الثقافي في المحيط الاجتماعي للعصر الجاهلي المتمثل في (العادات والتقاليد والأعراف) السائدة في ذلك العصر، ومعرفة ما يقوم به من دور مقام السياق العام في بيان المعنى؛ لأن (السياق الثقافي) أحد أنواع السياق غير اللغوي أو ما يسمى بالسياق الخارجي. كما أكد المقال على أن القرآن الكريم يعد أهم المصادر وأوثقها في دراسة ثقافة العرب في الجاهلية، وأن اللغة ظاهرة اجتماعية تستلزم ملاحظة السياق بنوعيه، اللفظي والمقامي، من أجل الوقوف على طبيعة الدلالة للنص. كما بين المقال قوة ارتباط السياق الثقافي بالمحيط الاجتماعي من خلال الوقوف على عادات وتقاليد وأعراف العرب في الجاهلية، وأنه لا يمكن فصل اللغة عن الثقافة؛ لأن الثقافة هي لغة لأي عصر كان، ففهم أي لغة يرتبط بالعادات والتقاليد والأعراف التي كانت قائمة في زمانها ومكانها، ولو أردنا أن نفصل اللغة عن زمانها وعن حياة الجماعة المرتبطة بهذه العناصر فإنها سوف تفقد معناها، ولا يمكن الوصول إلى دلالة المعاني والألفاظ لذلك العصر، إلا بالإحاطة بثقافة ذلك العصر ومعرفتها والوقوف على أحداثها الكلامية، والتي كانت سائدة في عصر النزول؛ كي نفهم النص القرآني فهماً جيداً، فقد ساعد السياق الثقافي بشكل واضح في فهم دلالة النصوص القرآنية المتعلقة بحياة ذلك المجتمع. أفادت هذه المقالة الرسالة الحالية من الجانب النظري فيما يخص النص القرآني، وأثر السياق الثقافي عليه، بينما يختلفان من ناحية الطرح، والمنهج، والجانب التطبيقي.

دلالة السياق في النص القرآني^{١٦} للباحث علي حميد خضير، تقدم بها إلى كلية الآداب

والتربية الأكاديمية العربية في الدنمارك ضمن متطلبات الماجستير. تهدف هذه الدراسة إلى مقارنة

^{١٥} بشير سالم فرج ومحمد عبد الجبار عبد الله الكريدي، "أثر السياق الثقافي في فهم النص القرآني في تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي ١٣٠٧هـ"، العراق: مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، المجلد ٤١، العدد ١، (٢٠١٦م).

^{١٦} علي حميد خضير، دلالة السياق في النص القرآني، (رسالة ماجستير غير منشورة، الدنمارك: الأكاديمية العربية، ٢٠١٤م).

بين الدرس الدلالي القديم والحديث، وبيان أهمية السياق في فهم النصوص. تؤكد الدراسة على ضرورة دراسة كل نص بشكل دقيق، معتمدة على فهم اللفظ ودلالته في موضعه وفي علاقته بباقي النص. كما تبرز الدراسة أهمية دراسة النص من منظورات مختلفة، مثل ظرفه وبيئته وواقعه. تولي الدراسة اهتماماً خاصاً بالعلاقة بين الدلالة السياقية وأثر النبر والصوت في التأويل الدلالي، كما تستعرض الدراسة ظرف الكلمة وإيقاعها والعلاقات العروضية. تسعى الدراسة إلى دراسة العلاقات الدلالية التي تكشف عن المعاني المستترة وراء الألفاظ، وذلك بإبراز علاقات دلالية توضح المغزى. تخصص الدراسة فصلاً للدراسات القرآنية المعاصرة التي تتناول العلوم وطرق التأويل لهذه النصوص من خلال استخدام المنهجية الدلالية. والباب الثالث يمس بحثنا نظرياً حيث حوى خمسة فصول عن المعنى الدلالي للفظ القرآني في السياق في فصله الأول، وفي الفصل الثاني بحث العلاقة بين سياق الموقف وأسباب النزول، وتطرق في الفصل الثالث للسياق الصوتي في القرآن، وفي الفصل الرابع والخامس دلالاتي الأساليب اللغوية في السياق، وضرب الأمثال في النص القرآني، وحوى الباب الرابع دلالة التكرير في النص القرآني، واشترك الدلالة ودلالة العلوم الحديثة في القرآن الكريم.

وكلها تخدم الجانب النظري للرسالة الحالية، بينما تختلف عنها منهجاً وتطبيقاً.

السياق غير اللغوي وأثره في توجيه المعنى في تفسير ابن عطية^{١٧}، للباحث صالح هزلة. سلطت الدراسة الضوء على أثر السياق الخارجي في توجيه معنى النص القرآني، وقد خصصت الدراسة في جانبها التطبيقي بيان مدى اعتماد ابن عطية على العناصر الخارجية في تفسيره. حيث تكونت الدراسة من فصل تمهيدي عن السياق غير اللغوي بين التراث العربي والدرس الغربي، ثم الفصل الأول وهو الذي يلتقي في الجانب النظري مع موضوع الرسالة الحالية، فقد عرف مفهوم السياق القرآني، وأهميته، وأنواعه، ثم وضح في المبحث الثاني السياق غير اللغوي وصلته بعلوم القرآن، وختم الفصل بمبحث عن السياق غير اللغوي وتوجيه المعنى. أما الجانب التطبيقي فكان على تفسير المحرر الوجيز، وهنا تختلف دراسة صالح هزلة عن الرسالة

^{١٧} صالح هزلة، السياق غير اللغوي وأثره في توجيه المعنى في تفسير (ابن عطية)، (الجزائر: جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، د.ط، ١٤٣٥-١٤٣٦هـ/٢٠١٤-٢٠١٥م).

الحالية من حيث الجانب التطبيقي، بالإضافة إلى الاختلاف في نوع السياق المدروس حيث ركزت الأولى على السياق غير اللغوي، بينما الثانية على السياق القرآني.

نظرية السياق دراسة أصولية^{١٨}، للباحث نجم الدين قادر كريم الزنكي. أصل هذه

الدراسة بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة، احتوت على بابين، الأول في التعريف بنظرية السياق ووظيفته الدلالية، أوضح فيه ماهية السياق بوصفه مصطلحاً ونظرية، ودوافع الحاجة إلى أعمال السياق، وإرشادات السياق من: رفع غموض النص، والترجيح بين الاحتمالات والوجوه، والوصل إلى المعنى القطعي للنص، ومنع تأويل النص تأويلاً غير سائغ، وتخصيص العام وتقييد المطلق. وخصص الباب الثاني لدراسة السياق المقالي، حيث تطرق إلى طرق التوصل إلى السياق المقالي من ناحية القرائن المقالية المعنوية، والقرائن المقالية اللفظية، ثم مستويات السياق المقالي: سياق الجملة وسياق النظم. وفي الباب الأخير تحدث عن السياق المقامي وكيفية التوصل إليه ومستوياته.

تفيد هذه الدراسة الرسالة الحالية من الجانب النظري، حيث أكدت على أن المقام ركن من أركان دلالة السياق أمر لا بد منه بالنسبة للسياق القرآني، الذي كان نزوله متفرقاً في الزمان من غير أن يخل ذلك بارتباطه المنطقي، إذ أن النزول على ظاهر نظمه قد يؤدي إلى فهم خلاف مقصود الشارع، لأن الآية الناسخة قد ترد في رسم المصحف قبل الآية المنسوخة، وقد ترد الآية المقيدة قبل المطلقة، والمخصصة قبل العامة. والمخلص من ذلك اعتبار ابتداء كل سياق وانتهائه بمقامه الذي جاء فيه، ومن ثمة بناء العلاقات البيانية على أساسه وعلى ملاحظة تواريخ النزول. في حين تختلف الدراسات في الجانب التطبيقي ومنهجية البحث والإطار العام.

منهج الاستدلال عند أبي بكر بن العربي من خلال كتابه القبس^{١٩}، للباحث محمد

مهدي لخضر بن ناصر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسّم الباحث رسالته إلى مقدمة، وفصل تمهيدي، وثلاثة فصول، وخاتمة. فترجم في الفصل التمهيدي لابن العربي، وعرف بكتابه القبس، وبين مفهوم المنهج الاستدلالي. وفي الفصل الأول تطرق للسمات العامة للمنهج

^{١٨} الدكتور نجم الدين قادر كريم زنكي، نظرية السياق دراسة أصولية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٦م).

^{١٩} محمد مهدي لخضر بن ناصر، المنهج الاستدلالي عند أبي بكر بن العربي من خلال كتابه القبس، (باتنه: جامعة الحاج لخضر، د.ط، ٢٠٠٩/٢٠١٠م).

الاستدلالي عند ابن العربي في كتابه القبس، ثم ذكر السمات المذهبية الخاصة به للمنهج الاستدلالي في نفس الكتاب في الفصل الثاني. وختم بحثه بذكر طريقة الاستدلال ومصادره عند القاضي في كتابه القبس. وقد أفادت هذه الدراسة دراستنا الحالية من جهة المنهج الاستدلالي، في حين اختلفت عنها من حيث المنهج والكتاب الذي هو موضع التطبيق وطريقة الربط.

الدكتور عبد الكريم زيدان ومنهجه في الاستشهاد بالنصوص القرآنية لكتابه الوجيز

في أصول الفقه^{٢٠}، للباحث قاسم صالح علي العاني، أستاذ الفقه المقارن في جامعة الأنبار. قسّم الباحث بحثه إلى فصلين، في الفصل الأول عرف بالدكتور زيدان وكتابه الوجيز في الأصول، وفي الفصل الثاني تحدث عن أهمية علم الأصول في فهم النصوص القرآنية، كما ذكر القرآن الكريم في كتاب الوجيز في مبحث منفصل حيث بين تعريفه وخواصه ووجوه إعجازه وأحكامه وأسلوبه في بيان الأحكام ودلالته على الأحكام، وختم الفصل بالاستشهادات القرآنية في كتاب الوجيز.

أفادت هذه الدراسة دراستنا الحالية من ناحية دلالات الشواهد القرآنية، في حين اختلفت عنها من حيث المنهج والكتاب الذي هو موضع التطبيق وطريقة الربط. وهكذا يتضح من خلال ذكر الدراسات السابقة لكلٍ من السياق القرآني، والاستشهاد بالدليل القرآني، أنه لا يوجد دراسة (حسب ما توفر بين يدي الباحثة من مصادر) تناولت هذا الربط بين متغيري الدراسة (علاقة الدليل القرآني بالسياق في منهج الاستدلال عند المحقق الخليلي)، وعالجت مشكلة البحث من منظور الكشف عن المنهجية المتبعة لدى المحقق الخليلي، وإبراز صحة الاستشهاد القرآني من عدمه وفق معايير مدروسة.

^{٢٠} قاسم صالح العاني، الدكتور عبد الكريم زيدان ومنهجه في الاستشهاد بالنصوص القرآنية لكتابه الوجيز في أصول الفقه، (عمان: دار أمجد للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠١٧م).

الفصل الثاني

تعريف دلالة السياق القرآني وأنواعها وحجيتها وخصوصيتها وفوائدها وضوابطها
وأسباب البعد عنها وتطبيقاتها عند المحقق الخليلي

في هذا الفصل سنتطرق إلى دراسة دلالة السياق القرآني بالتفصيل من جميع جوانبها التعريفية والتطبيقية كما في المباحث التالية:

المبحث الأول: تعريف الدلالة لغة واصطلاحاً وأنواعها وتطبيقاتها القرآنية عند المحقق الخليلي

يُعَدُّ القرآن الكريم المصدر التشريعي الأول في الإسلام نزل به الروح الأمين على قلب الرسول الكريم بلسان عربي مبين، واللغة العربية واسعة المعاني، ومتعددة الأساليب في الخطاب، ففيها التعبير الذي لا يحتمل إلا معنى واحداً، أو متعدد المعاني، ومنها ما يدل على المنطوق، وما يدل على المفهوم، ومنها العام والخاص، وغير ذلك من دلالات المعاني والنصوص، وفي مبحثنا هذا نتناول الدلالات من وجهة نظر مشتركة بين علماء علوم القرآن وعلماء الأصول، لأهميتها في تفسير القرآن، ومعرفة الحكم الشرعي.

والقرآن الكريم من حيث الثبوت هو قطعي الثبوت بجميع سوره وآياته وجمله وكلماته، وحروفه، وحركاته، وسكناته. فقد نقل إلينا متواتراً من صدور حفاظه عن رسول الله ﷺ ومدوناً بالسماع من رسول الله مباشرة وهذا يقطع بثبوته.

أما من حيث الدلالة فهو ينقسم إلى قسمين: قطعي الدلالة، وظني الدلالة. القطعي الدلالة: هو جميع آيات القرآن الكريم الواضحة وضوحاً لا تحتمل معه إلا معنى واحداً، وهذا ما سماه الله بالآيات المحكمة^١. وقال هي أم الكتاب، فهذه الآيات لها دلالة واحدة

^١ انظر: عبد الواحد محمد القنزري، صفوة في أصول الفقه، تحقيق: محمد أحمد الغرسي، (بيروت: دار الكتب العلمية د.ط، ٢٠١٢م)، ص ٢٢.

واضحة بينة، وهي دلالة قطعية لا جدال فيها. وهذه الآيات قليلة في القرآن الكريم، ولكنها تشتمل على ثوابت الدين.

وقد تعددت الأقوال في بيان المحكم، والذي يرجحه البحث أنه الواضح المعنى الذي لا يتطرق إلى معناه أي احتمال^٢. كما هو الحال في قوله: ﴿وَالَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] فهذه الآية وأمثالها لا تحتمل إلا معنى واحداً، وكذلك في قوله تعالى: ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦].
الظني الدلالة: هو جميع آيات القرآن الكريم التي تحتمل معاني متعددة^٣. وتحتمل عدة دلالات، وكل دلالة ترجحها هي دلالة ظنية تحتمل الصواب والخطأ، لذا لا يجوز لمن رجع أحد دلالاتها أن ينكر على من رجع دلالة أخرى تحتملها الآية، ولكن الخطأ بأن يختار المدلول الذي يخالف مدلول آية محكمة، لأن المحكم قطعي والمتشابه ظني، فيجب رد الظني على المحكم، أي ترجيح مدلول الظني الذي لا يعارض مدلول المحكم. والآيات الظنية المدلول هي أغلب آيات القرآن.

وفي حقيقة الأمر، تكمن أهمية المباحث الدلالية في كون المفسر أو المجتهد لا يمكن له أن يخوض غمار التفسير إلا إذا أحاط بآيات القرآن الكريم، ودلالات مفرداتها على المعاني؛ لأن ثبوت الأحكام إنما يكون بدلالة اللفظ على المعنى، ومن هذا المنطلق كان اهتمام العلماء بتلك المباحث، وتناولوها في دراساتهم لمباحث علوم القرآن؛ لذا سنتطرق لتعريفها لغة واصطلاحاً وتقسيماتها عند العلماء وشيء من تطبيقاتها عند المحقق الخليلي:

٢ انظر: ناصر صبرة الكسواني، إشكاليات القراءة المعاصرة في القرآن الكريم، (مصر: عصير الكتب، د.ط، ٢٠٢١م)، ص ١٧١.

٣ انظر: عبد الرؤوف محمد أمين الإندونيسي، الاجتهاد تأثيره وتأثيره في فقهي المقاصد والواقع، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، ٢٠١٣م)، ص ٢٢٠.

المطلب الأول: تعريف الدلالة لغة واصطلاحاً

الدلالة في المعجم: جاء في مقاييس اللغة: «الدال واللام أصلان: أحدهما - إبانة الشيء بأمانة تتعلمها، والثاني أن يكون في الشيء نوعاً من الإضراب؛ فالمعنى الأول مثل قولهم: دل فلاناً نحو الطريق، والدليل: هو ما يشير إلى الشيء بين معناه ولفظه»^٤.

قال ابن منظور في اللسان^٥: الدلالة هي إرشاد الشيء بواسطة شيء آخر، فإذا أرشدته إليه فقد دللته. والدليل هو ما يستخدم للإرشاد، وهو أيضاً الشخص الذي يرشد غيره إلى الطريق. وكما أتى في أساس البلاغة^٦: إذا دل على الطريق فهو دليلك إلى المفاضة، وهم أصحاب العلم والهداية. وإذا اتبعت الطريق فقد اهتديت به.

من الكلام السابق يتضح أن المعنى الذي تدور حوله مادة [دل ل] هو: الإرشاد والإبانة والتسديد بالأمانة أو بأي علامة أخرى لفظية أو غير لفظية. وجاء في المفردات في غريب القرآن: الدلالة هي الوسيلة التي تُمكن من معرفة الشيء؛ كما تدل الكلمات على المعاني وتدل الإشارات والرموز والخطوط والأرقام في الحساب، ولا يهم إن كان ذلك بنية مقصودة من جعله دلالة، أو بدون ذلك؛ كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حي^٧ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قُضِيَنا عَلَيْهِ الْمَوْتُ مَا دَهَمَهُ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ [سبأ: ١٤].

ويقصد به الطريق، كما جاء في الصحاح: الدال وهو الذي يدل على الطريق يدلّه دلالة ودلولة ودلالة بالفتح وهو الأعلى^٨.

^٤ أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (سوريا: دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ج ٢، ص ٢٥٩.

^٥ محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، تحقيق: لليازجي وجماعة من اللغويين، (ط ٣، ١٤١٤هـ)، ج ١١، ص ٢٤٩. ٢٤٨.

^٦ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ج ١، ص ٢٩٥.

^٧ أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (دار القلم: دمشق، ط ١، ١٤١٢هـ)، ص ٣١٦. ٣١٧.

^٨ أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، كتاب الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (بيروت: دار العلم للملايين، ط ٤، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ج ٤، ص ١٦٩٨.

ومنها: الشكل والهيئة: ومنه دَلُّ المرأة ودَلَّاهُا تَدَلُّهُا لزوجها، والدَّلُّ السَّمْتُ والهُدْي. ويظهر من خلال تداول المعنى عند أهل اللغة أن أصله يدل على الإبانة والإرشاد والتسديد.

مفهوم الدلالة اصطلاحاً: قد تنوعت عبارات الأصوليين في تعريف الدلالة اصطلاحاً ومن هذه التعريفات قولهم: هي أن يكون الشيء في حالة تستلزم أن يكون معرفاً بشيء آخر عن طريق معرفته، ويسمى الشيء الأول الدال، و يسمى الثاني المدلول^٩. وهذا التعريف يشمل أنواع الدلالات: فاللفظية: وهي المستندة لوجود اللفظ، إذا ذكر وجدت، وتنقسم ثلاثة أقسام: طبيعية، وعقلية، ووضعية.

ومنها: التسديد، ومنه دَلَّ الشيء عليه يَدُلُّهُ دَلَالَةً فَأَنْدَلَّ سَدَدَهُ إِلَيْهِ^{١٠}.
فالتبعية كدلالة (أح أح) على وجع في الصدر.

المطلب الثاني: تقسيمات الدلالة عند العلماء وتطبيقاتها عند المحقق الخليلي

قسم الجمهور من الأصوليين دلالة الكلام على معناه إلى قسمين، هما: دلالة المنطوق ودلالة المفهوم.

الأول: دلالة المنطوق

وهي دلالة اللفظ على شيء مذكور في الكلام^{١١}. ودلالة المنطوق بحسب تقسيم الأصوليين الذي اعتمده المحدثون تنقسم إلى:

أ. المنطوق الصريح، والذي ينقسم بدوره على عدة أقسام.

ب. المنطوق غير الصريح، والذي أيضاً يقسم على أقسام

^٩ علي بن محمد بن علي الجورجاني، التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص ١٠٤.

^{١٠} محمد بن مكرم بن علي ابن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ)، ج ١١، ص ٢٤٨.

^{١١} عبد الرحيم يعقوب، تيسير الوصول إلى علم الأصول، (الرياض: مكتبة العبيكان، د.ط، ١٤٣١هـ)، المجلد الثاني، ص ١٥٥.

١- المنطوق الصريح:

ويراد به: أن يدل اللفظ على الحكم بشكل مطابق أو بالتضمن، أي ما دل معناه بطريقة المطابقة والتضمنين، ويقع هذا المنطوق في ثلاثة أنواع قد أشار إليها السيوطي، وتبعه في ذلك عدد من المحدثين وهي:

أ. النص: وهو: الذي لا يحتمل اللفظ غيره، فهو نص قرآني واضح الدلالة، وقد أفاد معنى لا يحتمل غيره، كدلالة قوله تعالى: أحل الله البيع وحرم الربا) فمنطوق الآية الكريمة ونصها لا يحتمل التأويل؛ لوضوح دلالتها في أن الله تعالى قد حلّ البيع، أي جوزه، وحرم الربا.

ب. الظاهر: ويعرف بأنه ما يفيد المعنى المتبادر في الذهن، مع كون احتمال غيره احتمالاً مرجوحاً، أي إن اللفظة القرآنية الواردة في النص القرآني قد تحتمل معنيين أحدهما يكون راجحاً، والآخر يكون مرجوحاً، والظاهر في ذلك يكون باختيار المعنى الراجح. الذي يفهم من سياق الآية الكريمة، وهذا ما قرره المحقق الخليلي في تفسير معنى الكتاب المثبت فيه أعمال العباد في قوله تعالى ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ^ط وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ الكتاب حق بنص القرآن والتعبير به عن حفظ الملائكة خلاف للظاهر بغير دليل فلو كان معنوياً كما ذهب إليه من قاله أو كان من حفظ الملائكة فما معنى إخراجه منشوراً وما وجه قراءته، فظواهر الآيات كلها دالة على وجدانه.^{١٢}

ج. المؤول: وهو: ما ترجحت بعض وجوهه باعتبار القرائن والأحوال، فصرف عن معناه المتبادر أو الحقيقي إلى غيره.^{١٣} وهو بخلاف الظاهر الذي يفيد المعنى الراجح؛ لأنه لا دليل يصرف إلى المعنى المرجوح، في حين نرى أن المؤول يعتمد

^{١٢} سعيد بن خلفان الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، تحقيق: حارث بن محمد البطاشي، (بيروت: دار الهلال العالمية، ط ١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، ج ١، ص ٢٨٢.

^{١٣} انظر: ابن عقيلة المكي، الزيادة والإحسان في علوم القرآن، (جامعة الشارقة: مركز البحوث، ط ١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ج ٥، ص ١٢٣.

على المعنى المرجوح لا الظاهر الراجح، والمؤول من المستحيل حمله على ظاهره فيصرف إلى معنى آخر يبينه السياق؛ وذلك لأن ظاهره المستحيل يكون مرجوحاً، ومعناه الذي يبينه السياق الراجح يكاد أن يكون اللفظ نفسه^{١٤}، ومما ورد من استدلالات المحقق الخليلي في هذا دلالة اللغة المعنوية كما يقال جاء الملك أي جاء أمره^{١٥} مثل قوله تعالى: ﴿فَأَتَى اللَّهَ بُنْيَنُهُمْ مِّنَ الْقَوَاعِدِ﴾ [النحل: ٢٦]، فإن حمل المجيء والإتيان على قرب الله بذاته لا يصح، فيتم صرفه عن ذلك وحمله على مجيء أمره، فالمؤول في هذا النص القرآني قد حمل على المعنى المرجوح لا على المعنى الراجح. وكذلك أورد الطبري في تأويله لهذه الآية "أي والله لأتأها أمر الله من أصلها"^{١٦}، لذا فإن التأويل في مثل هذه النصوص القرآنية يعد أمراً مستساغاً ومطلوباً، فيصرف اللفظ عن المعنى الظاهر، وهو المعنى الراجح إلى المعنى المؤول وهو المرجوح لوجود الدليل الصارف، وهو الاستحالة^{١٧}.

٢- المنطوق غير الصريح:

ويعرفه فهد الرومي بأنه: دلالة اللفظ على الحكم التزاماً^{١٨}، أي إنَّ اللفظ لازم للمعنى، وينقسم لعدة أنواع من الدلالات هي:

^{١٤} صابر حسن محمد أبو سليمان، **مورد الظمان في علوم القرآن**، (الهند: الدار السلفية، ط ١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ص ٩١.

^{١٥} سعيد بن خلفان الخليلي، **تمهيد قواعد الإيمان**، مرجع سابق، ج ٩، ص ١٤٢.

^{١٦} أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، **تفسير الطبري جامع البيان في تأويل آي القرآن**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون، (القاهرة: دار هجر، ط ١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م)، ج ١٧، ص ٢٠٥.

^{١٧} انظر: محمد قاسم الشوم، **علوم القرآن ومناهج المفسرين**، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ط، ٢٠١٤م)، ص ١٧٥. مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط ٧، ٢٠٠٠م)، ص ٢٤٣. غازي عناية، **هدى الفرقان في علوم القرآن**، (القاهرة: عالم الكتب للنشر والتوزيع، د. ط، ١٩٩٦م)، المجلد ٢، ص ١٩٠.

^{١٨} فهد بن عبد الرحمن الرومي، **دراسات في علوم القرآن**، (المملكة العربية السعودية: الناشر المؤلف، ط ١٢، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م)، ص ٤٤٨.

أ. دلالة الاقتضاء: وهو أن تتوقف صحة دلالة اللفظ فيه على إضمار^{١٩}، وقد ذكر المحقق الخليلي في تمهيده مثالا على دلالة الاقتضاء في قوله تعالى ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]، وهنا تقدير محذوف والأصل: فأفطر فعليه عدة، لأن من خواص الفاء العاطفة أنها قد تعطف على محذوف معها، وعلى هذا اعتمد أصحابنا^{٢٠}؛ حيث إن قضاء الصوم يجب على من أفطر وليس لمجرد السفر أو المرض. والحق أن أهمية دلالة الاقتضاء في فهم المسكوت عنه من المذكور تظهر بوضوح عند المحذوف من سياق الكلام، ولكن صحة معناها تقتضيه، وإن كانت صيغة النص عارية من لفظ يدل عليه، وكذلك يقتضيه صدقها ومطابقته للواقع، ومنه قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣] أي زواجهن، ومنه قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة/ ٣] أي أكلها^{٢١}، هذا النوع. ويستنتج البحث من خلال هذه الأمثلة القرآنية أن المنطوق إن توقف الصدق فيه أو الصحة له عقلاً أو شرعاً على إضمار كلمة مقدرة فهو دلالة اقتضاء أي استدعاء، واقتضاء تلك الكلمة المضمرة.

ب. دلالة الإشارة: دلالة اللفظ على ما لا يظهر في السياق القصد إليه^{٢٢}، أي هي نوع من أنواع الدلالات التي تحتاج الى تأمل في النص القرآني وصولاً إلى الحكم الشرعي أو معرفة المعنى، كما عرّفها الإمام الغزالي بأنها ما يؤخذ من إشارة اللفظ لا من اللفظ^{٢٣} وعرفها الشيخ صابر أبو سليمان بأنها: ما دل اللفظ على ما لم

^{١٩} الشوم، المرجع نفسه، ص ١٧٥.

^{٢٠} الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ٢، ص ٢٤٨.

^{٢١} انظر: نادية رمضان النجار، القرائن بين اللغويين والأصوليين، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، ٢٠١٥م)، ص ٣٦٣.

^{٢٢} نجم الدين قادر كريم الزنكي، نظرية السياق دراسة أصولية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، ص ١١٧.

^{٢٣} انظر: محمد بن محمد الغزالي، المستصفى في علم الأصول، تحقيق: حمزة بن زهير حافظ، (المدينة المنورة: شركة المدينة المنورة للطباعة، د.ت)، ج ٣، ص ٤٠٦.

تقصد به، وهو التعريف الذي جاء به السيوطي في كتابه الإتقان. وهذه التعاريف تؤكد أن المعنى غير مقصود بنصه، وإنما يفهم من خلال التأمل في النص القرآني وصولاً إلى إدراك المعنى المقصود من خلال فهم الإشارات الدالة عليه، وقد جاء المحقق الخليلي بأمثلة قرآنية متعددة لفهم تلك الدلالة، ومنها، قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾ ملك: إشارة إلى أنه لم يبق هناك ملك سواه، والدين إشارة إلى العدل، وهذا المعنى ليس المقصود من سياق الآية، وإنما يفهم من خلال التأمل فيها. ومن هنا يتضح بأن دلالة الإشارة هي دلالة اللفظ على ذلك المعنى الذي لم يقصد به صراحة في النص القرآني، فهي المعنى الذي لا يمكن أن يتبادر فهمه من خلال ألفاظ النص؛ لأن دلالتها غير واضحة؛ لذلك يكون فهم معناها بالإشارة.

ج. دلالة الإيماء: وهي: الدلالة في اللفظ على المعنى المقصود منه للمتكلم، ولا يكون هناك توقف عليه في صدق الكلام ولا صحته^{٢٤}، ومثال ذلك عند المحقق الخليلي في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ [البقرة: ٢٨٢]، مثال في بيان هذه الدلالة. الأمر بالإشهاد مقترن بالعلة التي هي لمعنى المصلحة لحفظ الأموال خوف التناكر المؤدي إلى ذهابها^{٢٥}.

وهكذا نرى أن المحقق الخليلي يأخذ بتقسيمات المنطوق ودلالاته الصريحة وغير الصريحة، كغيره من علماء الأمة سواء من مذهبه أو غيرهم، وقد بين باجو منهج المدرسة الإباضية في تقسيم المنطوق فقال: فالمنطوق هو ما يدل عليه اللفظ في محل النطق، بمعنى أنه يكون حكماً للمذكور ويكون أيضاً حالاً من أحواله بغض النظر نطق به أم لا. وبهذا المعنى متناول للدال

^{٢٤} موسى إبراهيم الإبراهيم، بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم، (عمان: دار عمار، ط ١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م)،

ص ١٧٥.

^{٢٥} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ١٠، ص ٤٧٧.

بعبارته والبدال بإشارته والبدال باقتضائه^{٢٦}، ونزيد عليه الدال بإيمائه وهو ما استنتجه البحث من خلال الأمثلة القرآنية التي أوردها المحقق في تمهيده.

ثانياً: دلالة المفهوم:

وهو ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق، أي يكون حكماً للمذكور وحالاً من أحواله^{٢٧} وهو موافق تماماً لتعريف المفهوم عند السيوطي في اتقانه^{٢٨}، ويشير التعريف إلى أنَّ السبيل لمعرفة دلالة اللفظ هو المعنى الذهني.

أقسام المفهوم:

للمفهوم قسمان هما:

١. مفهوم الموافقة.

٢. مفهوم المخالفة.

وقد أورد المحقق الخليلي عدد من النصوص القرآنية الكريمة التي توضح دلالة المفهوم

بقسميه:

١- مفهوم الموافقة أو دلالة النص:

ويعرف بأنه: ما يدل عليه اللفظ في غير محل النطق، أي أنه يكون حكماً للمذكور وحالاً من أحواله^{٢٩}، ويقترّب هذا التعريف من تعريف الآمدي بقوله: ((ما يكون فيه مدلول اللفظ في محل السكوت يوافق مدلوله في محل النطق. وينقسم مفهوم الموافقة إلى قسمين هما:

^{٢٦} انظر: نور الدين عبد الله بن حميد السالمي، *طلعة الشمس*، (مصر: مكتبة الإسكندرية، د.ط، ٢٠١٢م)، ص ٣٩٥.
وانظر: مصطفى بن صالح باجو، *منهج الاجتهاد عند الإباضية*، (الجزائر: جمعية التراث، ط ٢، ١٤٤٢هـ/٢٠١٢م)، ص ٣٧٣.

^{٢٧} مجموعة من الباحثين، *معجم مصطلحات الإباضية*، (مسقط: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ط ٢، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م)، ج ٢، ٨١٦.

^{٢٨} انظر: جلال الدين السيوطي، *الإتقان في علوم القرآن*، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومصطفى شيخ مصطفى، (دمشق: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ص ٤٨٦.

^{٢٩} لجنة البحث العلمي جمعية التراث، *معجم مصطلحات الإباضية*، (الجزائر: دار الوعي للنشر والتوزيع، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ط ٢)، ص ٨١٦.

أ- فحوى الخطاب:

ويعرفه الزركشي بأنه: المسكوت عنه أولى بالحكم من المنطوق، وهو ما نبه عليه اللفظ وما دل على ما هو أقوى منه^{٣٠} وقد مثلوا عليه بأمثلة منها قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ هُمَا أَفٌّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣]، فالمنطوق هو تحريم التأفف، في حين المفهوم هو تحريم الشتم والضرب وهو أولى بالحكم؛ لأن الضرب يكون أشد حرمة من التأفف، ومن الأمثلة على هذا التنبيه ما أورده أحمد الخليلي في جواهره^{٣١} في قوله: ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٨٠] تنبيه بالأدنى على الأعلى فإنهم بما ادعوه قائلون على الله ما يعلمون الحق في خلافه، وإذا كان الخائض فيما لا يعلم من أمر الله حقيقاً بالملامة والتقريع كما هو في الآية، فإن من علم الحقيقة فأنكرها أحق بما لأنه تعمد مخالفة الحق وطمس الحقيقة^{٣٢}.

كما أشار إليه المحقق سعيد الخليلي^{٣٣} في قوله تعالى ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْثَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣] فالمراد نفي السؤال مطلقاً؛ لدلالة سباق الآية ﴿يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾ أي بحالهم ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾.

ب- لحن الخطاب:

ويعرف بأنه: ما يثبت فيه الحكم للمفهوم كثبوته للمنطوق بالتساوي، أي إن حكم المفهوم متساوٍ مع حكم المنطوق، كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠] فمنطوق الآية هو حرمة أكل مال

^{٣٠} انظر: أبي عبد الله محمد بن بهادر الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، تحقيق: محمد بن محمد تامر (بيروت: دار

الكتب العلمية، د. ط، ٢٠١٣م)، ج ٣، ص ٩٠.

^{٣١} أحمد بن حمد الخليلي، جواهر التفسير، (مسقط: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ط ٢، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، ص ٤٦٢.

^{٣٢} أحمد بن حمد الخليلي، جواهر التفسير، المرجع السابق، نفس الصفحة.

^{٣٣} انظر: سعيد بن خلفان الخليلي، سمط الجواهر الرفيع، تحقيق: محمد بن يحيى الراشدي، (مسقط: ذاكرة عمان، ط ١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م)، ص ٢٠٥.

اليتم بالظلم، ومفهوم الآية هو حرمة إحراق ماله، أو إضاعة ماله بغير وجه حق، أي إتلافه؛ لأن هذا يساوي الأكل في الإتلاف^{٣٤}

ويظهر لحن الخطاب عند المحقق الخليلي في بيانه لقوله تعالى ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤]، حيث قال إن الدعاء عليهم يشعر باستحقاقهم الهلاك، والمساواة؛ لأن لفظها لا يزيد على معناها^{٣٥}.

ويخلص البحث أن مفهوم الموافقة بقسميه فحوى الخطاب، ولحن الخطاب الدلالة فيه من قبيل التنبيه بالأدنى على الأعلى كما في فحوى الخطاب، ولحن الخطاب الذي يتساوى فيه المفهوم والمنطوق.

٢- مفهوم المخالفة:

ومفهوم المخالفة هو دلالة اللفظ على أن ثبوت الحكم للمسكوت عنه يخالف ما دل عليه المنطوق، وذلك لانتفاء قيد معتبر في الحكم^{٣٦}، فهو: ما خالف حكمه حكم المنطوق. ويأتي مفهوم المخالفة على أنواع نذكر منها ما أورده المحقق الخليلي في النصوص القرآنية التي استشهد بها:

أ- مفهوم الصفة:

وهو أن يدل الكلام الموصوف بصفة معينة على ثبوت نقيض الحكم الموصوف للخالي من تلك الصفة^{٣٧}، ويتوسع في هذا المفهوم؛ ليدخل فيه كل ما أفاد الوصفية، فضلاً عن النعت، ليشمل الحال، والظرف، والعدد، وهو ضمن المفهوم الوصفي. ولقد أورد المحقق الخليلي من مفهوم

^{٣٤} انظر: عبد الرحمن صباح سعيد الهماوندي، جمع الجوامع للسبكي في ميزان الأصوليين منهم والمحدثين، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، ٢٠١٨م)، ص ٣٢٨.

^{٣٥} سعيد بن خلفان الخليلي، سمط الجوهر الرفيع، تحقيق محمد بن يحيى الراشدي، (مسقط: ذاكرة عمان، ط ١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م)، ص ٢٧٥.

^{٣٦} نجم الدين قادر كريم الزنكي، الاجتهاد في مورد النص، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م)، ص ٧٤.

^{٣٧} فهد بن مبارك بن عبد الله الوهي، المسائل المشتركة بين علوم القرآن وأصول الفقه، (المملكة العربية السعودية: مركز الدراسات الإسلامية، د.ط، ٢٠١٥م)، ص ٥٨٤.

المخالفة، مفهوم العدد وذلك في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٦٦] فقال: وأجمعت الأمة على أن هذا التحديد للوجوب. ومفهوم العبارة بتخفيف ما زاد عنه يدل عليه، فالعشرة إذا وجب عليهم جهاد العشرين كان قتالهم فرض عين بمعنى أنه لا يسع أحدهم تركه تعلقاً بأنه فرض كفاية^{٣٨}.

ب- مفهوم الغاية:

هو دلالة اللفظ المقيد بغاية على نقيض الحكم عند انتفاء تلك الغاية^{٣٩}، مثل: قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا آلَ بَنِي نُدَيْلٍ حَتَّى تَقْتُلُوا أَوْ تَهْلِكُوا فِي الْمَوْتِ﴾ [الحجرات: ٩]، المنطوق: يدل على وجوب مقاتلة الفئة الباغية لغاية أن تفيء، والمفهوم منه: ترك مقاتلتها بعد أن تفيء، وهذا ما ذهب إليه المحقق في تعقيبه على هذه الآية الكريمة، حيث قال: إن الله تعالى حكم في كتابه الكريم بأن جعل لقتال الباغين غاية يُنتهي إليها^{٤٠}.

ج- مفهوم الحصر:

هو إثبات نقيض الحكم في غير المحصور^{٤١}، ومثاله في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، فدل منطوق الآية الكريمة أن العبادة والاستعانة لله وحده، والمفهوم من الآية الكريمة كما يقرره المحقق الخليلي ألا نستعين بسواك مطلقاً^{٤٢}.

^{٣٨} سعيد بن خلفان الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، تحقيق: حارث بن محمد البطاشي، (القاهرة: دار الهلال العالمية، ط ١، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م)، ج ١٣، ص ١٨١.

^{٣٩} عبد الرافع جاسم، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، (القاهرة: المركز العربي للنشر والتوزيع، ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م)، ص ٢٣٣.

^{٤٠} الخليلي، المرجع نفسه، ج ٢، ص ١٧٦.

^{٤١} بشير فهمي الكبيسي، مفاهيم الألفاظ ودلالاتها عند الأصوليين، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ط، ٢٠٠٧م)، ص ١٧٤.

^{٤٢} الخليلي، المرجع نفسه، ج ١٣، ص ٤٨٥.

وبعد هذه الأنواع التي وقف البحث عليها في الآيات التي استدلت بها المحقق الخليلي في تمهيده، نخلص أن أنواع مفهوم المخالفة عند المحقق هي المعمول بها عند غيره من علماء القرآن في تفاسيرهم والأصوليين في كتبهم.

ثالثاً: دلالة المشترك اللفظي:

اهتم علماء علوم القرآن الكريم بالمشترك اللفظي وعلاقته بالقرآن والإعجاز، وتفسير كتاب الله، وكان الحديث عن المشترك عندهم متصلاً في بعض جوانبه مع بعض فنون البلاغة، والمشارك: «هو اللفظ الموضوع للدلالة على معنيين أو معان مختلفة بأوضاع متعددة»^{٤٣}، مع وجود المشترك اللفظي لابد من وجود قرينة يستدل بها على المعنى المطلوب، ومن خلال تلك القرينة يتم الوصول إلى المعنى الذي دلت عليه اللفظة، ففي قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النور (٢٧)]

يرى المحقق الخليلي بأن لفظ السلام مشترك بين عدة معانٍ، وهي: سلام الاستئذان، وسلام التوديع، وسلام المباحة عن الشيء طلباً للفراق، وسلام التحية المعروف، والراجع عند المحقق الخليلي معنى السلام في هذه الآية الكريمة هو الاستئذان، وذهب إلى أن عطف (تسلموا على أهلها) على (تستأنسوا) في الآية الشريفة إنما هو للتفسير والبيان^{٤٤}، وهو الرأي الذي تبناه ابن عاشور في تفسيره حيث ذكر أن كلمة تستأنسوا كناية لطيفة عن الاستئذان، وعطف تسلموا عليه عطف تفسير^{٤٥}

وهكذا نخلص إلى أن دلالة اللفظة المشتركة، ومعرفة معناها متوقف على السياق؛ لأن المفردة القرآنية لا يمكن معرفة معناها، وتفسيرها مستقلة عن سياقها.

^{٤٣} محمد أديب الصالح، مصادر التشريع الإسلامي ومناهج الاستنباط، (الرياض: مكتبة العبيكان، د.ط، ٢٠٠٣م)، ص ٥٥٣.

^{٤٤} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ٣، ص ١٠٨.

^{٤٥} محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، التحرير والتنوير، (تونس: الدار التونسية للنشر، د.ط، ١٩٨٤هـ)، ج ١٨، ص ١٩٧.

المبحث الثاني: تعريف السياق القرآني لغة واصطلاحاً وخصوصية دلالة السياق القرآني وضوابطه

نتطرق أولاً قبل العروج لتعريف السياق إلى تعريف القرآن لغة واصطلاحاً لشرفه وعلوه، ولأنه هو مدار البحث وتطبيقاته.

المطلب الأول: القرآن لغة واصطلاحاً

أولاً: تعريف القرآن لغة

١. قَرَأَ (الشَّيْءَ) قُرْآنًا بضم القاف يعني: جمعه وضمه وتسمي القرآن بهذا الاسم لأنه يَجْمَعُ السُّورَ وَيَضُمُّ بعضها لبعض. أو لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص وغير ذلك^{٤٦}
 ٢. وقيل أخذ من قرأ أي تلا وهو مصدر بمعنى القراءة، وقد ورد بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧] أي قِرَاءَتُهُ^{٤٧}
 ٣. ويقول الفراء: إنه مشتق من القرائن جمع قرينة، لأن آياته يشبه بعضها بعضاً، فكان بعضها قرينة على بعض، وواضح أن النون في قرائن أصلية.^{٤٨}
 ٤. معنى خاص بالقرآن غير مشتق من القراءة
- نخلص مما تقدم أن المعنى اللغوي للقرآن هو كلمة دالة على كتاب الله تعالى مشتقة من القراءة لوجود ما يعضد هذا القول من القرآن.

^{٤٦} أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، د.ط، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ج ٥، ص ٧٩.

^{٤٧} محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، (بيروت: المكتبة العصرية، ط ٥، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، ص ٢٤٥.

^{٤٨} عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م)، ج ١، ص ١٨٢.

ثانياً: القرآن في الاصطلاح

القرآن هو: القرآن هو كلام الله تعالى الذي أنزله جبريل على محمد (صلى الله عليه وسلم)، وهو متواتر في نقله ومعجز في بيانه، وقد اختلفوا فيه فقليل هو اسم غير مشتق من شيء، بل هو اسم خاص بكلام الله وقيل مشتق من الْقُرْيِ^{٤٩}، وقال الشوكاني القرآن هو الكلام الذي أنزله الله تعالى على رسولنا محمد، وجمع في المصاحف، وبلغنا بطريقة متواترة، وهو عبادة إذا تلي، وهو متحدي بأدنى سورة منه^{٥٠}.

والقول بأنه المكتوب في المصاحف قيد غير لازم ولا يشترط في إثبات القرآن أن يكون في المصاحف؛ لأن هذا القيد لا يشمل ما كان محفوظاً في الصدور، والكل يسمى قرآناً سواء كان مكتوباً أو محفوظاً.

وهو اسم لكلام الله تعالى، بمعنى المقروء، مثل قولنا المشروب سمي شراباً، والمكتوب سمي كتاباً؛ وقيل: هو مصدر قرأ يقرأ، قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ﴾ [الإسراء: ٧٨] أي قراءة الفجر. والقرآن يشمل محكم ومتشابه والبيانات تختص بالمحكم منه^{٥١}.

والتعريف الذي نعتمده في بحثنا هو: القرآن هو كلام الله العظيم المعجز الذي أنزله على خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام، وجمعه في المصاحف التي نقلتها الأجيال بالتواتر، وأمرنا بتلاوته والعمل به، وهو مبتدأ بالفاتحة ومختوم بالناس، ولا يستطيع أحد أن يأتي بمثله ولو بسورة قصيرة منه.

المطلب الثاني: السياق لغة واصطلاحاً

أولاً: السياق في اللغة:

من خلال الرجوع إلى معاجم اللغة وجدنا أن السياق له عدة معاني حسب الآتي:

^{٤٩} انظر: أبي عبد الله محمد بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، ٢٠١٨م)، ج ١، ص ٧٧. عبد الله خضر حمد، مدخل إلى علوم القرآن واتجاهات التفسير، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، ٢٠١٩م)، ص ١١٩.

^{٥٠} عبد الله خضر حمد، القرآن الكريم وشبهات المستشرقين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٨م)، ص ١٠٦.

^{٥١} محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، تحقيق: أحمد عبد السلام، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، ٢٠٠٧م)، ج ٢، ص ١٥٠.

١. الجلب والاختياد: أصل لفظة السياق بحسب ما اتفق عليه أهل اللغة - سواق فحولت الواو إلى ياء لإظهار كسر الحرف الذي سبقها، قال ابن فارس: "السَّيْنُ وَالْوَاوُ وَالْقَافُ أَصُولٌ لِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَهُوَ جَرُّ الشَّيْءِ. تَقُولُ سَاقُهُ يَسُوقُهُ سَوْفًا وَالسَّيْقَةُ: مَا يَسْتَخْرِجُ مِنَ الدَّوَاتِ. وَتَقُولُ سُقْتُ إِلَى زَوْجَتِي بِمِيلِهَا، وَأَسَقْتُهُ. وَالسُّوقُ مُشْتَقَّةٌ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى، لِأَنَّهُ يَجْرُ إِلَيْهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَجَمَعَهَا أَسْوَاقٌ."^{٥٢}

٢. التتال والتتابع والترادف: وهذا قول الزمخشري: "إذا تساوقت الإبل تتابعت في السير، وهو يرتب الحديث بأفضل طريقة، وإليك يُقَدَّمُ الحديث، وهذا الكلام مُقَدَّمٌ لكذا، وأتيتك بالحديث بدون تغيير: أي بدون تحريفه."^{٥٣}

٣. وجاء في الصحاح (السِّيَاقُ) نَزْعُ الرُّوحِ.^{٥٤}

٤. شدة الأمر: هو أن يكون الساق في اللغة معناه الإشارة إلى الأمر الجليل والكبير والظهور له. وقال ابن منظور: ومنه أنه إذا أصاب الإنسان أمر عظيم، يقال شمر عن ساعده وكشف عن ساقه ليتفرغ لذلك الأمر الجليل^{٥٥} وفي الذكر الحكيم قوله: (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ) [القلم: ٤٢]. إذا تأملنا في هذه المعاني السابقة نستنتج أن: السياق في اللغة هو ترتيب الأشياء وارتباطها ببعضها لإنجاز هدف محدد، فالشيء يسوق ويقاد ويقدم بانسجام واتساق لبلوغ غاية مرادة؛ فالحيوانات تسير وتنطلق بغية الأكل والشرب، والروح تخرج من الإنسان بتدرج وتسلسل من أسفل إلى أعلى حتى تصل إلى مخرجها، والمصيبة العظيمة لا تحل مرة واحدة، بل تزداد وتتوالى كما سيكون في فرع يوم

^{٥٢} أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (سوريا: دار الفكر، د.ط، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م)، ج ٣، ص ١١٧.

^{٥٣} محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م)، ص ٤٨٤.

^{٥٤} زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، مختار الصحاح، (بيروت: المكتبة العصرية، ط ٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م)، ص ١٥٧.

^{٥٥} محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، تحقيق اليازجي وجماعة من اللغويين، (بيروت: دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ)، ج ١٠، ص ١٦٨.

القيامه، وهكذا نجد أن السياق في اللغة رغم اختلاف معانيه يجمعه عامل واحد، وهو التتابع والاندماج بين الأشياء لإظهار معنى مشترك.

ثانياً: تعريف السياق القرآني في الاصطلاح

السياق هو منهج من المناهج التي يستخدمها العلماء في تفسير القرآن الكريم، وهو يساعد على فهم معاني النص وتوضيحها بالنظر إلى ما قبله وما بعده من الآيات والسور. وقد أولى العلماء قديماً وحديثاً اهتماماً كبيراً بالسياق، واستندوا إليه في تفسير كثير من الأحكام والقضايا، لكنهم لم يخصصوا له كتاباً أو بحثاً مستقلاً يبينون فيه تعريف السياق وضوابطه وأنواعه وأثره في التفسير. وما ذكروه عن السياق هو ذكر أهميته^{٥٦} في فهم المعنى وإيراد بعض الأمثلة على تطبيقه. قد يكون سبب ذلك أن السياق لديهم واضح ومفهوم، فالسياق في اللغة هو الترابط والتناسق بين الجمل والكلمات لإيصال المعنى المطلوب. ولأن هذا البحث يتناول جانباً من الدراسات القرآنية، فإنه يتطلب الاستفادة من كتب التفسير وعلوم القرآن أولاً، وكذلك الرجوع إلى الكتب اللغة والأصول حسب الحاجة للوصول إلى معنى السياق الاصطلاحي.

يمكننا القول بأن كتب تفسير القرآن الكريم وكتب أصول الفقه تُعد من أوائل ما أشار إلى السياق وإلى أهميته في فهم النصوص الشرعية، فقد وضع الإمام بدر الدين الزركشي [ت ٧٩٤هـ] في مصنفه البحر المحيط مبحثاً بعنوان دلالة السياق، حيث قال: " قد أنكرها البعض، وكذا من يجهل شيئاً ينكره"^{٥٧}، وقد ذكر الإمام الزركشي أيضاً أن من أهم الوسائل التي تساعد على فهم المقصود في حالة الشبهة هو الاستناد إلى سياق الكلام. فالسياق يوضح الملبهم ويحصر المراد من بين جميع الاحتمالات، ويخصص المفهوم العام، ويضع شروط للمفهوم

^{٥٦} انظر: شربين وهيب عطية، وظيفة السياق القرآني في تفسير التلخيص في تفسير القرآن العزيز للإمام الكواشي،

(العراق: جامعة ديالى، كلية العلوم الإسلامية، رسالة ماجستير غير مطبوعة، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م)، ص ١٢.

^{٥٧} أبي عبد الله محمد بن بهادر الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، تحقيق: عبد الستار أبو غدة، (الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط ٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ج ٦، ص ٥٢.

المطلق، ويبين التنوع في الدلالة. وهذا من أهم الأدلة التي تدل على ما أراده المتكلم. فمن تجاهل هذا الأمر أخطأ في الفهم وأخفق في حججه"^{٥٨}.

وأورد الإمام الشافعي مجموعة من الآيات القرآنية تحت باب بعنوان: "الصنف الذي يبين سياقه معناه"^{٥٩}، حيث ساقها في مقام أن تأويلها وتفسيرها يُعرف من السياق الذي وردت فيه، وبالتالي فإنَّ السياق له دور مهم في فهم النصوص والخطابات القرآنية من أجل استنباط الأحكام الشرعية.

ويقول سيد قطب مبينا أهمية السياق في تحديد المعنى من العبارات "السياق القرآني له أثر في تحديد مدلولات العبارات ونقل المشاهد في النصوص القرآنية إلى حس المخاطبين كأنها واقعة"^{٦٠}. ويقول أحمد بن حمد الخليلي: "يجب أن يكون فهم الآيات القرآنية في ظل سياقها، فإن بترها عن السياق يذهب بها بعيدة عما هو المقصود بها"^{٦١}.

لم يعن العلماء المتقدمون -رحمهم الله تعالى - بتعريف السياق القرآني من الناحية النظرية بقدر عنايتهم به من الناحية التطبيقية؛ فالباحث في تراثهم العلمي يجد أنه زاهر بالأمثلة العملية التي تبرز أهمية السياق، وأثره في تفسير القرآن الكريم، بينما لن يعثر على تعريف لذلك.

وقد اختلف الباحثون في وضع تعريف علمي للسياق القرآني؛ فمنهم من رأى أنه تتابع المفردات والجمل والتراكيب القرآنية المرتبطة؛ لأداء المعنى^{٦٢}، ويلاحظ بأن هذا التعريف أنه يجعل السياق مقصور على المقال دون المقام، وهذا ليس دقيقاً ولا يتناسب مع مفهوم السياق القرآني؛ لأن السياق القرآني يشمل المقال والمقام يقول نجم الدين زكي في ذلك: لو أمكن افتراض الفصل بين السياق والمقام على مستوى الجملة في خطاب الشارع، فإنه لا يمكن ذلك في

^{٥٨} أبي عبد الله محمد بن محمد الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، ٢٠١٨م)، ص ٣٥٥.

^{٥٩} محمد إدريس الشافعي، الأم، تحقيق: رفعت فوزي عبد المطلب، (دبلن: مكتبة تشستر بيتي، د.ط، ١٩٩٠م)، ص ٢٧.

^{٦٠} سيد قطب، في ظلال القرآن، (القاهرة دار الشروق، ط ٣٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م)، المجلد ٦، ص ٣٧٤٨.

^{٦١} فهد بن علي بن هاشل السعدي، لقاءات سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، (مسقط: مكتبة الأنفال، ط ١، ٢٠١٠م)، ص ١٧٦.

^{٦٢} عبد الرحمن عبد الله المطيري، السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، (رسالة ماجستير، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ٢٠٠٠م)، ص ٧١.

استنباط الحكم الشرعي من نصوص الشارع على مستوى النظم العام، وأعني بذلك ما يتعلق بالعلاقات البيانية بين نصوص الشارع من تخصيص العام وتقييد المطلق والنسخ، ذلك أن القرآن الكريم قد حوى نصوصاً منظومة مقرونة ببعضها بين دفتي المصحف في شكل آيات وسور، فلو أننا نزلنا عند استنباط الحكم وبيان العلاقات البيانية بين النصوص على مجرد السياق المقالي (النظم) لفهمنا كثيراً من الأمور على غير وجهها، وحينئذ قد ندخل على غرض النص ومساقه ما لا يدخل^{٦٣}. وقيل إنه: الغرض الذي ينتظم به جميع ما يرتبط بالنص من القرائن اللفظية والحالية^{٦٤}. هذا التعريف قد حصر السياق القرآني بالغرض الذي يساق الكلام لأجله، وهذا يتعارض مع ما ثبت جلياً من أن السياق في أصل اللغة يهدف إلى غاية محددة مرجوة، وليس هو الغاية ذاتها، كما ويعتبر أن السياق القرآني شامل للمقال والمقام؛ وهذا لا يتناسب مع ما ثبت في معنى السياق لغة؛ فالحال مستقل عن المقال والسياق مختص بالمقال وهذا لا يعني التقليل من قيمة الحال أو المقام في إدراك معنى السياق عامة؛ وإنما العلاقة بين الحال والسياق علاقة تكامل تهدف إلى تأدية المعنى القرآني كاملاً صحيحاً. هذا وقد عرفه الدكتور المثني عبد الفتاح بأنه تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية؛ لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود دون انقطاع أو انفصال^{٦٥}.

يختلف الباحثون المعاصرون في تحديد مفهوم السياق ومداه، فبعضهم يحصره فيما يوضح المعاني الغامضة ويحدد الاحتمالات، أو ما يرتبط بالنص من أسباب نزوله وأحوال المتكلم والمخاطب والظروف المحيطة بالخطاب. وبعضهم يجعله أوسع من ذلك، فيشمل كل ما يساعد على فهم النص من قرائن خارجية. وهذا الخلاف لا يؤثر على المقصود من السياق، فكلا القولين يقران بأهمية هذه القرائن لفهم النص، وإن اختلفا في إدراجها ضمن معنى السياق أو خارجه. فالمهم هو معرفة المعنى والغرض من النص، واللفظ هو وسيلة لذلك. فإذا كان كلا

^{٦٣} نجم الدين قادر كريم الزنكي، نظرية السياق، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ص ٦١.

^{٦٤} محمد عباس الباز، الحذف البلاغي في الرسم القرآني، (بيروت: دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٢١م)،

ص ١١٩م.

^{٦٥} المثني عبد الفتاح محمود، نظرية السياقي القرآني، (عمان: دار وائل للنشر، ط ١، ٢٠٠٨م)، ص ١٥.

القولين يؤديان إلى التأكيد على العناصر الخارجية التي تؤثر على فهم النص والتقدير لأهميتها، فلا داعي للجدال في التسمية، سواء كانت قرائن مستقلة بذاتها أو جزء من مفهوم السياق. من خلال ما سبق بيانه من تعريف لمفردات مصطلح دلالة السياق القرآني لغة واصطلاحاً، يرى البحث أن مصطلح دلالة السياق القرآني هو مصطلح مستقل يدل على ما يوضح ما أراده الله تعالى من خلال دراسة الآيات القرآنية في ضوء ما قبلها وما بعدها من كلام الله، ومن خلال مراعاة ظروف نزولها وأسبابها ومواقفها، ومن خلال النظر إلى التناسق والترابط بين جميع أجزاء القرآن الكريم.

المطلب الثالث: حجية دلالة السياق القرآني

أولاً: الأدلة من القرآن الكريم

تنوعت الأدلة القرآنية التي يستنبط منها حجية دلالة السياق القرآني واعتبارها في التفسير، فمن ذلك ما يأتي:

الدليل الأول: قال الله تعالى في كتابه العزيز: أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْذَلُونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ [البقرة: ٨٥]. ويقول العزيز الحكيم: الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ. قَوْلِكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ [الحجر: ٩١ - ٩٣].

في هذه الآيات، أُنذِر الله ووعد بالهوان والنكال في الحياة الدنيا والآخرة لمن تقبل جزءاً من الكتاب ورفض جزءاً آخر، ولم يحترم سياقه وتناسقه وانسجامه، وفصل بين ما يتعلق ببعضه. وفي ذلك دليل وإرشاد إلى أن كلام الله متصل ومتماسك كالكلمة الواحدة، فلا يجوز قطع الآيات القرآنية عن مواضعها والاستدلال ببعضها دون البعض، فهذا نوع من التحريف والفساد لكلام المولى، وانتهاك لغرضه منه وإتقانه، فمن انفصلها عن مواضعها أفسد هذا الإتيان، وضيع هذه الغاية، بل أوصل ذلك إلى الفساد والضلال المبين. يقول عبد الرحمن حبنكة: "تتم النصوص دلالاتها، ضمن أسلوب القرآن في تقسيم الأفكار التي يريد إظهارها على النصوص"^{٦٦}.

^{٦٦} عبد الرحمن حبنكة الميداني، معارج التفكير ودقائق التدبر، (دمشق: دار القلم، د.ط، ٢٠٠٠م)، ج ١٠، ص ١٢١.

فلا بد من النظر فيه على هذا النحو وإلا كنا ممن جعل القرآن عضيّن، إذ اجتزاء الكلام عن سياقه والإيمان ببعضه والكفر ببعضه هو مذهب الضالين^{٦٧}.

الدليل الثاني: قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ [النحل: ١١٨]. والذي قصه الله من قبل هو ما ذكره الله في سورة الأنعام، قال تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦].

في آية سورة النحل التي تشير وتحيل إلى ما سبق ذكره في سورة الأنعام، نجد دليلاً على ارتباط آيات القرآن ببعضها وتوجيهها للناظرين في سياقاتها المتنوعة وجمعها مع بعضها لفهم ما أراده الله. فالقرآن يشرح بعضه بعضاً^{٦٨}.

الدليل الثالث: قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

هاتان الآيتان تدعواننا إلى التأمل في كلام الله والبحث عن حكمته وبيانه، فهذا هو الهدف من نزول القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي الآية الثانية توضيح لفائدة التأمل في القرآن الكريم، وهي أنه يزيدنا إيماناً بأنه كتاب منزل من عند الله سبحانه وتعالى، لأنه لا يحتوي على أي تناقض أو خطأ. ولا يمكن أن نفهم القرآن الكريم بشكل صحيح، ولا نستشعر جماله وعظمته، إلا إذا نظرنا إليه من منظور لغوي يراعي دقة معاني الألفاظ والعبارات، ومن منظور معرفي يشمل كافة جوانب الحياة والدين الشاملة^{٦٩}.

الدليل الرابع: الأسماء الحسنى في ختم الآيات: تحدّث العلماء عن ختم الآيات بذكر بعض أسماء الله الحسنى ومناسبة ذلك لسياق الآية، وأن ما سبق ذكره في الآية هو مقتضى هذه

^{٦٧} انظر: عبد الله عبد الرحيم طحان، دلالة السياق ومدى اعتبارها في استدلالات الكلي من القرآن الكريم، (رسالة ماجستير غير منشورة، قطر: جامعة قطر، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م)، ص ٣٣.

^{٦٨} انظر: رائد عبد دراج، "أسلوب الإحالة في القرآن الكريم"، بغداد: مجلة العلوم الإسلامية، (١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م)، ص ١٦٣.

^{٦٩} انظر: لمهابة محفوظ محمد الشنقيطي، "مفهوم التدبر السياقي وتطبيقاته دراسة في القرآن الكريم"، القاهرة: مجلة كلية أصول الدين، المجلد ٣٤، العدد ٣٤، (٢٠٢١م)، ص ٨٥١.

الأسماء الحسنى، فيأتي الختام موافقا لسياق الآية في ختم الآيات؛ ليدل على أَنَّ الْحُكْمَ المذكورَ لَهُ تَعَلُّقٌ بذلك الاسم الكريم^{٧٠}.

ثانياً الأدلة من السنة المطهرة

السنة النبوية مصدر من مصادر التشريع، وهي مبينة وشارحة للقرآن الكريم، قال الله تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [النحل: ٤٤] وقال تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) [الحشر: ٧] فلا بد من اتباع أثر النبي ﷺ وسنته في مختلف جوانب الحياة، ومن ذلك تفسيره وتعامله مع القرآن الكريم، والأخذ بذلك وتقديمه على من سواه، وقد جاءت أحاديث وشواهد تثبت اعتماد النبي ﷺ على السياق في تفسيره للقرآن الكريم، وكشفه لما أشكل على الصحابة الكرام من فهم لبعض الآيات، فمن ذلك:

الدليل الأول: أخرج الشيخان عن عبد الله بن مسعود له قال: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، وَقَالُوا: أَيْنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: لَيْسَ ذَلِكَ، إِنَّمَا هُوَ الشَّرْكَ أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^{٧١} [لقمان: ١٣]

النبي ﷺ أوضح لهم معنى الآية وأنها تشمل كل أشكال الظلم، ولكنه خص منها الشرك بالله، واستدل على ذلك بالآية الأخرى في سورة لقمان. وبهذا علمهم النبي كيفية فهم الآيات بالرجوع إلى سياقها وعلاقتها ببعضها.

الدليل الثاني: عن عائشة رضي الله عنها قالت: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]. قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرِبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: لَا يَا بِنْتُ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ

^{٧٠} انظر: كريم إمام، مختصر قواعد التفسير، (مصر: دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع، د.ط، ٢٠١٨م)، ص ١٤.

^{٧١} أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، (دمشق: دار ابن كثير، ط ٥، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ج ٣، ص ١٢٦٢، رقم ٣٢٤٦.

يَخَافُونَ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ أَوْلِيَّتُكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ^{٧٢} [المؤمنون: ٦١].
فقد التبس الأمر على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فهم الآية وظنت أنها نزلت فيمن يفعل المعاصي من زنا وشرب خمر وغير ذلك، فبين لها النبي أن معنى الآية محصور فيمن يفعل الطاعات ويخاف ألا تقبل منه بدليل سياق الآية التي بعدها، فالمؤمنين جمعوا الإحسان بعمل الطاعات والإشفاق من عدم قبولها، وأما المنافقون فجمعوا الإساءة مع أمن العقوبة، يقول القنوجي في تفسير هذه الآية: أي خائفة أشد الخوف من أجل ذلك الإعطاء يظنون أن ذلك لا ينجيهم.^{٧٣}

ثالثاً: الأدلة المنقولة عن الصحابة الكرام رضي الله عنهم

وقد سار لصحابة رضي الله عنهم على منهج النبي صلى الله عليه وسلم في التفسير بالسياق والنظر إلى ما يدل عليه في تفسير القرآن العظيم، فالسياق مصدر هام من مصادر التفسير عند الصحابة رضي الله عنهم، ومن ذلك تفسير علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما سأله رجل قائلاً: «يا أمير المؤمنين، أرايت قول الله: (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً)، وهم يقتلوننا فيظهرون ويقتلون؟ قال له علي اذنه، اذنه ثم قال: ﴿فإن الله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً﴾، يوم القيامة^{٧٤}.

فقد فهم السائل هذا الجزء من الآية على أنه عام وغير مقيد، فتعارض ما فهمه مع الحقيقة، والسبب في ذلك أنه لم ينظر إلى باقي الآية وما يتصل بها، فأخطأ في استنباط المعنى، فأرشده علي رضي الله عنه، إلى أن ينظر إلى السياق الذي جاءت فيه الآية، فبينت له معنى الآية بناء على موضوعها، وهو يوم القيامة.

^{٧٢} محمد بن عيسى بن سورة الضحاك الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، (مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ٢، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م)، ج ٥، ص ٣٢٧، رقم ٣١٧٥، خلاصة حكم المحدث: صحيح.

^{٧٣} أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، (بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، د. ط، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م)، ج ٩، ص ١٢٩.

^{٧٤} أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (مكة المكرمة: دار التربية والتراث، تحقيق محمود محمد شاكر، د. ط، د. ت)، ج ٩، ص ٣٢٨.

ومن الأمثلة كذلك على هذا النوع قول سعيد ابن جبير في قوله تعالى: فَذَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي [مريم: ٢٤] قال: عيسى، أما تسمع الله يقول فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ [مريم: ٢٩]، وهذا ما رجحه ابن جرير رحمه الله مراعاة للسياق القرآني^{٧٥}.

رابعاً: الأدلة العقلية على حجية دلالة السياق القرآني

دل العقل على أن السياق القرآني دليل حجي لمن لهم أفهام وعقول نيرة، وذلك لأسباب منها: أولاً: أن القرآن نزل باللغة العربية الواضحة، فلا بد من تفسير الكلمات بما تشير إليه في اللغة واستخداماتها وقواعدها، مع مراعاة بلاغة القرآن العميقة. ومن ذلك أن بعض الكلمات تأتي مجازية، وبعضها مشتركة، تحمل أكثر من معنى، فيجب اختيار المعنى المناسب للسياق. ومما يعين قارئ القرآن أو مفسره على حسن الفهم أن يتبع الكلمة القرآنية في مضامينها المختلفة في القرآن، فذلك أحق بأن يتبين له حقيقة معناها، ولا يحيد عن الصواب في معرفة مدلولها^{٧٦}.

ثانياً: إن مما يؤكد حجية دلالة السياق تمييزه عن غيره، لأن بلاغته وفصاحته تظهر من خلال نظمه وسياقه. وهذا ما جعل الأعرابي يستطيع التفريق بين كلام الله وغيره، ويصح قراءة الأصمعي إمام العربية حين أخطأ في قوله. يروي الأصمعي: كنت أقرأ هذه الآية: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]، فسهوت فقلت: واللّه غفور رحيم. فقال لي أعرابي: هذا من كلام الله. فأعدت فقلت: واللّه غفور رحيم. فقال: هذا ليس من كلام الله. فانتبهت فقلت: واللّه عَزِيزٌ حَكِيمٌ. فقال: صدقت هذا من كلام الله. فسألته: هل تقرأ القرآن؟ قال: لا. قلت: فكيف عرفت أنني أخطأت؟ قال: يا هذا، العز والحكمة تناسب العقوبة، والغفران والرحمة تنافيها. لو كان غفوراً

^{٧٥} انظر: الطبري، جامع البيان، ج ١٨، ص ١٧٤.

^{٧٦} أيوب جرجيس عطية، الخطاب القرآني بين إشكالية الفهم ودلالة النص، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ط، ٢٠١٢م)، ص ١٢.

رحيماً ما قطع أيديهم. إن هذا الأعراي رغم جهله وعدم قراءته للقرآن الكريم، استشعر التضاد بين بداية السياق ونهايته. فعرف بسبب سياق الآية أن هذا ليس بكلام أحكم الحاكمين^{٧٧}.
 ثالثاً: استنبط العلماء من ترتيب القرآن الكريم أسراراً وحكماً جليلاً، فقد ذكر الإمام الزركشي في البرهان أنه ينبغي في كل آية أن يبحث أولاً عن كونها تكملة لما قبلها أو مستقلة، فإن كانت المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها^{٧٨}، يقول الإمام الفخر الرازي: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط^{٧٩}. كما استنبطوا من سياق القصص لطائفاً وحكماً كثيرة قال الإمام الغزالي: إن القرآن الكريم يخفي أسراراً في قصصه وأخباره، فعلينا أن نجتهد في استخراجها لنرى من عجائبه ما يجعلنا نحتقر العلوم الباطلة الزائفة عنه^{٨٠}. والمقصود من هذا الكلام: إنه لا يمكن فهم القرآن الكريم بشكل صحيح إلا بمراعاة سياقه ونظمه، فإذا تجاهلنا ذلك فقد نفقد فائدته ونجعله مسخرة لأهل الضلال والشبهات، ولذلك يجب علينا أن ننظر إلى القرآن بعين التأمل والتدبر؛ لأن ذلك له أثر كبير في فهم مراد الله تعالى منه.

المطلب الرابع: خصوصية الدلالة في السياق القرآني

تظهر خصوصية دلالة السياق القرآني التي تميزه عن باقي السياقات من خلال ملامح متعددة، يمكن إجمال أهمها فيما يأتي - :

أولاً: الإحكام وحسن الصياغة

تبرز في السياق القرآني سمة الإحكام والترابط في سرده، وبلغ من الترابط والتماسك بين كلماته وآياته وسوره غاية كبيرة، فلا يناظره أي كلام آخر في سعته وتنوع مقاصده وأساليبه وتنوعه في المواضيع والقصص والأحكام وما إلى ذلك من تتابع المعاني حيث تترابط المعاني الفرعية لخدمة

^{٧٧} أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٤م)، ج ٢، ص ١٨٥.

^{٧٨} أبو عبد الله محمد بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ط، ٢٠١٨م)، ص ٤٣.

^{٧٩} فخر الدين محمد بن عمر الرازي، مفاتيح الغيب، (مصر: المطبعة المصرية، د. ط، ١٨٧٢)، ج ٣، ص ٣٥٥.

^{٨٠} أبي حامد محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، د. ط، ٢٠١٨م)، ج ٤، ص ٣٥٦.

المعنى الأصيل الوارد ذكره في السورة أو المقطع فتسير سيراً منتظماً موجهاً من قبل المتكلم، غير مشئت أو مبعثر، في سلك الألفاظ القرآنية باعتبار أن اللفظ القرآني هو الحامل للمعاني^{٨١} والأسلوب القرآني عموماً هو نسق معجز حين يأتي بالحذف، وحين يأتي بالذكر كذلك. والغرض من وراء ذلك كله أهداف نفسية يقصد القرآن تحقيقها في كيان السامع أو القارئ لآياته وسوره^{٨٢}.

فالسباق القرآني ببلاغته المعجزة، يفتح باب التأمل للوقوف على سر عظمة البلاغة القرآنية، ومراعاة أجواء السور والسياقات، وقدرتها التوصيلية على نقل المشاهد الحية، وما يحيط بها من الظروف والملابسات بكل صدق وأمانة.^{٨٣}

ثانياً: من خصائص السياق القرآني انتقاء اللفظ الملائم تماماً للدلالة العامة لجو السياق فعلى سبيل المثال في سورة الحج، حيث استخدم الله تعالى لفظة (حريق)، لأن هذه اللفظة وقع عظيم في الأداء يدخل في النفس بعمق أبلغ من لفظة (نار) المذكورة في سورة السجدة، وهذا الانتقاء أوفق في بيان المراد وترسيخ الصورة المرعبة في الأذهان من استعمال لفظة (نار)، فقوله (حريق) يريد بها عذاب نار محرقة ملتهبة والنار اسم جامع للملتهبة منها وغير الملتهبة، وإنما الحريق صفة لها يراد أنها محرقة موجعة، وهذا لمضاعفة بث الخوف والتوجس والهيبة من هذه النار في نفوس الكافرين، ولعل الإعجاز القرآني الدقيق للألفاظ وصلتها بالمعاني المحيط بها كلاً واحداً^{٨٤}. وبفي قول الإمام ابن عطية بالغرض في هذا الخاصة حين قال: "كتاب الله لو نزعتم منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد، ونحن تبين لنا البراعة

^{٨١} انظر: المثني عبد الفتاح محمود، نظرية السياق القرآني، (عمان: دار وائل للنشر، ط ١، ٢٠٠٨م)، ص ١٦.

^{٨٢} انظر: عبود شلتاغ، الإعجاز القرآني أسلوباً ومضموناً، (بغداد: دار المرتضى، د. ط، ١٩٩٣م)، ص ٥١.

^{٨٣} انظر: عدنان مهدي الدليمي، الإعجاز البلاغي في القصة القرآنية، (عمان: دار غيداء للنشر، د. ط، ٢٠١٣م)، ص ٣٣٨.

^{٨٤} انظر: سيروان عبد الزهرة الجنابي، الاطلاق والتقييد في النص القرآني قراءة في المفهوم والدلالة، (الأردن: دار صفاء للنشر والتوزيع، ٢٠١٢م)، ص ٣٠١.

في أكثره ويخفى علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق وجودة القرينة وميز الكلام^{٨٥}.

ثالثاً: التناسب من خصائص السياق القرآني، وهو ذلك الذي يظهر في انسجام الكلمات في تجاورها، وتعاطفها بترتيب متقن دقيق، فلمتمعن في نظم سور القرآن وآياته وبدائع ترتيبه يتبين له أن القرآن مصدره من عند الحكيم الخبير، ولقد كان اعتقاد علماء القرآن بتوقيفية ترتيب الآيات والسور دافع بحثهم عن أسرار ترتيبها ومناسبات اقترانها، فلذلك نهجوا في دراساتهم من الإيمان بأن التناسب في القرآن حقيقة جوهرية، وأن أكثر الطائفتين القرآن مودعة فيه^{٨٦}. ومن أمثلة التناسب في فواصل الآيات التالية: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَنُلِ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١ - ١٥٣]. فإننا نجد هنا كالتالي: الأولى: (تَعْقِلُونَ) والثانية: (تَذَكَّرُونَ) والثالثة: (تَتَّقُونَ).

ومن أجوبة العلماء على ذلك أنه لما كانت المحرمات الأولى لا يقع فيها عاقل، جاءت العبارة: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، والمحرمات الأخر شهوات، وقد يقع فيها من لم يتذكر، جاءت العبارة: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، والسير على الجادة المستقيمة يتضمن فعل الفضائل، ولا بد من تقوى الله جاءت العبارة: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^{٨٧}.

^{٨٥} عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٢هـ)، ج ١، ص ٥٢.

^{٨٦} فضيلة عظيمي، التناسب السياقي في القرآن الكريم، (عمان: مركز الكتاب الأكاديمي، ط ١، ٢٠١٩م)، ص ١٤٩.

^{٨٧} ابن عطية، المرجع نفسه، ج ٣، ٣٦٤.

رابعاً: عدم قابلية السياق القرآني للتفكيك أو التجزيء، فالقرآن يتسم بالترابط والتشابك بين آياته، فلا انفصال ولا انقطاع، وذلك يعود لترابط المعاني وتتابعها، فالقرآن كلام واحد وسياق متواصل من أوله إلى آخره.^{٨٨}

خامساً: دلالات السياق القرآني تستنبط من خلال نصوصه وحدها ومقارنة بعضها ببعض مع الاستعانة بما هو خارجي مما صح عنه عن الرسول ﷺ^{٨٩}

سادساً: معاني الكلمات القرآنية يحدده سياقها: من خصائص الكلمة القرآنية أنَّ معناها لا يتحدد إلا بسياقها الذي ترد فيه، فالسياق القرآني هو الذي يحدّد معاني الكلمات، فيعطيها معناها السياقي الذي تتحدد به تماماً في الآيات البينات. ومن ذلك أيضاً أن الكلمة تتكرر والمعنى مختلف بسبب السياق ومن الأمثلة على ذلك الكلمات، الروح والنفس، والقرية، والمدينة، والبلد، والنور، والظلمات، وغيرها^{٩٠}. فالقرآن الكريم له خاصية فريدة لا توجد في غيره من الكتب، وهي أن معناه يتعدى حدود الكلمة، والجملة، والعبارة، بل يتأثر بسياق السورة كاملة، وقد تؤثر السور المجاورة أيضاً في فهم المقصود، ولذلك فإن وجود الكلمة أو حذفها من السياق القرآني له كبير الأثر^{٩١}. قال الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين" إن الكلمات تتغير معانيها بحسب السياق الذي تستخدم فيه، وأشار إلى أن القرآن الكريم استخدم بعض الكلمات في معان خاصة لها علاقة بالموضوعات التي يتناولها. فمثلاً، لم يذكر الله سبحانه وتعالى كلمة "الجوع" إلا في سياقات تتعلق بالعذاب أو الفقر أو الضعف، ولم يذكر كلمة "المطر" إلا في سياقات تتعلق بالانتقام أو النعمة. وهذا يختلف عن استخدام الناس لهذه الكلمات في حالات أخرى لا تحمل هذه المغزى. وأضاف الجاحظ أن كثيراً من المفسرين لا يدركون هذه الخصوصية الدلالية في القرآن، ويفسرونه بحسب ما يعتقدونه أو ما يرونه مناسباً، وبذلك يخرجون عن

^{٨٨} انظر: المثنى عبد الفتاح محمود، نظرية السياق القرآني، (عمان: دار وائل للنشر، ط ١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ص ٥٨.

^{٨٩} انظر: محمد كنفودي، بناء دلالة المفهوم في القرآن نحو منهج توحيدي لقراءة مفاهيم نصوص القرآن، (عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠١٩م)، ص ٢٥.

^{٩٠} انظر: عبد العزيز عيادة الوكاع، الثراء اللغوي والتنوع البياني في السياق القرآني، (عمان: دار الخليج للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٢١م)، ص ٢٠.

^{٩١} محمد عباس الباز، الحذف البلاغي في الرسم القرآني، (مصر: دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٢١م)، ص ١١١.

المقصود منها^{٩٢}. وبعبداً عن الرواسب الفكرية التي يحملها المفسر ويسقطها على القرآن بما يخرجها عن بلاغته وسياقه، وذلك حتى لا يخرج المصطلح الشرعي عن مدلوله الأصلي، فلا يؤخذ بمعنى الكلمة منفردة بل يجب مراعاة السياق أو تركيب الكلام، للوقوف على المعنى الحقيقي للآية الكريمة إن ترتيب الكلمات داخل الجملة يُعطيها نوعاً من الترابط، لتشكل مع بعضها البعض المعنى المقصود من الجملة كاملةً، ولا يمكن الوصول إلى المعنى المقصود إلا عندما يقف الباحث عند دلالات النص داخل سياقها، لأن المفسر والفقهاء والأصوليين محتاج إلى معرفة دلالة السياق لإدراك المعنى على الوجه الصحيح^{٩٣}

رابعاً: خصوصية مادته اللغوية: يقول ابن القيم " إن للقرآن ضوابط وقواعد خاصة به، ومعاني متفقاً عليها لا يصح تأويلها بما يخالفها، ولا يحل تفسيره بما لا يتوافق مع ضوابطه والمعاني المشهورة منه، فإن معاني القرآن مرتبطة بألفاظه كما أن ألفاظه مرتبطة بمعانيه، فلا يجوز نقله على المعاني الضعيفة بحجة الإمكان اللغوي البلاغي^{٩٤}"

إن فهم القرآن الكريم يتطلب النظر في المادة اللغوية للفظ المراد تفسيره، من خلال الوقوف على دلالة اللفظ عَصَرَ نزول القرآن؛ لتحقيق معناه اللغوي، ومن ثم الانتقال إلى المعنى الاستعمالي للكلمة، بتتبع ورودها فيه، والاهتداء إلى معانيها الاستعمالية في القرآن الكريم، لا سيما أنَّ النظم القرآني اكتسب به قسم من الألفاظ دلالات خاصة من معانيها العامة، وصار لبعضها دلالة جديدة غير معهودة سابقاً، تطلبها السياق القرآني^{٩٥}.

^{٩٢} عمرو بن بحر بن محبوب الكناشي الشهير بالجاحظ، البيان والتبيين، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ط، ١٤٢٣هـ)، ج ١، ص ٤١.

^{٩٣} انظر: منير سعدي، "قراءة في السياق وخصوصية الدلالة في القرآن الكريم"، الجزائر: مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، المجلد ١٤، العدد ١، السداسي الأول، (٢٠٢٢م)، ص ٢١١-٢١٢.

^{٩٤} أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، تحقيق: أحمد عبد السلام، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، ١٩٩٤م)، ج ٣، ص ٢٤.

^{٩٥} محمود حسني عبد الوهاب، "الدلالة القرآنية المفهوم والخصوصية"، مصر: مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المنيا، العدد ٨٤، (٢٠١٧م)، ص ٦٣.

سابعاً: مرونة دلالة السياق القرآني: تسمح المرونة للدلالة السياقية للقرآن بتعدد الأقوال إذا كان النص يحتمل ويتسع لوجوه شتى ولها شواهد مساندة من القرآن والسنة الصحيحة؛ وهذا يعد تفعيل لعقل المجتهد وفق الضوابط، وإعمال لدلالات النص القرآني المتسعة^{٩٦} ثامناً: خصوصية الدلالة الزمنية: قال ابن تيمية: فمنهم من اهتموا بالمعنى الذي استنبطوه من غير النظر إلى ما تدل عليه كلمات القرآن من الإشارة والتفسير. ومنهم من اهتموا باللفظ فقط وما يحتمل أن يعبر عنه العربي، من غير النظر إلى ما يليق بالمتكلم به وبسياق الكلام^{٩٧}.

المطلب الخامس: ضوابط اعتبار دلالة السياق القرآني

تطرح دلالة السياق مشكلة تتعلق بتحديد موقعها في النص، وطريقة الوصول إليها، والمعايير التي ترشد المجتهد لها. فالألفاظ يستدل على معانيها بما سبقها من الكلام، وما بعده، وأحياناً الكلمة تنمرد على الأسلوب، فلا تعطي ريادة للقرينة في تحديد معناها. هناك مجموعة من القواعد الأصيلة والضوابط الموضوعية كأساس لضبط مسار الاجتهاد في فهم النص وتفسيره في إطار من الأصول العربية والأدلة الشرعية، وهو بمثابة صمام أمان للتحكم في المفهوم والتفسيرات والاستنتاجات، وإذا كان السياق هو المسار الذي يوجه البيان، ويوضح المراد من الكلمات، فهو كذلك يفتقر إلى معالم توضحه، وقرائن تكشف سره. وفي هذا المطلب ندرج إشارات ومعالم تنير الطريق للنظر المتأمل في نصوص الشريعة، وتحلية الضال والمستعصي من دلالات السياق، وآياته القريبة والبعيدة. وهناك نوعان من الضوابط: ضوابط عامة وضوابط ترجيح السياق^{٩٨}.

القسم الأول: ضوابط عامة في السياق القرآني:

^{٩٦} انظر: قطب الريسوني، النص القرآني من ثغافت القراءة إلى أفق التدبر، (المملكة المغربية: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط ١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، ص ٤٨٢.

^{٩٧} أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن السلام أبي القاسم بن محمد ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، (بيروت: دار مكتبة الحياة، د. ط، ١٤٩٠هـ/١٩٨٠م)، ص ٣٣.

^{٩٨} محمد ربيعة، علم السياق القرآني قواعد وضوابط في السياق، (ملتقى أهل التفسير، ٢٤/٢/٢٠٠٧م)،

أولاً: استشعار هيبة النص الشرعي^{٩٩}

من أجل فهم النص الشرعي واستخراج الأحكام والواجبات منه، يجب على المهتم بذلك أن يعلم ما هو مصدر النص. فإذا أدرك المتأمل في النص أنه يقرأ كلام الله عز وجل، المنزل من عنده سبحانه وتعالى، فسيكون من السهل عليه تحقيق شيئين أساسيين: أحدهما هو احترام هذا الكلام وتقديسه وتعظيمه. والآخر هو التفكير في الصفات التي يشملها المنزل (الله تعالى). كتاب الله وسنة رسوله، واللذان يتميزان بخصائص إلهية، تجعلهما معصومين، وبعيدتين تماماً عن كل عيب وزلة.

يجب على من يسعى إلى فهم النص الشرعي والوصول إلى مقاصده بدقة وأمانة أن يدرك أن النص الإلهي لا يقتصر على زمان معين أو مكان محدد أو شخص خاص، بل هو شامل وعام لجميع البشر في كل عصر ومكان وبلد، وأن هذا النص يتمتع بقوة وفاعلية وقدرة على التأثير في حياة الناس، وأنه يحمل في طياته مبادئ وأسس ونظم تساهم في تنظيم حياة أفضل، وتضمن توافق التشريع الإسلامي مع كل مستجد على مر الزمان.

يؤثر هذا الاستشعار بشكل إيجابي على من يتعامل مع النص، ويدفعه إلى التفكير في صفات مصدر النص من العدل والحكمة والرحمة والصدق والرقابة، مما يجعله ينظر إلى النص من منظور الإيمان، فيفهم بعض المعاني والمقاصد التي قد تغيب عن كثير ممن ينظر إلى النص من منظور خارجي، بمعزل عن الإيمان ومصدره، مما يجعله يفتقد الموضوعية والأمانة والالتزان. وهذا البعد ضروري للناظر في النص الشرعي؛ لأنه يحميه من السقوط في الشطط والغلط.

أولاً: الضابط النقلي

من الضوابط التي لا بد أن توضع في مقدمة الاعتبار عند الأخذ بالسياق القرآني هو الضابط النقلي، وهو كل ما ثبت عن النبي (ﷺ) من إيضاح آيات، أو مبهمات، أو تخصيص عام، أو

^{٩٩} انظر: الحسين بن الحسن الحيان، السياق وفهم النص الشرعي، (الرباط: الرابطة المحمدية لعلماء المغرب، جمادي

الثانية/يونيو/٢٠٠٧م)، ص ٥٦٩-٥٧٤

تقييد مطلق سواء كان هذا البيان من قبيل تفسير القرآن بالقرآن أو غيره، وكذلك كل ما صح عن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم مما لا دخل فيه للاجتهاد العقلي والرأي^{١٠٠}.

ثانياً: الضابط اللغوي

ويتم ذلك برد القرآن إلى بعضه البعض، فالنص الشرعي وحدة متكاملة، يفسر بعضه بعضاً، فما أشكل في موضع فقد ورد بيانه في موضع آخر، وبذلك تُعرف العادة اللغوية التي في القرآن والسنة. ولا يصح حمل النص رأساً على الاحتمال اللغوي "إذا أردنا البحث في معنى لفظ من القرآن والحديث، فعلينا أن نجمع كل النصوص التي تشترك معه في اللفظ أو المعنى أو السياق. هذه النصوص تسمى بالنظائر والأشباه، وهي تساعدنا على فهم لغة القرآن والحديث وسنة الله ورسوله في خطابهم للعباد. ولا يمكن أن نفسر كلامهم بما يخالف عاداتهم المشهورة في التعبير، أو بما لم يكن موجوداً في زمانهم من عادات أو مصطلحات، كما يقع في ذلك خطأ بعض الناس دون قصد^{١٠١}".

ويجب أن نفهم كلام الله تعالى بما يتناسب مع المعاني والأوجه المختلفة التي يدل عليها السياق، سواء كانت مستوحاة من اللغة أو البلاغة أو الإعراب. ولكن لا يصح أن نقبل كل ما ورد في اللغة على أنه مطابق لآيات التنزيل، فالقرآن هو أشرف الكلام، ويجب أن نفسره بأفضل الوجوه وأجلها. وعادة ما يشير السياق إلى المعنى الصحيح الذي يتماشى مع مضمون الآية ولا يخالف المنقول عن الله تعالى^{١٠٢}.

^{١٠٠} انظر: المثني عبد الفتاح محمود، نظرية السياق القرآني، (الأردن: دار وائل للنشر، ط ١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)،

ص ١٢٨، وانظر: قطب الريسوني، النص القرآني من ثقافة القراءة إلى أفق التدبر، (المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط ١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، ص ٤٥٣

^{١٠١} علاء الدين حسين صديق رحال، "دور السياق في فهم النصوص الشرعية واستنباط الأحكام"، جامعة القصيم: مجلة العلوم الشرعية، مجلد ١٠، العدد ٤، (يوليو ٢٠١٧م)

^{١٠٢} انظر: مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، (المملكة العربية السعودية: دار الجوزي، ط ١، ١٤٣٢هـ)، ص ٦٢٦.

ثالثاً: ضوابط اللوازم والمناسبات

السياق هو كل ما يحيط بالنص من عوامل تساعد على فهمه وتفسيره بشكل صحيح. ومن هذه العوامل ما يتعلق بالنص نفسه، مثل الأشباه والنظائر، وهي الآيات أو الأحاديث التي تشابه النص في المعنى أو اللفظ أو الحكم. ومنها ما يتعلق بالظروف المحيطة بالنص، مثل الزمان والمكان والسبب، والمقصد والمخاطب والمتكلم. هذه الظروف تسمى اللوازم والملابسات، وهي تؤثر على فهم النص وتطبيقه.

ولذلك، فإن دراسة السياق تتطلب التعرف على عناصر النص المراد بحثه، ثم البحث عن عناصر السياق المتعلقة به من خلال استخدام مصادر موثوقة، مثل كتب التفسير، والحديث، والتاريخ، واللغة. وبهذا يمكن للباحث أن يفهم النص بشكل أوسع وأعمق، وأن يستخرج منه الحكم المناسب لزمانه ومكانه^{١٠٣}.

يجب على من يريد فهم النص الشرعي من خلال السياق أن ينتبه إلى جميع جوانبه وعوامله. ولكن لا يكفي أن يكون لهذه الجوانب والعوامل صلة بالسياق، بل يجب أن تتوفر فيها شروط معينة تجعلها مؤثرة في الفهم. فالسياق كالأدلة، لا يقبل كل دليل فيه. ولذلك فإنه يشترط في كل عنصر من عناصر السياق أن يكون مقبولاً وموثوقاً. ولتحقيق ذلك فإنه يجب أن يحمل شرطين: الأول أن يكون معتبراً علمياً، أي أن الدليل الذي يثبت هذا العنصر يكون قوياً وصحيحاً بحيث يكون هناك ارتباط وثيق بين صحة الدلالة في حد ذاتها وصلاحياتها للاستدلال؛ فقد يصح الدليل، ولا يصح الاستدلال به إذ لا تدل الدلالة عليه، وإنما أتي به من أجل تحقيق نزوة أو لدعم عقيدة أو لتأسيس فكرة.

والشرط الثاني أن يكون العنصر واضحاً وحقيقياً، قوياً في صلته بالنص، أي ألا يكون متوهماً. وخلاصة القول إن اعتبار السياق مفيد في الفهم السليم للنص الشرعي وفي حسن العمل به وتنزيله عجب أن يكون العنصر مرتبطاً بالنص بشكل واقعي وواضح، وليس مجرد تخيل. والملخص هو أن السياق يساعد على فهم النص الشرعي بشكل صحيح وتطبيقه بشكل جيد على موقعه. وطريقته تبدأ بالاستناد إلى قواعد اللغة وتفسير النص من حيث العربية، ثم

١٠٣ عبد الكريم عكيوي، منهج اعتبار السياق في فقه النص الشرعي وضوابطه، (الرباط: ندوة أهمية اعتبار السياق في المجالات التشريعية وصلته بسلامة الاستدلال، الرابطة المحمدية لعلماء المغرب، يونيو/٢٠٠٧م)، ص ٩٨

تحديد عناصره، ثم البحث عنها خارج النص. وفي عملية البحث يجمع بين نوعين من عناصر السياق وهما ما يشابه النص وما يناظره من النصوص المتقاربة والمتباعدة والتي لها علاقة به في جانب من جوانبه، وما يلزم النص وما يتضمنه من الظروف الزمانية والمكانية والأفراد والأحكام، فيضاف ذلك كله إلى النص المدروس، مع اتباع الرؤية الشاملة التي تشمل كل شيء في موضوع النص.

ومنهجه يقوم على تطبيق قواعد اللغة العربية وفحص النص من حيث الصرف والنحو والبلاغة، ثم تحديد مكوناته، ثم الاستدلال عليها من خلال مصادر خارجية. وفي هذه العملية يجمع بين عناصر سياقية من نوعين هما ما يشابه النص أو يناظره من النصوص المتقاربة أو المتباعدة التي ترتبط به في جانب من جوانبه، وما يتضمنه النص من ظروف زمانية ومكانية وشخصية وحكومية، فيضاف ذلك كله إلى النص المراد فهمه، مع اتباع الرؤية الشاملة التي تأخذ بعين الاعتبار كل ما يتعلق بموضوع النص. ويشترط في عناصر السياق أن تكون دلالتها قوية، وأن تكون حقائق وليست افتراضات^{١٠٤}. فالنص القرآني ينزل في سياقات تاريخية محددة، لكنه لا يقتصر عليها، بل يتجاوزها إلى العالمية والخلود. فالأسباب التي أنزل بها النص أو ورد فيها هي وسائل توضيحية تساعد على فهم المعنى والغرض، وأدوات منهجية ترشد إلى التصور والتطبيق. فالنص لا يقيده السبب الخاص، بل يمدّه بالقوة لمعالجة الحالات العامة والمستقبلية خارج حدود الزمان والمكان والأشخاص؛ لأن المقصود من النص هو الشمولية والحكمة، ولأن النص حي متجدد موجه.

٢: تنزيل البيان القرآني في سياقه المباشر وعدم تنزيله فيما لا يمكن تحمله

تعدد الأقوال التفسيرية في بيان النطق القرآني لا يعني أن الفهم مجال مفتوح بلا قيود، وأن القول مسألة نسبية عند الناس والبيئات. فهذا هو تحرير العقول غير المنضبط. بل إن السياق هو أحد الضوابط المحصنة التي تتصل بمعنى النص، من خلال المعنى المجرد للآيات القرآنية، ومن خلال

^{١٠٤} عكيوي، منهج اعتبار السياق في فقه النص الشرعي وضوابطه، ص ٦٠٢.

السياق القريب، والسياق العام، والوحدة القرآنية، ومن خلال عبارة النص، ومن خلال إشارة النص، تتولد المعاني^{١٠٥}.

لذلك يعتمد بيان النص القرآني في بعض السياقات على الأقرب من غيره، فإن الحمل على السياق الأقرب يكون له الأسبقية على السياقات الأخرى. وعندما يتعارض سياقان في معنى الآية، يكون أحدهما قريباً ويتبادر إلى الذهن والآخر بعيداً، حتى لو كانت الآية محتملة، فالأولى هو الاستمرار في سياقها القريب. ولقد ذكر ذلك محمد أبو موسى عند تحليله لسورة الأحزاب في أسرار التعبير القرآني: "وترى في هذه الوقفات ملمحاً بارزاً في أسلوب القرآن، انظر إلى السياق القريب من هذه الآيات، وهو سياق متعرج من مسار عام قد خطته السورة في عمق عجيب"^{١٠٦}.

٣: تنزيل الخطاب المتأخر على الخطاب المتقدم

النص الشرعي هو نص واحد متكامل في مصدره وبنائه وشموله وهدفه، وقد تم تشريعه وتكليفه بطريقة تدريجية، فالخطاب الذي نزل بعد الخطاب الذي سبقه يعتمد عليه في فهمه وبيانه، ويكون الخطاب السابق أساساً ومنطلقاً للخطاب اللاحق، الذي يضيف إليه ما يزين البناء ويكمل التشريعات والأحكام. وهذا التلاحم والتكامل بين النصوص المتقدمة والمتأخرة يظهر جلياً في العلاقة بين القرآن المكي والقرآن المدني. لذلك حث العلماء على أخذ الخطاب المتقدم بعين الاعتبار عند تفسير معاني وإشارات الخطاب المتأخر.

قول الإمام الشاطبي: يجب أن يكون الفهم للسور المدنية مرتبطاً بالسور المكية، وكذلك الفهم للسور المكية بينها وبين بعضها، والفهم للسور المدنية بينها وبين بعضها، وذلك بحسب ترتيب نزولها، فإن لم يكن كذلك فلا يصح. والدليل على ذلك أن الخطاب المدني في أغلب الأحيان مستند على الخطاب المكي، كما أن الجزء اللاحق من كل نوع منهما مستند على

^{١٠٥} انظر: سعيد حوى، الأساس في التفسير، (القاهرة: دار السلام، ط٦، ١٤٢٤هـ)، ج١، ٤٤٨.

^{١٠٦} محمد بن محمد أبو موسى، من أسرار التعبير القرآني، (القاهرة: مكتبة وهبة للنشر، د.ط، ٢٠١٢م)، ص٣٨٩.

الجزء السابق منه. ويمكن إثبات ذلك بالتحليل. وذلك يتم بإظهار ما هو ضمني، أو تحديد ما هو عام، أو تقييد ما هو مطلق، أو تفصيل ما هو مجمل، أو تكميل ما هو ناقص^{١٠٧} فالخطاب المتأخر يكشف أو يكمل أو يبين أو يؤكد ما جاء في الخطاب المتقدم الذي يتبع الأصول والقواعد والكليات. فالخطاب السابق هو مقام لتفسير الخطاب وإزالة الغموض عن دلالاته.

وهذا ما يظهر لنا من جهد الفقهاء في استنباط الحكم الشرعي من الخطاب النصي، والتفريق بين ما هو أصلي وما هو ثانوي في مقصود المتكلم. وقد بينوا أن هناك فرقاً بين خطاب يراد به التأسيس لحكم جديد، وخطاب يراد به التوكيد على حكم معلوم أو مشروع سابقاً. فإذا كان الخطاب يحمل على قصد التأسيس، فهو أقوى من الخطاب الذي يحمل على قصد التوكيد، إلا إذا وجد دليل يمنع من ذلك^{١٠٨}.

الضابط الخامس: الجمع بين سياق المقال والمقام

يعتبر الجمع بين سياق المقال وسياق المقام من أهم وسائل الوصول إلى المعنى الصحيح للخطاب، لأن معنى الخطاب الشرعي لا يصح بالأخذ بأحدهما دون الآخر؛ إذ لا يمكن فهم النص دون اعتبار لما يحيط به من مكونات لفظية ومقامات تُبين المقصود به، ومن ناحية أخرى، لا يتوسع في الأخذ بسياق المقام بدون ضوابط. فالتجاوز في سياق المقام على حساب سياق المقال لا يحفظ قدسية النص المنزل ومكانته كما هو الحال في الدراسات الغربية حيث تخضع النصوص المنزلة للنقد والمراجعة كأني نص أدبي^{١٠٩}.

^{١٠٧} أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات، (القاهرة: دار عفان، ط ١، ١٤١٧ هـ/١٩٩٧ م)، ج ٤، ص ٢٥٦.

^{١٠٨} انظر: محمد صدقي آل بوزنو، الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، (بيروت: مؤسسة الرسالة العالمية، ط ٤، ١٤١٦ هـ/١٩٩٦ م)، ص ٣٢٩.

^{١٠٩} انظر: كرم عبد الستار أحمد، السياق القرآني عند المفسرين بين ضوابط المعتدلين وقراءات الغالين، (مصر: جامعة الأزهر، حولية كلية أصول الدين، العدد ٣٣)، ص ٢٣٥٦.

المبحث الثالث: أنواع السياق القرآني وأهميته فهم الآيات القرآنية

المطلب الأول: أنواع السياق القرآني الداخلي والخارجي:

أولاً: السياق الخارجي

السياق في القرآن الكريم لا يشبه السياق في كلام البشر، فهو يتميز بخصوصية وتنوع في طرق التطبيق، وذلك بحسب ما يحتويه من قرائن وأحوال وعلاقات بين أجزائه المختلفة. فالسياق قد يكون مرتبطاً بمجموعة من الآيات التي تتحدث عن هدف واحد، أو قد ينحصر في آية واحدة تحمل معنى مستقلاً، أو قد يشمل السورة كاملة، ويتصل بما قبلها وبعدها، أو قد يشير إلى القرآن جميعاً، ويكون سياقه هو سياق القرآن. وهذا يعني أن هناك أنواعاً من السياق في القرآن الكريم، مثل سياق الآية، وسياق النص، وسياق السورة، وسياق القرآن. والغرض من ذلك هو إظهار التماسك والانسجام بين السياق الأعلى وهو سياق القرآن، وبين سياق كل سورة على حدة، وبين سياق كل مقطع من المقاطع، وبين سياق كل آية من الآيات. فهذه العلاقات تسهم في توضيح المعاني وتفسير الغامض^{١١٠}

ومن هذا القول تتضح أنواع السياق، وهي:

١. سياق الآية.
 ٢. سياق النص.
 ٣. سياق السورة.
 ٤. سياق القرآن.
- وتفصيل ذلك كما يلي:

النوع الأول: سياق الآية:

وفي هذا النوع يكون النظر فيما يكون الغرض في الآية، فإذا كان هناك خلاف في معنى آية فإننا ننظر في السياق، كوجود لفظ مشترك في الآية لا يتضح معناه إلا بمعرفة سياق الآية.

^{١١٠} انظر: حنان منصور أبو زيد محمد، الآراء الأدبية والنحوية لشيخ الإسلام ابن جماعة في ضوء كتابه كشف المعاني في المتشابه من المثاني، (مصر: ماستر للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م)، ص ٤٩.

مثال ذلك: لفظ جنة، فحينما تأتي بالتعريف (الجنة) بالألف واللام تكون أقرب كثيراً إلى استعمال الدار الآخرة، وحينما تأتي بالتنكير فإن الأمر يتوقف على السياق الذي ترد فيه، فأحياناً تأتي بالتنكير مضافة إلى الضمير فتكون أقرب إلى الاستعمال في الحياة الأرضية أو تأتي بالتنكير المتلو بجملة تجعلها معرفة ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ١٢١]، أو بالإضافة (جنة الخلد)، فسياق كلمة الجنة وما يتصل بها في السياق القرآني، سياق شديد الغنى والثراء^{١١١}

كذلك لفظ الإحصان الذي يطلق على الإسلام والعفاف، والحرية والتزويج ويتعين المعنى المراد منها بسياق الآية، ففي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [النساء ٢٥]، المراد بالإحصان هنا التزويج لدلالة السياق قال الشنقيطي في أضواء البيان: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ﴾ الآية، أي: فإذا تزوجن، وقول من قال من العلماء، إن المراد بالإحصان في قوله: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَ﴾ الإسلام خلاف الظاهر من سياق الآية، لأن سياق الآية في الفتيات المؤمنات حيث قال: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً﴾ [النساء: ٢٥]^{١١٢} - وقال ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية " أن المراد بالإحصان هنا التزويج لأن سياق الآية يدل عليه حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فِتْيَافٍ الْمُؤْمِنَاتِ﴾، والآية الكريمة ساقها في الفتيات المؤمنات فتعين أن المراد بقوله: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَ﴾ أي تزوجن كما فسره ابن عباس وغيره^{١١٣}. فقد اتفق الشنقيطي وابن كثير - رحمهما الله - على تحديد المعنى بدلالة سياق الآية^{١١٤}.

^{١١١} أحمد درويش، تأملات في جماليات النص القرآني، (مصر: دار نخضة مصر، د.ط، ٢٠١١م)، ص ١٨٥.

^{١١٢} محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، د.ط، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ج ١، ص ٢٣٣.

^{١١٣} أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩هـ)، ج ٢، ص ٢٢٩.

^{١١٤} انظر: تهاى بنت سالم بن أحمد باحويرث، أثر دلالة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني، (جامعة أم القرى: رسالة ماجستير غير منشورة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، ص ٧٧.

النوع الثاني: سياق النص

وهو المقطع المتحد في الغرض، ويتبين أثر هذا النوع من السياق في القصص والتشريعات، فيكون الترجيح أحياناً بناء على سياق النص. ومن أمثله في القصص:

ما ذهب إليه الإمام ابن كثير - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣]، تقول المرأة: ولست أبرئ نفسي، فإن النفس تتحدث وتتمنى؛ ولهذا راودته لأنها أمارة بالسوء، ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ أي: إلا من عصمه الله تعالى، ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام^{١١٥}.

ما قاله النحاس - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ﴾ [البروج: ١٣] في معناه قولان، قال ابن زيد يبتدئ خلق الخلق ثم يعيدهم يوم القيامة. وعن ابن عباس: "يبدئ العذاب في الدنيا ثم يعيده عليهم في الآخرة، قال أبو جعفر: وهذا أشبه بالمعنى؛ لأن سياق القصة أنهم أحرقوا في الدنيا ولهم عذاب جهنم^{١١٦}"

النوع الثالث: سياق السورة

لقد نظر العلماء في سياق السور، وبحثوا عن الغرض الرئيسي الذي تدور عليه السور، فوجدوا أن كل سورة تدور حول محور لها يعد الهدف أو الغرض الأساس الذي قامت عليه، وقد يكون في بداية السورة أو في وسطها أو في آخرها، ولا خلاف عليه، لذا تجد التناسب بين آيات السورة مع تعدد موضوعاتها، وليس هناك تكرار وإنما هو تفصيل وتوضيح يقتضيه السياق^{١١٧}. ومن الأمثلة على اعتبار سياق السورة قوله تعالى في سورة البقرة ﴿أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ (البقرة: ٦٠). وفي سورة الأعراف ﴿أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ

^{١١٥} أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩هـ)، ج ٤، ص ٣٣٨.

^{١١٦} أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل النحوي، إعراب القرآن، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١هـ)، ج ٥، ص ١٢١.

^{١١٧} انظر: أحمد حاجم الربيعي، أساليب الخطاب في القرآن الكريم، (الأردن: دار غيداء للنشر والتوزيع، د. ط، ٢٠١٧م)، ص ٦٠١.

فَأَنْبَجَسَتْ مِنْهُ أَثْنَتَا عَشَرَ عَيْنًا ﴿١٦٠﴾ [الأعراف: ١٦٠]، فلم يكن الاختلاف في التعبير باللفظ لمجرد التنويع فيه، بل هو مراعاة ما يناسب سياق كل سورة^{١١٨}

وفي سورة النحل قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١]. خصص الآية بوصف المنعم، وفي سورة إبراهيم خصص الآية بوصف المنعم عليه حيث قال: (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) [إبراهيم: ٣٤]، لأن سياق سورة إبراهيم في وصف الإنسان وما جُبل عليه فَنَاسَبَ ذِكْرُ ذَلِكَ عُقِيبَ أَوْصَافِهِ، وَأَمَّا سورة النحل فَسَيِّقَتْ فِي وَصْفِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِثْبَاتِ أُلُوْهِيَّتِهِ وَتَحْقِيقِ صِفَاتِهِ فَنَاسَبَ ذِكْرَ وَصْفِهِ سُبْحَانَهُ^{١١٩}

النوع الرابع: السياق العام للقرآن كله

وفي هذا يقول الشاطبي: " فإذا كان كذلك بعضه متوقف على البعض في الفهم، فلا محالة أن ما هو كذلك فكلام واحد، فالقرآن كله كلام واحد بهذا الاعتبار"^{١٢٠}، وهو بهذا يشير إلى وحدة المتكاملة بين آيات القرآن الكريم. فعند تلاوة آية قرآنية فإنه يتحتم علينا إدراك معنى اللفظ في الاستعمال اللغوي العادي والاصطلاحي وإدراك معنى اللفظ ضمن مجمل الألفاظ في القرآن، ومن ثم محاولة فهم دلالة اللفظ في السياق على مبدأ الوحدة البنائية المتكاملة في القرآن^{١٢١}

يقول عبد الوهاب الحارثي: "إن السياق قد يُضاف إلى مجموعة من الآيات التي تدور حول غرض أساسي واحد، كما أنه قد يقتصر على آية واحدة ويُضاف إليها. وقد يكون له امتداد في السورة كلها بعد أن يمتد إلى ما يسبقه ويلحقه، وقد يُطلق على القرآن بأكمله ويُضاف

^{١١٨} فضيلة عظيمي، التناسب السياقي في القرآن الكريم، (عمان: مركز الكتاب الأكاديمي، د.ط، ٢٠١٩م)، ص ٩٦.

^{١١٩} انظر: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م)، ج ١، ص ٨٦.

^{١٢٠} أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، (دار ابن عفان، ط ١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ج ٣، ص ٣٨١.

^{١٢١} انظر: فتحي حسين ملكاوي، منهجية التكامل المعرفي مقدمات في المنهجية الإسلامية، (واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، د.ط، ٢٠١١م)، ص ٢٢٣.

إليه، لذا فإن من واجب المفسر ألا يغفل عن هذا الارتباط وهذه الأبعاد، وعليه أن يعلم أن بتر السياق الخاص عن سائر السياقات من شأنه أن يؤدي إلى الميل عن ستن الصواب في التفسير^{١٢٢}.

المطلب الثاني: أنواع السياق القرآني الخارجي

للسياق המקامي، أو السياق الخارجي، دور بالغ الأهمية في تأويل النص القرآني، بوصفه مرجعاً دلاليّاً يحيل على منبع المعنى، وظروف تشكّله. وقد جرد له علماء القرآن صدرّاً محدوداً من التأصيل في مباحث مستقلة كأسباب النزول، والمكي والمدني، والناسخ والنسوخ، والتنجيم، وأحوال المخاطبين، وموضوع الخطاب، وغير هذا وذاك مما يدلي بسبب أو نسب إلى وقائع التنزيل وملابساته ومراحله.

وإذا كان العلم بالأسباب يورث العلم بالمسببات، فإن البصر بالسياق التاريخي للنص القرآني يفتح للمؤول مسارب التدبر، ويعينه على استخراج حكم التشريع، ويمكنه من تعديّة الحكم في الوقائع الواردة على سبب خاص إلى الوقائع المشابهة، انطلاقاً من دوال في فضاء النص ترشحه للانعتاق من أسر اللحظة التاريخية الضيقة والارتقاء إلى أفق الدلالة الزمنية الرحبية التي تجرد في كل عصر سلطتها، وبين الأجيال الحاضرة والقابلة، موقعها وعلى صيرورة التاريخ الممتد شهادتها ولذلك قالوا: إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب^{١٢٣}.

ومن هنا نخلص إلى صياغة القاعدة السياقية الآتية:

إذا تزامنت التأويلات في مورد التعارض قدّم الأقرب إلى سياق المقام أو الحال على

غيره

^{١٢٢} عبد الوهاب رشيد صالح الحارثي، دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم، (عمان: دائرة المكتبات والوثائق الوطنية، د.ط، ١٩٨٩م)، ص ٨٨.

^{١٢٣} قطب الريسوني، النص القرآني من ثقافة القراءة إلى أفق التدبر، (المملكة المغربية، منشورات وزارة الأوقاف، ط ١، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م)، ج ٢، ص ٤٧٨.

١. سياق السنة النبوية

السنة المطهرة مفصلة ومحللة لما أجمل من القرآن العظيم فكثير من المسائل والأحكام والحدود قد جاءت في الذكر الحكيم مجملة تحمل سمة العمومية، وكانت السنة تتولى تجزئة الإجمال وتحليل التعميم وتخصيصه حتى يكتمل فهم المسلمين ويحيطوا علماً بكل الدقائق والتفاصيل التي تلزمهم في تسيير حياتهم^{١٢٤}، ولقد ورد عن السيوطي أن من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولاً من القرآن. فما أجمل منه في مكان فقد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر منه، يضاف إلى ذلك السنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له^{١٢٥}. وقد قال الشافعي كل ما حكم به رسول الله فهو مما فهمه من القرآن قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥]. وقال: (أَلَا إِلَهِي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ يَعْنِي السَّنةَ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْهُ فِي السَّنةِ رَجَعَ إِلَى أَقْوَالِ الصَّحَابَةِ فَإِنْهُمْ أَدْرَى بِذَلِكَ مَا شَاهَدُوهُ مِنَ الْقُرَائِنِ وَالْأَحْوَالِ عِنْدَ نَزْوِلِهِ وَلَمَّا اخْتَصَوْا بِهِ مِنَ الْفَهْمِ التَّامِ).

٢. سياق التنزيل والمكي والمدني

إن الوقوف على السياقات المكانية والزمانية والبيئية التي نزلت فيها نصوص القرآن الكريم من أهم الطرق والسبل لفهم صحة التنزيل للنصوص في واقع الناس. إلا أن هذا الاعتناء بالسياق المكاني والزمني لا يعني على أية حال القول باختصاص ذلك السياق بالنص، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. فالعناية بفهم الظروف والأحوال والتعرف عليها لا يتعارض مع إطلاق وتعميم الآيات وأحكامها وعدم تخصيص وتقييد سبب النزول وشأنه. فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب^{١٢٦}.

^{١٢٤} بيسوني محمد الخولي، إحكام الإله العليم للقرآن العظيم، (مصر: الناشر خاص، ط ١، ٢٠٢٠م)، ص ٣٥٧.

^{١٢٥} عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م)، ج ٤، ص ٢٠٠.

^{١٢٦} انظر: "السياق الزمني والمكاني وأثره في فهم النصوص القرآنية"، الجزائر: مجلة الدراسات الإسلامية، العدد ٩، (٢٠١٧م)، ص ٣٨٠.

قد أمر الله تعالى بأحكام شرعية في زمان ومكان محددين، وفي ظروف ومناسبات خاصة، وذلك لأن هذه الأحكام تتناسب مع هذه السياقات، وتستجيب لحاجات الناس وظروفهم. ولو أن الله تعالى أنزل الأحكام كلها في وقت واحد، دون أن يربطها بالواقع، لما استطاع الناس فهمها واتباعها. فالقرآن الكريم نزل تدريجياً، متأثراً بالأحداث والأوضاع التي يمر بها المسلمون، مصلحاً وموجهاً، ومقيماً ومهدياً، ومنظماً ومشروعاً لحياتهم بما يحقق لهم الخير في الدنيا والآخرة. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى في كل من: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾ [سورة المجادلة: ١]، ﴿ويسئلونك عن الخمر والميسر﴾ [سورة البقرة الآية: ٢١٧]، ﴿ويأيتها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك﴾ [سورة التحريم / الآية: ١]، إلى غير ذلك من الآيات القرآنية الدالة على أحكام لقضايا ماثلة في أرض الواقع، من أجل ذلك كان للسياق الخارجي والظروف الواقعية أثر كبير في فهم معاني الآيات وأسرارها لكونها قرائن أحوال في مقابل وظيفة الألفاظ قرائن المقال^{١٢٧}.

يقول محمد رشيد رضا: "يجب على المفسر أن يعلم ما كان عليه الناس في عصر النبوة من العرب وغيرهم؛ لأن القرآن ينادي بأن الناس كلهم كانوا في شقاء وضلال. وأن النبي صلى الله عليه وسلم بعث به لهدايتهم وإسعادهم. وكيف يفهم المفسر ما قبخته الآيات من عوائدهم على وجه الحقيقة أو ما يقرب منها، إذا لم يكن عارفاً بأحوالهم وما كانوا عليه^{١٢٨}"

يقول الإمام الشاطبي في أهمية معرفة أسباب النزول: معرفة أسباب النزول لازمة لمن أراد علم القرآن والدليل على ذلك أمران:

أحدهما: أن فهم القرآن وتفسيره يتطلب معرفة ما دعا إلى نزول آياته وما هي المقاصد منها. فالكلام الإلهي لا يخلو من حكمة وسبب، ولا يمكن تجاوز الظروف التي أنزل فيها. فالخطاب قد يتغير معناه بحسب حال المخاطب أو المخاطب أو المخاطب به. والجهل بهذه الأسباب يؤدي إلى الوقوع في الشبهات والإشكالات، والتعامل مع النصوص بشكل عام وغير

^{١٢٧} انظر: ربحانة اليندوزي، أهمية اعتبار أسباب النزول في الخطاب الشرعي من حيث الفهم والتطبيق، (الرباط: الرابطة المحمدية المغرب، د.ط، ٢٠٠٧م)، ص ٤١١.

^{١٢٨} محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، ٢٠١١م)، ج ١٠، ص ٢٥.

دقيق، مما يسبب الاختلاف والتفرقة بين المسلمين. لذلك، فإن معرفة أسباب النزول هي من المهارات الضرورية لفهم كتاب الله تعالى^{١٢٩}.

وهكذا نرى أن اغفال أسباب النزول يؤدي إلى الخروج عن المراد الآيات، لذا كان أعمال السياق المكاني والزماني من عناصر صحة التأويل والفهم وكذا الترجيح. والعلاقة بين أسباب النزول والسياق علاقة متبادلة، فمثل ما تعين أسباب النزول على معرفة السياق، فإن السياق عامل مؤثر في بيان الأصح من أسباب النزول.

ومن العلوم المتعلقة بالنزول: علم المكي والمدني.

وقد أشار السيوطي إلى ما يضبط معرفته فقال: "اعلم أن للناس في المكي والمدني اصطلاحات ثلاثة: أشهرها أن المكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعدها سواء نزل بمكة أم بالمدينة عام الفتح أو عام حجة الوداع أم بسفر من الأسفار"^{١٣٠} والمكي والمدني له علاقة بالسياق من عدة جوانب:

أولاً: المكي ما نزل بمكة وهو دليل على عنصر الزمان، وهو ما قبل الهجرة والمدني ما نزل بالمدينة وهو دليل على عنصر الزمان ما بعد الهجرة، وكذلك فإن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة والمدني لأهل المدينة، فعنصر المخاطب دليلاً على عنصر المكان^{١٣١}.

ثانياً: السور المكية والمدنية تختلف في أهدافها وموضوعاتها. فالسور المكية تركز على إثبات التوحيد والإيمان والرد على الشبهات التي يطرحها المشركون. أما السور المدنية فتركز على بيان الأحكام والشرائع التي يجب على المسلمين اتباعها. مثلاً، سورة الحج هي سورة مكية تهدف إلى إقامة حجة التوحيد وإظهار دلائله. ولذلك تتحدث عن الحج كعبادة تعبّر عن التوحيد لله. وسورة البقرة هي سورة مدنية تهدف إلى تقرير أساسيات الشريعة الإسلامية. ولذلك تتحدث عن الحج كفريضة تحتوي على أحكام وشروط.

^{١٢٩} أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، *الموافقات*، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، (السعودية: دار عفان للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م)، ج ٤، ص ١٤٦.

^{١٣٠} عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، *الإتقان في علوم القرآن*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م)، ج ١، ص ٣٧.

^{١٣١} انظر: فريد عوض حيدر، *فصول في علم الدلالة*، (القاهرة: مكتبة الآداب، ط ٣، ٢٠١١م)، ص ١٥٢.

وهذا واضح الدلالة والأثر في السياق؛ إذ أن معرفة المكي من المدني يؤكد سياق السورة ويحدده، ويبين الغرض المقصود منها.

ثالثاً: للآيات المكية مميزات في أساليبها ليست للآيات المدنية، فمن مميزات الآيات المكية أنها تشتمل على الوعيد والتهديد غالباً، فتجد مثلاً كلمة كلا زاجرة مانعة، وكلمة الصاخة التي تثير في النفس الشعور بالوعيد والتهديد، ومن مميزات الآيات المدنية أن ألفاظها تحوي الوعد والترغيب غالباً، لذلك تجد في استهلالها نداءات الإيمان، وتختتم بأسماء الرحمن. وهذا يساعد على معرفة السياق من جهة معرفة غرض الآية وما تحويه من الوعد والوعيد، والمخاطب فيها من مؤمن وكافر^{١٣٢}.

٣. سياق العرف والعادات

والعرف كما لا يخفى بعيد عن نص الخطاب المنظور فيه، فهو ليس من العناصر اللغوية، وإنما هو خارج عن خطاب النصوص الشرعية وعن صيغ العقود والمعاملات، فهو يتتبع أحوال الناس ومعاشهم، فلا بد من العبور إليه والالتفات خارج الصيغ والألفاظ. وقد نص العلماء على أن إهمال العرف والغفلة عنه محل بالاجتهاد، فمن وقف عند ألفاظ النصوص وصيغها، غافلاً عن العرف المتعلق بها، فإنما يقف على المعنى الحرفي المجرد دون المقاصد والمعاني^{١٣٣}، كما في قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾. [المائدة ١٠٣] إذ كان الذين كفروا يفترون على الله الكذب ويجعلون هذه الأنواع من الإبل من تقاليد عبادتهم للطاغوت، ومثله: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُمْ لَتَذْهَبُوا بِبَعْضٍ مَّا آتَيْتُمُوهُمْ﴾. (النساء ١٩) وكذلك: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبُعَاءِ إِنَّ أَرْدَنْ تَحَصَّنًا لَتَبْتَعُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، [النور: ٣٣] وقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا كَرِهًا﴾. (النساء ١٩) ومنه أيضاً ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥] وكذلك ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾،

^{١٣٢} انظر: محمد بن عبد الرحمن الشايع، المكي والمدني في القرآن الكريم، (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، مجلة الفيصل، العدد ٢٥٣، ط ١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ص ٧٩.

^{١٣٣} انظر: عبد الكريم عكيوي، نظرية الاعتبار في العلوم الإسلامية، (فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ص ٥٢٤.

[الأحزاب: ٥] وكذلك: ﴿وَلَا تَبْرَحْنَ تَبَرَّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣] كل هذه الآيات تشير إلى عادات وتقاليد كانت للعرب، يتطلب فهم السياق إلى معرفتها^{١٢٤}.

المطلب الثالث: أهمية السياق القرآني في فهم الآيات

نتطرق في هذا المطلب إلى ثلاث أمور رئيسة عليها تركز أهمية أعمال السياق القرآني للوصول إلى الفهم الصحيح لكتاب الله، واستخراج منه الأحكام العملية التي تعين الناس في أمور حياتهم.

أولاً: أهمية السياق في تفسير القرآن بالقرآن

يقول صاحب أضواء البيان: "والقرآن يفسر بعضه بعضاً، فالمذكور هناك كأنه مذكور هنا، لأن كلام الله يصدق بعضه بعضاً."^{١٣٥}

وهي من أفضل طرق التفسير، فلا أحد أخير بمعاني الكلام من المتكلم نفسه، فإذا تبين المقصود من السياق فلا يجوز أن يؤخذ بغيره، فالعمل بمقتضى السياق يضبط تفسير القرآن؛ لأنه منزل بلغة العرب وهم أفصح الناس، والنبى ﷺ أفصحهم، ومن الأمثلة على ذلك: عن عائشة، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهُمُ الَّذِينَ يُشْرِبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: لَا يَا بِنْتَ الصَّدِيقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾^{١٣٦} [المؤمنون: ٦١] وجه الدلالة: أن النبي (ﷺ) استدل على معنى الآية بدلالة السياق، ففسر السابق باللاحق.

ويرى مساعد الطيار أن تفسير القرآن بالقرآن من التفسير بالرأي، وهذا لا يعني صعوبة الوصول إليه في كل حال، بل قد يوجد من الآيات ما تفسر غيرها ولا يكاد يختلف في تفسيرها

^{١٢٤} تمام حسان، البيان في روائع القرآن، (بيروت: عالم الكتب، ط ١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ص ٢٢٠.

^{١٣٥} محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ج ٤، ص ٢٩٧.

^{١٣٦} محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، (مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي، ط ٢، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، ج ٥، ص ٣٢٧، رقم ٣١٧٥.

اثنان مثل تفسير الطارق في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ [الطارق: ١] بأنه يُفسر بقوله تعالى: النَّجْمُ الثَّاقِبُ. ومثل هذا كثير في القرآن^{١٣٧}

ومن أمثلة إعمال المحقق الخليلي تفسير القرآن بالقرآن من خلال سياقه في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَتُبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ: قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٦]، فكل كلمة كل في الآية عامة تشمل الجميع، وقد أخرجها سياقها اللاحق في نفس الآية من عمومها حيث قال تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٦] فهي رحمة تشمل المتقون الذين يؤتون الزكاة ويؤمنون بالله سبحانه تعالى.^{١٣٨}

ونخلص من هذا أن تفسير القرآن بالقرآن بعضه لا يحتاج لإعمال نظر حيث إنه مدرج في سياق الآية أو السورة، وهذا كثير في كتاب الله تعالى كما ضربنا سالفاً الأمثلة، ومنه ما يحتاج لإعمال النظر في كل القرآن ومراعاة مقاصده الكبرى وأسباب التنزيل وما إلى ذلك من إعمال لأنواع السياق الداخلي والخارجي، وفي كلتا الحالتين فهذا يوضح مدى أهمية السياق في التفسير.

ثانياً: أهمية السياق في تحديد معنى اللفظة القرآنية

تحتوي المفردات القرآنية في وضعها السياقي دلالات كبيرة وواسعة، ويتعدد الاستدلال بها وفقاً لتعدد السياقات التي ترد فيها، ويكون السياق فعالاً في كشف المعنى المطلوب بما يتناسب مع الغرض الذي ذكرت فيه المفردات، وقد تتغير دلالتها في سياقها عن أصل دلالتها اللغوية المعجمية إلى دلالات أخرى وفقاً للغرض المطلوب في الآية أو السورة بأكملها، والتي قد لا تكون مقصورة على وقت معين، بل تتسع عبر الزمن، لأن اللغة العربية لغة حية، مرنة في المعنى

^{١٣٧} مساعد بن سليمان الطيار، مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، (الرياض: مركز تفسير الدراسات القرآنية، د. ط، ٢٠٢٠م)، ج ١، ص ١٧٩.

^{١٣٨} انظر: سعيد بن خلفان الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، (بيروت: دار الهلال العالمية، ط ١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، ج ٣، ص ٢١٩-٢٢٠.

والصيغة، بحيث تتوافق مع الغرض الذي يقصده المتحدث. ونذكر هنا بعض أوجه تحديد دلالة اللفظة القرآنية بالسياق

أ: علاقة دلالة المعنى المعجمي للمفردة القرآنية بالمعنى السياقي

هناك معنيان للمفردة القرآنية: المعنى السياقي والمعنى المعجمي، فالمعنى المعجمي هو المعنى الذي نستقيه من المعجمات المختلفة، ويمثل المعنى الوضعي الأصلي للفظ، وقد أطلق عليه إبراهيم أنيس المعنى المركزي أو الأساس ويتميز هذا النوع من المعنى للكلمة بكونه معنى عائماً ضيقاً، لا ينبئ عما في الكلمة المفردة من دلالات أوسع من معناها المعجمي. أما المعنى السياقي فهو المعنى الذي يستقى من السياق العام للكلام؛ إذ تخضع الكلمة للعلاقات المعنوية والظروف الحالية والتعبيرية المحيطة بها التي يأتلف بعضها مع بعض ليعطي معنى خاصاً لتلك الكلمة، وهو ما يطلق عليه المعنى الإضافي أو الهامشي أو ظلال المعنى^{١٣٩}

والفارق الأساسي بين المعنيين: المعجمي والسياقي هو تعدد الأول وتحدد الثاني، إذ يعين الأول على تحديد البعد الدلالي للكلمة لأنها تحمل أكثر من معنى، وهو في الغالب معنى مفرد منفصل، أما الثاني فهو معنى محدد تحكمه علاقة الكلمة بكل ما تحمله من عناصر لغوية وغير لغوية خاصة بالمتحدث والمستمع والثقافة والمجتمع فلا تقبل التعددية. لذلك، يختلف المعنى السياقي لكلمة واحدة اعتماداً على السياقات المتعددة التي تظهر فيها^{١٤٠}

وللوصول إلى المعنى لا بد من الربط بين المعنى اللغوي بوسائله الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والوظيفة الدلالية لسياق الحال، وهكذا فالوصول إلى معنى أي نص لغوي يستلزم ما يأتي:

١. تحليل المستوى اللغوي على المستويات اللغوية المختلفة الصوتية، الصرفية النحوية، والمعجمية.

^{١٣٩} انظر: الخامسة علاوي، "السياق وإنتاج المعنى قراءة تأصيلية نقدية في نظرية السياق القرآني"، الجزائر: جامعة قسنطينة ١، المجلة العلمية الجزائرية، المجلد ١٧، العدد ٣٣، (٢٠١٣م) ص ٣٣٥؛ إبراهيم أنيس، دلالات الألفاظ، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٣، ١٩٧٢م)، ص ٢٠١٣.

^{١٤٠} المرجع نفسه، ص ٣٣٦.

٢. إيضاح نوع وظيفة الكلام من تعجب واستفهام وإغراء وما إلى ذلك.
٣. ذكر التأثير الذي يتركه الكلام مع الاقتناع أو السخرية أو الضحك وغير ذلك.
- بناءً على ما تقدم، يمكن القول إن معنى الكلمة هو مجموع السياقات التي يمكن أن تنتمي إليها، بالإضافة إلى دلالة الأصل المركزي.

ب: اتساع دلالة المفردة القرآنية وعلاقتها بالسياق

ومن مظاهر اتساع هذه الدلالة المرتبطة بالسياق ما يلي:

أ. خصوصية اللفظة القرآنية

لم يدرك البعض أن القرآن الكريم استخدم ألفاظه وتراكيبه استخداماً خرج في كثير من الأحيان عن معاني الألفاظ المعتادة والتي يستخدمها العرب في ألفاظهم وتراكيبهم، ولو كان الأمر كذلك لما كان معجزاً، فللقرآن طريقته في تأليف ألفاظه وربطها وتنظيمها، فإذا غيرنا هذا الترتيب المحكم وهذا النظام الدقيق تغير المعنى، فمن الواجب أن يكون للقرآن نظريات وقواعد تتعدى القواعد العامة التي يقيس عليها العلماء اللغة العامة؛ لأنه لا يضاهيه كلام بشر مهما وصلت درجة بلاغته، لذلك لا يمكننا القول إن الألفاظ القرآنية قوالب للمعاني، فالقوالب جامدة وألفاظ القرآن الكريم في حركة وتحدد مستمرين تتجاوب وتتماشى مع حركة الكون، وهذا ما منح القرآن صلاحيته لكل زمان ومكان. إن المتدبر في آيات الذكر الحكيم يلاحظ تنوعاً في استخدام القرآن للألفاظ، واختلاف معناها تبعاً للسياق وإن اتفقت دلالتها في المعاجم، وقد ألمح الجاحظ إلى خصوصية دلالة اللفظة القرآنية ما مفاده أنه قد يستهين الناس بالكلمات ويستعملونها في غير دلالتها، في حين مفردات أخرى أحق بذلك منها. ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر الجوع في كتابه إلا في مكان العقوبة، أو في مكان الفقر المدقع والعجز الظاهر، والناس يذكرون الجوع في حالة القدرة والأمان، وكذلك ذكر المطر الذي لا تجده في القرآن يرد إلا في مكان الانتقام. والعامة ومعظم الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وذكر الغيث^{١٤١}

^{١٤١} انظر: ماجدة صلاح حسن، "السياق القرآني والدلالة المعجمية"، مجلة الجامعة، العدد التاسع، (٢٠٠٧م)، ص ٩.

ويقول ابن الأثير: «ومن غريب ذلك أنك تجد كلمتين تشيران إلى معنى واحد، وهما جميلتان في الاستخدام، وهما على قافية واحدة، وحرف واحد، إلا أنه لا يصلح استخدام هذه في كل حال تستخدم فيه هذه، بل يختلف بينهما في مواضع الإيجاز، وهذا لا يفهمه إلا من رقي نظره وعميق فكره.»^{١٤٢}

نستنتج مما سبق أن خصوصية الانتقاء القرآني تدعونا إلى الاعتراف بتفرد كل كلمة بمعناها الخاص، بناءً على السياق القرآني.

ب. دلالة المفردات القرآنية في القرآن المكي والمدني

كما يرجع اتساع دلالة المفردة القرآنية إلى كون العرب أهل فصاحة وبلاغة، فإذا وجه الله تعالى خطابه للعرب والأعراب كان الكلام على مخرج الإشارة والحذف، بينما إذا خاطب غيرهم من اليهود أو أخبر عنهم جاء الكلام واسعاً وبسطاً فيه. وهذا من سمات المفردة القرآنية، أنها تحوي دلالات عديدة في لفظة واحدة ومعبرة عن كل المعاني التي يطلبها السياق القرآني، وإننا لنجد الإيجاز هو مناط السور المكية، وأن الإطناب أو دقة التفاصيل مناط السور المدنية، لأن المرحلة المدنية من نزول القرآن مرحلة تشريع فتتطلب بسطاً في الأمور. لذا تحتاج هذه المفردات مزيداً من التدبر كي يصل المفسر إلى كل الدلالات التي تتضمنها المفردة، وذلك لا يتأتى إلا بالسياق^{١٤٣}.

منهج دراسة المفردات القرآنية

نخلص مما سبق أن الدقة في تحديد معاني مفردات ألفاظ القرآن مرهون بثلاث خطوات منضم بعضها إلى الآخر:

الأولى: البحث عن المعنى الوضعي واللغوي للكلمة.

^{١٤٢} محمد ياس الخضر، دقائق الفروق اللغوية في التعبير القرآني، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، ٢٠١٤م)، ص ٢٠

^{١٤٣} انظر: عادل عباس النصراوي، "تراء الدلالة في المفردة القرآنية"، مجلة ينابيع الحكمة، العدد ٣٥ و٣٦، (ربيع الأول/جمادي الثانية ١٤٣١هـ).

الثانية: الاطلاع على ثقافة ما قبل نزول القرآن والإحاطة بها بهدف الحصول على المعاني العرفية للمفردات القرآنية. وقد نبه على ذلك عبد المجيد النجار - هو "أن الفهم ينبغي أن يتم على أساس ما كان باعتبار أن الخطاب ورد عليه، لا على أساس ما آل إليه الأمر"^{١٤٤}. وهي اللغة التي كانت متداولة في عصر التنزيل المعتمدة تفسير القرآن الكريم واستنباط الأحكام منه، دون الالتفات إلى اللغة الحادثة، وما طرأ عليها في العصور التالية من تطور في دلالات الألفاظ مما لا ينبغي تحكيمة في فهم القرآن الكريم. ونظراً لخطورة هذا الأمر، فقد قام العلماء بتدوين اللغة وتقييدها، ولم يترك هؤلاء شاردة ولا واردة في المجال اللغوي إلا ودونوها بلغاتها المتعددة، ووجوهها الكثيرة القوية منها، والشاذة حتى أنهم لم يكتفوا بتدوين مواطن الاتفاق، بل اهتموا أيضاً بمواطن الاختلاف.

الثالثة: ملاحظة بنية النص القرآني وسياقه وكيفية تركيبه.

ومن الضروري تتبع كافة الاستعمالات القرآنية للكلمة للحصول على جميع معانيها في القرآن الكريم، وحسب اصطلاح علم التفسير وعلوم القرآن فإن لكثير من كلمات القرآن وجوها متنوعة من المعنى، وجوها للفظ المشترك بحسب السياقات وغالباً ما يطلق على المعاني المتعددة لمفردة واحدة «الوجوه»، وفي المقابل تطلق كلمة «النظائر» على الألفاظ المتعددة ذات المعنى الواحد، ويميزوا بين الوجوه والمشاركات اللفظية بأن الثانية ذات أوضاع متعددة^{١٤٥}.

ثالثاً: أهمية السياق القرآني في الترجيح الدلالي

السياق القرآني له أهمية كبيرة عند المفسرين، بل هو المعمول به في كثير من مواطن الترجيح والاستدلال، ولا يستطيع المفسر أن يغفل عنه في آية واحدة؛ لأنه سيصل إلى طريق مبعثر من

^{١٤٤} سوسوه عبد المجيد محمد، دراسات في الاجتهاد وفهم النص، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، د.ط، ٢٠٠٣م)، ص ١٩٨

^{١٤٥} انظر: محمد باقر سعدي روشن، منطق الخطاب القرآني، (بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط ١، ٢٠١٦) ص ٢٤٥؛ عبد الرزاق صالح، "أهمية إعمال السياق في فهم النص القرآني"، العراق: مجلة آفاق أدبية، العدد ٥، (٢٠١٢م) ص ١٤

المعاني غير المترابطة، فكان الأخذ بالسياق القرآني واجباً ضرورياً لا يستغني عنه مفسر من المفسرين.

وفي هذا الصدد أورد الزركشي: في كل آية من القرآن، يجب أن نتبع هل هي متصلة بالآية التي قبلها أو منفصلة عنها. وإذا كانت منفصلة، فما هو سبب اختيارها بعد الآية السابقة؟ فهذا يدل على حكمة القرآن وترتيبه. وكذلك في السور، يجب أن نعرف ما هو العلاقة بين كل سورة والسورة التي قبلها والتي بعدها^{١٤٦}.

وقد انتهج المفسرون هذا المسار في تحكيم السياق القرآني في الترجيح الدلالي، بل هو المرتكز الجوهرى في كثير من الاختلافات التفسيرية، فعلى سبيل المثال هذا الألوسي عند تفسيره لسورة النساء عن مسألة المفاضلة بين الأنبياء والملائكة في قوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ، وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧٢] قال: "ولا يميز لك ذلك إلا السياق.. وقال أيضاً: وهذا النوع من الفضيلة هو المناسب لسياق الآية^{١٤٧}، وهذا يدل على أن السياق هو المرجح الفاصل عند تعذر أوجه الترجيح.

ومن الأمثلة على الترجيح بالسياق القرآني عند المحقق الخليلي استشهاده في سورة فصلت بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سورة فصلت: ٤٠]، فالآية في سياق الحديث عن فعل الكافرين وصدودهم عن دعوة الرسول ﷺ، وإخبارهم أن الله عليهم بأعمالهم، فكان سياق اعملوا ما شئتم دليلاً على أنه على سبيل المجاز وأن الغرض منه التهديد^{١٤٨}، كما رجح بالسياق في مثال آخر في قوله تعالى على لسان السحرة أثناء ردهم على فرعون بعد أن آمنوا: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ

^{١٤٦} محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط ١، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م)، ج ١، ص ٣٧.

^{١٤٧} شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق:

علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ)، ج ٣، ص ٢١٤.

^{١٤٨} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ١، ص ٣٦١.

مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ [سورة طه: ٧٢]، فالسحرة لم يأمرُوا فرعون بفعل ما فعله بهم، وإنما جاء ذلك على سبيل إظهار قوتهم في الدين وبيان تمسكهم به مهما يكون، فالسياق في هذه الآيات هو الذي بين المعنى المقصود منه^{١٤٩}.

المبحث الرابع: فوائد السياق القرآني وأسباب البعد عن السياق

المطلب الأول: فوائد السياق القرآني

١. التخصيص السياقي

من الفوائد التي نجنيها من السياق القرآني تخصيص العام، وهو إخراج بعض أفراد ما يتناوله اللفظ بالسياق، فالذي يعنينا هنا أثر السياق في إخراج اللفظ العام عن عمومته إلى خصوص يقتضيه السياق، فلا يجوز لأحد أن يخص عموم الألفاظ إلا بدليل؛ قال الطبري: ولا يجوز لأحد أن يحصر ما جاء به الكتاب بشكل عام في معنى خاص من معانيه الظاهرة دون دليل قوي سواء كان الدليل حجة شرعية أو عقلية، فالتخصيص يتطلب وجود برهان يقوم عليه ومن هذه البراهين السياق الذي يعتمد على النقل من ناحية مصدره، وعلى العقل من ناحية فهم طريقة تخصيصه^{١٥٠}. فالقارئ التي تحف اللفظ في السياق والالواح المتصلة به تبقى على عمومته أو تحيد به عن العموم إلى الخصوص، والسبيل إلى معرفة ذلك اجتهاد المفسر، ونظر المتدبر، فكلما طال تدقيقه فيه وبذل الجهد في طلب القرائن اهتدى إلى المقصود، ووقف على المراد^{١٥١}. ومن صور التخصيص بلحاق سياق الآية عند المحقق الخليلي آية الرحمة في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿وَكَتُبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ، قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٦]، فكلمة كل في الآية من ألفاظ العموم، إلا أن سياق الآية

^{١٤٩} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ١، ص ٥١٥.

^{١٥٠} المثني عبد الفتاح محمود، نظرية السياق القرآني، (عمان: دار وائل للنشر، ط ١، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م)، ص ٢٢٦.

^{١٥١} قطب الريسوني، النص القرآني من قنات القراءة إلى أفق التدبر، (المملكة المغربية: منشورات الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط ١، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م)، ص ٤٦٤.

اللاحق خصص الرحمة للذين يتقون ويؤتون الزكاة ويؤمنون بالله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٦] ١٥٢

٢. معرفة المقاصد الشرعية للخطاب القرآني

أعمل المحقق الخليلي السياق القرآني للوصول إلى المقاصد الشرعية في الآيات القرآنية واستدل بها، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٢]، حيث بين أن الأمر بالإشهاد في البيع لمعنى المصلحة لحفظ الأموال خوف التناكر المؤدي إلى ذهابها، واستظهر هذه العلة نفسها في الأمر بالإشهاد على الطلاق في قوله جل وعلا: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوْيَ عَدَلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق: ٢] فرأى أن هذا الإشهاد على الطلاق يترتب عليه حفظ الحقوق من النفقة والموارث، ولذا جاء الأمر فيه لحفظ مصلحة الطرفين، فاقضى الندب لا الإيجاب.

وكذلك في موضع آخر استدل المحقق الخليلي بسياق آية ابتغاء الفضل في الحج من سورة البقرة: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾ [سورة البقرة: ١٩٨]، فمقصد الآية رفع الجناح في ابتغاء الفضل في الحج، والتجارة جزء من هذا الفضل، ولذا فالآية دلت بسياقها الصريح ضمنا على هذا المقصد.

٣. الترجيح السياقي

رجح المحقق الخليلي بناء على السياق اللغوي في آية الإفطار في قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٨٥]

١٥٢ انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ٣، ص ٢٢٠.

القول بتقدير محذوف في الآية بحيث تكون: فأفطر فعليه عدة، لأن من خواص الفاء العاطفة أنها قد تعطف على محذوف معها، وعلى هذا اعتمد أصحابنا^{١٥٣}.
والجدير بالقول هنا أن القول بالاستقلال في كلام الله مقدم على القول بالإضمار، إلا أن يدل السياق على الحذف؛ لأن الإضمار والحذف والتقدير خلاف الأصل، ولا يقدر هذا الحذف إلا على أكمل الوجوه اللائقة بالسياق^{١٥٤}. والقول الذي رجحه المحقق الخليلي في هذه الآية من الوجوه اللائقة بالسياق.

٤. تحديد معنى المتشابه اللفظي

للسياق القرآني دورٌ بارزٌ في بيان المعاني الواردة في النص القرآني، بل أحياناً يصعب فهم معاني الألفاظ من غير النظر في السياق، سواء في ذلك سياق المقطع أم سياق السورة.
وللمحقق الخليلي في تمهيده أمثلة تدل على أهمية السياق القرآني في الكشف عن مبهمات المعاني وغوامض الدلالات في فرع المتشابه اللفظي، إذ أكثر ما تظهر هذه الفائدة فيه، وقبل ذكر مثال من تلك الأمثلة الموضحة لهذه الفائدة لا بد من التنويه على أمر، ألا وهو أن البحث عن المتشابه اللفظي يتضمن مجالات مختلفة واحتمالات عديدة، وكل باحث يتبع ما يوصله إلى نتيجة بناءً على معرفته باللغة وسياق الآيات. فإذا كان اللفظ قادراً على حمل جميع المعاني وكان من الممكن أن تكون هذه هي الغاية منه، فينبغي أن نأخذ بكل معانيه ما استطعنا، سواء كانت متساوية في الاحتمال أو كانت بعضها أقوى من بعض. وإلا فإن اختيار بعض المعاني دون بعض هو تجاهل للفظ في بعض جوانبه دون سبب، خصوصاً وأن السياق يسمح للمفسر بأن يستخدم رأيه فيه ليفهم ما أراده الله سبحانه وتعالى، فالاستفادة من اللفظ في هذه الحالة أولى من تركه.^{١٥٥}

^{١٥٣} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ٢، ص ٢٤٨.

^{١٥٤} أمجد وفيق محمد أبو مطر، السياق القرآني وأثره في الترجيح بين خلافاً المفسرين، (رسالة دكتوراة، جامعة طرابلس: لبنان، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م)، ص ٥٦.

^{١٥٥} انظر: المثني عبد الفتاح محمود، السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، (الأردن: جامعة اليرموك، د.ط، ٢٠٠٥م)، ص ١٧٠.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره المحقق الخليلي في تفسيره الآية الاستئذان في سورة النور في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا، ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النور: ٢٧] أن السلام في الأصل من الألفاظ المشتركة لمعان كثيرة، ومن شأن اللفظ المشترك أن يحمل في كل موضع على ما هو اللائق به، وذكر في هذا الموضع أربعة معاني:

المعنى الأول: سلام الاستئذان كما في الآية أعلاه من سورة النور، وعلى هذا يكون عطف تسلموا على أهلها على تستأذنوا في الآية الشريفة من باب التفسير والبيان.

المعنى الثاني: سلام التوديع للشيء والإذن بالخروج منه، ومنه التسليم مع تمام الصلاة.

المعنى الثالث: سلام المباحة والفرق للشيء طلباً للسلامة منه، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥] المعنى الرابع: سلام التحية، ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ [سورة النور: ٦١]

فهنا نرى أن المحقق الخليلي رجح بإعمال بالسياق القرآني أن لفظ السلام هو الاستئذان إذ لا يصح حمله في سياق الآية على معنى السلام ولا على المباحة ولا الفرق ولا الخروج، فكان الأليق به حمله على معنى الاستئذان^{١٥٦}.

٥. تضعيف الروايات على ضوء السياق

للسياق القرآني دور كبير في إظهار بطلان الروايات من عدمها، إذ إن الآيات القرآنية لها أغراض ومقاصد سيقّت من أجلها، فتأتي هذه الروايات تتناقض وتتعارض معها ولا تتفق ولا تتناسب مع سياق الآيات، مما يجعل السياق سبباً في نقد هذه الروايات وبطلانها^{١٥٧}.

ومن تطبيقات المحقق الخليلي في تضعيف الروايات بالسياق القرآني، ما أراده من رد رواية من يروي أن فيما أنزل الله آية الرجم والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة إن الله عزيز

^{١٥٦} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ٣، ص ١١٣.

^{١٥٧} محمد ذاكر وإسماعيل عبد الله، "أثر السياق القرآني في نقد الروايات الإسرائيلية"، سلطنة بروني دار السلام: جامعة السلطان شريف علي الإسلامية، المجلة العالمية للدراسات العمرانية، المجلد ٤، العدد ٢، (٢٠٢١م)، ص ٤٤.

حكيم، حيث قال: كأنه غير ملائم للمعنى، ولا لائق بلفظ القرآن، ولا قريب من الصواب في شيء لمعان:

أحدها: أن ما أنساه الله عباده من هذا النوع فلا سبيل إلى حفظه البتة، وإلا فليس بمنسي، وإذا كان محفوظاً فما له لا يقر في موضعه؟!

وثانيها: أنه لا يثبت لفظ الكتاب العزيز، فالشيخ في اللغة: تطلق على الرجل كبير السن. كقول الله تعالى: ﴿إِنْ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾، ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾.

وقد يكون الشيخ محصناً وغير محصن. أما الشيخة فليست من ألفاظ القرآن وإنما يتم التعبير عن المرأة الكبيرة في السن بلفظ العجوز، قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾.

وثالثها: تقرير الحكم بالشيخ والشيخة في موضع المحصن والمحصنة، وبينهما البون كما لا يخفى، فالعجوز قد تكون محصنة وغير محصنة وغير المحصن وغير المحصنة إذا زنيا حكمه في القرآن الجلد، فوقع هنا التناقض، فدل باللفظ والمعنى على ضعفه.^{١٥٨}

وترى الباحثة بأن اعتبار آية رجم الشيخ والشيخة من القرآن الكريم غير صحيح بتاتاً، وهو مما ينافي اللغة والمعنى والمناسبة. فاللغة تشهد بأن الشيخة ليست من ألفاظ العرب، ولم يرد في القرآن إلا لفظ العجوز للمرأة الكبيرة في السن. والمعنى يقتضي أن الشيخ والشيخة لا يكونان مرادفين للمحصن والمحصنة، فالشيخ قد يكون محصناً أو غير محصن، وكذلك الشيخة قد تكون محصنة أو غير محصنة، وليس كل من كان كبيراً في السن محصناً، وليس كل من كان محصناً كبيراً في السن. والمناسبة ترد أن يكون الشيخ والشيخة من ألفاظ القرآن، فالقرآن هو كلام الله العزيز الحكيم، وهو أحكم الحاكمين، وأدق الناطقين، ولا يقول إلا الحق، فكيف يقول في شيء لم ينس الله عباده أنه منسي؟ وكيف يقول في شيء لا يثبت لفظه في الكتاب العزيز أنه من ألفاظه؟ وكيف يقول في شيء يوجب التناقض في الحكم أنه من حكمه؟ فهذا كله يدل على ضعف القول وبطلانه، وعلى أنه ليس من القرآن، ولا من الصواب، ولا من اللائق بلفظه ومعناه.

^{١٥٨} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ١، ص ٢٢٧.

المطلب الثاني: أسباب البعد عن السياق

البعد عن السياق القرآني مفهوم يستخدم لوصف تجاهل أو تجاوز السياق الذي يحيط بالآية القرآنية عند فهمها أو تفسيرها. ولما كان السياق القرآني يشير إلى الظروف والأحداث والمعلومات التي تحيط بالآية، بما في ذلك الآيات المجاورة، والسورة التي تحتوي على الآية، والتاريخ والسياق التاريخي للنزول، والأحكام والدلالات المتعلقة بالموضوع المذكور في الآية. يعتبر فهم هذا السياق أمراً حاسماً لتفسير الآية بشكل صحيح وتجنب التأويلات غير المناسبة.

والبعد عن السياق القرآني يحدث نتيجة لعدة عوامل، بما في ذلك الجهل أو النقص في المعرفة باللغة العربية والتاريخ الإسلامي، أو التأثر بالتفسيرات الضعيفة أو التأويلات الشخصية. قد يؤدي إغفال السياق إلى فهم خاطئ للآية وتفسيرها بطرق غير صحيحة، مما يمكن أن يؤدي إلى انتشار المفاهيم الخاطئة والتشويش على المعاني الحقيقية للقرآن. بشكل عام، البعد عن السياق القرآني يعتبر خطأ خطير يمكن أن يؤدي إلى انحراف في فهم الإسلام وتشويش على المعاني الحقيقية للقرآن. وندرج هنا بعض الأسباب التي تؤدي إلى البعد عن السياق القرآني:

١. إنّ القرآن لم يكن تأليفه شبيهاً بتأليف أي كتاب آخر (سماوياً أو أرضياً)؛ إذ قد رُوعي في سَبْكِ حروفه وكلماته اعتبارات عدة منها نزوله على أكثر من حرف، مما يدخل تحت علم القراءات.
٢. وجود ترتيبين للقرآن؛ ترتيب نزول، وترتيب تلاوة، ونزوله في عهدين مختلفين جداً مما يقتضي الاختلاف في العبارة والمضمون والأسلوب". اليسير
٣. مرونة السياق القرآني وكونه حمال أوجه، وذلك تمشياً مع طبيعته وميزته من كونه رسالة إنسانية، علاوة على كونه قد أنزل للعرب أولاً؛ مما يقتضي أن يكون مرناً في صياغته، ومتعدد الاحتمالات في معاني ألفاظه؛ إذ لو كان للفظ معنى واحد فلا بد أن يكون ملائماً لمن نزل فيهم فقط، ولكن العليم الخبير الذي أراد أن يكون كتابه لكل الأقوام في كل الأزمنة والأمكنة، ومستويات الحياة.
٤. ومنها أيضاً اختيار الألفاظ فيه بحيث تكون قابلة للإدراك بمراتب متفاوتة، ليحقق وصفه بأنه (لا يَخْلُقُ على كثرة الرد).

٥. نزول القرآن في أكثر من عشرين سنة، فيه ما هو مرتبط بأسباب ووقائع مشهورة معروفة للمعاصرين، ومنه ما هو غير مرتبط مما قصد به مراعاة عوامل نمو المجتمع والأمة المخاطبة به وحاجات التربية المتدرجة والمتجددة حسب درجات النمو ومراعاة التطور؛ مما يستدعي أن يكون في الألفاظ ما يدل على توقيت مدلول النص أو ما فيه من توجيه وحكم، وهذا هو الذي تطلب لوضع علوم وقواعد تُعين على فهم الألفاظ الواردة في النصوص (عام، خاص، مبهم، مترادف مشترك منسوخ، مطلق مقيد محكم، متشابه، مؤول...) إلى غير ذلك من الاحتمالات التي يحتملها اللفظ المستعمل، فنتج عن ذلك أجل العلوم التي تولدت عن مرونة اللفظ القرآني^{١٥٩}.

٦. وجود القصد الإعجازي في اختيار ألفاظ وتراكيب ومقاطع الآيات، ولا سيما في العهد المكي، فلا عجب في اشتغال السور المكية على معظم آيات التحدي، ولم يرد في السور المدنية منها إلا موضع واحد في سورة البقرة، إن كثيراً من النماذج الأسلوبية في الخطاب القرآني، لتجعل العقل حائراً في تأويلها وتدعوه إلى إعمال النظر طويلاً، فهي تشبه الحروف المقطعة التي في أوائل السور، والتي لم تؤول التأويل المقنع الشافي، من حيث عددها، وطريقة تركيبها، ومكان إيرادها من السور، ودلالاتها^{١٦٠}.

٧. الاعتماد على التفسير الحرفي: قد يقع بعض الأشخاص في خطأ إعمال السياق القرآني عندما يعتمدون فقط على التفسير الحرفي للكلمات والجمل في القرآن، دون أخذ الاعتبار للسياق الشامل للآية أو السورة. فالقرآن يحتوي على أساليب تعبير متنوعة، بما في ذلك استخدام المجاز والتشبيه والإشارة، وهذه الأساليب قد تحتاج إلى فهم شامل للسياق لكي يتم فهمها بشكل صحيح.

^{١٥٩} عبد الوهاب رشيد صالح أبو صفية، البعد عن السياق وأهم أسبابه، (عمان: دار عمار، ط ١، ١٤٣٢ هـ/ ٢٠١١ م)،

ص ١٨٨.

^{١٦٠} حسين عبد الكريم، "نماذجية التعبير القرآني"، المجلة العلمية الجزائرية، المجلد ١٤، العدد ١، (٢٠٢٣ م)، ص ٣٦.

٨. تجاهل الأدلة الشرعية الأخرى بجانب القرآن: قد يحدث خطأ في إعمال السياق القرآني عندما يتجاهل المفسرون الأدلة الشرعية الأخرى المتعلقة بالقرآن، مثل السنة النبوية وأقوال الصحابة والإجماع. هذه المصادر الشرعية يمكن أن توفر رؤى قيمة حول السياق القرآني وتفسيرات مختلفة للمعاني القرآنية. لذلك، يجب أخذ هذه المصادر في الاعتبار والاستفادة منها في عملية إعمال السياق القرآني.
٩. الغفلة عن القرائن الترجيحية بالنسبة للألفاظ المحملة بسبب اشتراك أو غيره، كالقرينة الدالة على المراد في قوله تعالى: ﴿آيَةَ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ ؛ وهي ذِكْرُ الحَرْث، فَإِنَّ ذَلِكَ يَبْعَدُ إِرَادَةَ الْمَكَانِ وَيَعِينُ إِرَادَةَ الْكَيْفِيَّةِ.
١٠. الغفلة عن سبب النزول، ومن الضروري هنا التذكير بوجود التأكد من كونه سبب نزول حقيقياً؛ أي نزلت الآية بسببه. وبعد حصوله. وليس في شأنه كقول: الصحابي: نزلت في كذا.
١١. الغفلة عن عادات العرب في أقوالهم وأفعالهم وسائر أحوالهم، ونضرب مثالاً لإيضاح ذلك في قوله تعالى في سورة البقرة: وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ، إذا عرفنا أَنَّ العرب قد استعملوا لفظ الملك في غير معناه الأصلي.
١٢. التعصب والهوى، وهذا السبب كان وراء جميع التفاسير المذهبية والحزبية، فصاحب الهوى يحمل النص على ما يشتهي حتى ولو خرق جميع الحواجز وخالف جميع الضوابط السياقية وقد يكون الهوى ظاهراً في التفسير، مثل جعل (لمع) فعلاً في آية العنكبوت (٦٩)، مع أنها مكونة من اللام المؤكدة ومع رغم ظهور التحريف اللفظي والمعنوي.
١٣. التفسير يتطلب دقة الموازنة بين دلالة اللغة وبين دلالة السياق والتناسب بين الأجزاء، وهذه الدقة ليست متساوية لدى الناس من وجوه كثيرة، ومنها التكوين والاستعداد الفطري، ومنها سعة وعمق الثقافة، وكثرة الممارسة لموضوع التفسير، ولغة العرب والدائقة النقدية الحسنة التدريب^{١٦١}.

^{١٦١} انظر: عبد الوهاب رشيد صالح أبو صفية، أهمية السياق ودقته وحدود حاكميته وآيات لا تفسر بالسياق، (عمان:

دار عمار، ط ١، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، ص ١٤٠

١٤. إهمال معايير التوصل لإعمال السياق المقالي. وقد نص الأصوليون على أن الوصول إلى إعمال السياق المقالي يستلزم ربط الألفاظ الواردة في النصوص بعضها ببعض. ويكون ذلك بناء على مستويين:

أ. مستوى العلاقات السياقية التي تربط بين الآيات في السورة الواحدة.

ب. مستوى العلاقات السياقية بين القرآن كاملاً.

وبإغفال هذين المستويين ينشأ الخطأ في إعمال السياق المقالي.

١٥. إهمال معايير التوصل لإعمال السياق المقامي وذلك بالإفراط في توظيف السياق

الاجتماعي وسياق الموقف، وتجاوز الحد في إعمال بعض القرائن المقامية فيه،

كقراءة أسباب النزول، وأسباب الورود، دون ملاحظة المسالك العلمية والمنهجية

لإعمال هذا النوع من السياق، هو من مظاهر الخلل في الرؤية السياقية^{١٦٢}.

وهكذا نرى بعد استعراض عدد من أسباب البعد عن السياق القرآني أن حل هذه

المشكلة، يجب على المفسرين والدارسين للقرآن أن يستخدموا منهجاً شاملاً لفهم الآية. علاوة

على ذلك، يجب أن يكون لدى المفسر القدرة على تطبيق المنهج العلمي في تفسير الآية، بما

في ذلك استخدام المقارنة والتحليل والاستدلال من النصوص الأخرى في القرآن والسنة. يجب

أن يكون لديه أيضاً فهم عميق للثقافة والتقاليد العربية والإسلامية لضمان تفسير شامل ودقيق

للآية.

المطلب الثالث: تطبيقات سياقية اعترض فيها المحقق الخليلي على شيخه لبعده عن السياق

التطبيق الأول: آية فتح يأجوج ومأجوج: قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان^{١٦٣}: في الآيتين في

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦]،

وفي قوله: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النمل: ٨٢].

^{١٦٢} انظر: سعد بن مقبل بن عيسى الحريري، ظاهرة إهدار السياق في الخطاب الحداثي، (جدة: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط ١، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م)، ص ٨٩.

^{١٦٣} هو الشيخ العلامة ناصر بن جاعد بن خميس بن مبارك الخروصي، يكنى بأبي محمد، عالم وأديب من القطر العُماني، يقبل الآثار ويمعن النظر في الكتب، ترك مؤلفات كثيرة وله تعليقات على كتاب الجامع الصغير للسيوطي، وهي موجودة في مجلد ضخيم، يربو على سبعمائة صفحة، وعلق على عقيدة النسفي وشرحها وشرح شرحها، وهو يذكر في مؤلفاته

خروج يأجوج ومأجوج والدابة قد نطق بهما القرآن، ويحتمل أن يكون المعنى المقصود هو على ظاهر اللفظ، ولكن معنى الظاهر اللفظ يخالفه قوله تعالى: ﴿لَا تَأْتِيَكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧]، والقرآن لا يخالف معناه بعضه بعضاً، فعلى هذا يحتمل أن يكون المعنى على تقدير لو، أي لو فتحنا عليهم يأجوج ومأجوج فهم من كل حذب ينسلون، فيكون بقاء السد عليهم نعمة من الله لعباده، ذكر بها عباده المتقين، ذكرهم ليشكروهم. وكذلك خروج الدابة يحتمل أن يكون المعنى مقدراً بلو أخرجنا لهم دابة تذكرهم^{١٦٤}.

فكان رد المحقق الخليلي على ما ذكره الشيخ من تقدير لو في فتح يأجوج ومأجوج، وفي خروج الدابة من الأرض أنه لا معتمد له، ولا أصل لعدم الدليل عليه، والعدول عن الظاهر لا يصح في التأويل إلا لسبب يوجبه، ولا دلالة على ذلك هاهنا من لفظ، ولا معنى فليس هو بشيء.

مناقشة المسألة:

قوله تعالى "حتى إذا فتحت" لا يوضح بالضبط ما هو المقصود بهذا الفتح. هناك عدة تفسيرات مختلفة لهذه الآية من قبل علماء التفسير والمفسرين. نعرض هنا بعض التفسيرات المشهورة:

١. فتح السد: يقول القرطبي في تفسيره^{١٦٥} لَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ فِي الْكَلَامِ حَذَفٌ، أَيْ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَ سَدُّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ. حيث يروي أصحاب هذا القول إن يأجوج ومأجوج محبوسان خلف سد من حديد، وعندما يتم فتح هذا السد في نهاية الزمان، سيخرجون ويسببون الفساد والدمار في الأرض.

الكثير من المصادر والمراجع التي تدل على أنَّ الرجل ليس بالهين في المطالعة والقراءة، انظر: ناصر بن جاعد بن خميس الخروصي، تنوير العقول في علم قواعد الأصول، تحقيق: فهد بن عامر السعدي وآخرون، (مسقط: ذاكرة عمان، ط ١، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م)، ص ١٥.

^{١٦٤} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ٣، ص ٢٢٠؛ وانظر أيضاً: جميل بن خميس السعدي، قاموس الشريعة الحاوي طرقها الوسيعة، (مسقط: وزارة التراث القومي والثقافة، د. ط، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ج ٦، ص ٣٧٢.

^{١٦٥} أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد اليردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)، ج ١١، ص ٣٤١.

٢. شق الأرض: وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ بِفَتْحِ يَأْجُوجَ تَمْثِيلِ إِخْرَاجِ الْأَمْوَاتِ

إِلَى الْحَشْرِ، فَالْفَتْحُ مَعْنَى الشَّقِّ كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿يَوْمَ نَشَقُّ الْأَرْضَ عَنْهُمْ سِرَاعًا

ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: ٤٤]

ويكون اسم يأجوج ومأجوج تَشْبِيهًا بِلَيْعًا. وَتُخَصِّصُهُمَا بِالذِّكْرِ لِشُهْرَةِ كَثَرَةِ عَدَدِهِمَا

عِنْدَ الْعَرَبِ مِنْ حَبَرِ ذِي الْقُرْنَيْنِ^{١٦٦}.

٣. على ظاهرها بدلالة سياق لحاقها: نقل الشوكاني في فتح القدير عن الفراء

والكسائي وغيرهما: أن المراد بِالْوَعْدِ الْحَقِّ الْقِيَامَةُ وَالْوَاوُ زَائِدَةٌ، وَالْمَعْنَى: حَتَّى إِذَا

فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ اقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ وَهُوَ الْقِيَامَةُ، فَاقْتَرَبَ جَوَابُ إِذَا^{١٦٧}

ومن الملاحظ أنه لا يوجد تفسير محدد أو قطعي لهذه الآية، كما لا يوجد معرفة دقيقة

عن هوية يأجوج ومأجوج أو مكانهم المحدد. والتفسيرات المذكورة سالفاً إنما هي اجتهادات

لعلماء التفسير واللغة. إلا أن البحث يقف مع قول المحقق الخليلي، لأنه كما أوردنا سابقاً في

بداية المبحث أن الإضمار والحذف والتقدير خلاف الأصل في كتاب الله تعالى، ولا يُقدر هذا

الحذف إلا على أكمل الوجوه اللاحقة بالسياق^{١٦٨}. ومن الوجوه اللاحقة بالسياق أن يحمل فتح

يأجوج ومأجوج على ظاهره، حيث لحاق الآية يكمل المعنى فلا يحتاج لتأويل، وهو اقتراب يوم

القيامة بفتح يأجوج ومأجوج.

التطبيق الثاني: خالف المحقق الخليلي شيخه أيضاً في مسألة الكتاب المثبت فيه أعمال

العباد حيث قال بجواز الشك أنه المفهوم على الظاهر أم المجاز. فرد المحقق الخليلي أن الكتاب

المثبت فيه أعمال العباد هو حق بنص القرآن، والتعبير عنه بحفظ الملائكة الكرام خلاف للظاهر

بغير دليل، ويصادم سياق قوله تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ ﴿١٣﴾ اَفْرَأْ

كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤.١٣]، فلو كان معنوياً كما ذهب

^{١٦٦} حمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، (تونس: الدار التونسية للنشر، د.ط،

١٩٨٤ هـ)، ج ١٧، ص ١٤٨.

^{١٦٧} محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، فتح القدير، (دمشق: دار ابن كثير، ط ١، ١٤١٤ هـ)، ج ٣،

ص ٥٠٤.

^{١٦٨} أبو مطر، السياق القرآني وأثره في الترجيح بين خلافات المفسرين، ص ٥٦.

إليه من قاله أو كان من حفظ الملائكة فما معنى إخراجه منشوراً، وما وجه قراءته لكتابه، وما معنى إعطائه إياه بيمين قوم و بشمال آخرين، فظواهر الآيات كلها دالة على وجدانه كذلك كتاباً مرقوماً، يخرج منشوراً، يقرؤونه سطوراً، وأي مانع من جواز ذلك عقلاً أو نقلاً حتى يعدل به عن مفهوم القرآن وظواهر الآيات إلى التأويل البعيد بغير دليل، ولا حجة فليُنظر فيه^{١٦٩}.

مناقشة المسألة:

إذا رجعنا إلى الآيات القرآنية التي ذكر فيها الكتاب الذي تسجل فيه أعمال العباد فقد ذكره الله في عدة مواضع وبعده أوصاف، يتضح من سياقها ما هي ماهيته:

١. ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْهُمْ فَمَنْ أَوْيَّ كِتَبُهُ بِيَمِينِهِ ۖ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإسراء: ٧١]
٢. ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةٍ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا آلِیَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨]
٣. ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْيَّ كِتَبُهُ بِيَمِينِهِ ۖ فَيَقُولُ هُوَ أَقْرَأُ وَكَتَبُهُ﴾ [الحاقة: ١٩]
٤. ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْيَّ كِتَبُهُ بِشِمَالِهِ ۖ فَيَقُولُ يَلْبِثِي لَمْ أُوتَ كِتَبِي﴾ [الحاقة: ٢٥]
٥. ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْيَّ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ ٧ ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨/٧]
٦. ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْيَّ كِتَبُهُ ۖ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ [الانشقاق: ١٠]

فهذه ست آيات ظاهر سياقها بلحاظها وسباقها يتفق مع رأي المحقق الخليلي على أن الكتاب حسي. والآيات لا تحتاج لتأويل يخرجها عن معناها.

^{١٦٩} الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ١، ص ٩٦.

الفصل الثالث

المحقق الخليلي نسبه ونشأته وآثاره العلمية وأبرز ملامح مدرسته الخليلية

ومنهجها

المحقق الخليلي من أعلام الإسلام وأجلاء علمائه، ترك آثاراً علمية وفكرية لا تزال تشهد له بالتفوق والإبداع في مختلف العلوم الشرعية واللغوية والفقهية. وقد كان مؤسساً لمدرسة خاصة به في علوم الشرعية الربانية، تتميز بالوسطية والاعتدال والتجديد. وقد أثنى عليه العلماء بالثناء الجزيل، وأشادوا بأخلاقه الرفيعة وأدبه الجم. وقد نسب إلى شيوخه وتلاميذه بالإجلال والتوقير، وكان يحرص على نشر العلم وتعليمه للناس. في هذا وفي هذا المبحث سنتناول بعض جوانب حياته العلمية وآثاره الفكرية، مقسمين إياه إلى أربعة مطالب:

المبحث الأول: نسبه ونشأته وشيوخه وتلاميذه وأخلاقه

المبحث الثاني: آثاره العلمية وثناء العلماء عليه والتعريف بكتابه تمهيد قواعد الإيمان

المبحث الثالث: مدرسة المحقق الخليلي وملاحمها

المبحث الرابع: منهج المحقق الخليلي في الاستدلال بالقرآن

المبحث الأول: نسبه ونشأته وشيوخه وتلاميذه وأخلاقه

في هذا المبحث سنتطرق إلى ما يعرفنا بالمحقق الخليلي وتكوينه منذ الصغر، والمؤثرات التي كونت هذه الشخصية العلمية، من السلالة التي ينحدر منها المحقق الخليلي وشيوخه وتلامذته وأخلاقه من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: اسمه ونسبه ونشأته

هو: سعيد بن خلفان بن أحمد بن صالح بن عامر بن ناصر بن عامر بن بو سالم ابن أحمد، من نسل الخليل بن عبد الله بن عمر بن محمد ابن الإمام الخليل بن شاذان بن الخليل ابن

شاذان بن الإمام الصلت بن مالك بن بلعرب الخروصي، وسمي بالخليلي نسبة إلى الخليل بن شاذان^١

وينتهي نسبه - وفقاً لما تشير إليه وثائق المؤرخين العُمانيين - إلى خروص بن شاري بن الیحمد بن عبد الله من سلالة نصر بن زهران بن كعب بن حارث بن كعب بن عبد الله بن مالك ابن نصر بن أزد بن نبت بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. ويكنى: أبو محمد وهو ابنه.

اختلف أهل العلم في تاريخ مولد المحقق سعيد بن خلفان الخليلي فقيل سنة ١٢٣١هـ وقيل سنة ١٢٣٦هـ، والذي يرجحه سماحة الشيخ أحمد الخليلي هو الأول^٢ وتوفي والده وهو صغير، فعاش في رعاية جده الشيخ أحمد بن صالح الخليلي في قرية بوشر التابعة لولاية مسقط، وهي قرية تشتهر بالزراعة والصناعة والتجارة، وهناك تربى ونشأ ورضع لبان المجد والعلم. والظاهر أن أسرته كانت أسرة غني، لأن له ببوشر أملاكاً جزیلة، وهي التي مكنته وساعدته على أن يتهيأ لطلب العلم^٣

كان جده أحمد من الفقهاء والأدباء في عصره، وقد نشأ سعيد تحت رعايته وتأثر بعلومه وآدابه. وقد تلقى سعيد دروسه الأولى في مسجد جده الذي عُرف باسم مسجد النجار، وهو مسجد قديم يقع في بوشر. وكان يتابع دراسته على ידי علماء آخرين من أهل مسقط وضواحيها، مثل سعيد بن عامر الطيواني، وحماد بن محمد البسط، وناصر بن أبي نبهان الخروصي^٤.

١ انظر: محمد ابن الزبير وآخرون، دليل أعلام عمان، (مسقط: جامعة السلطان قابوس، ط ١، ١٩٩١م)، القسم الثالث، ص ٤١؛ كامل سلمان جاسم الجبوري، معجم الشعراء من العصر الجاهلي إلى ٢٠٠٢م، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٣م)، ج ٥، ص ٣٩٢. سعيد بن خلفان الخليلي، أجوبة المحقق سعيد بن خلفان، تحقيق:

٢ انظر: أحمد بن حمد الخليلي، قراءات في فكر الخليلي، (مسقط: المنتدى الأدبي: حصاد ندوة التي أحيها المنتدى الأدبي تكريماً للمحقق سعيد بن خلفان الخليلي، ط ٢، ٢٠٠٦م)، ص ١٢.

٣ انظر: أحمد بن سعود السيبي، المحقق سعيد بن خلفان الخليلي وأثره العلمي والسياسي، تحقيق: خميس بن راشد العدوي، (مسقط: مؤسسة اللبان للنشر، ط ١، ٢٠٢١م)، ص ١٨.

٤ انظر: مجموعة من الباحثين، الموسوعة العمانية، (مسقط: وزارة التراث والثقافة، ط ١، ٢٠١٣م)، ج ٤، ص ١٧٧٤.

وكان سعيد بن خلفان من المؤثرين في الشأن السياسي في عمان، فقد كان من المؤيدين لحركة التجديد التي قام بها الإمام عزان بن قيس^٥، التي تضمنت إصلاحات دينية وسياسية واجتماعية. وقد تزوج سعيد من زوجتين من بني خروص وأنجب منهما أربعة أولاد، هم: محمد وعبد الله وأحمد. وشمساء التي تزوجت من الإمام الرضي عزان بن قيس البوسعيدي، وشاركتة في بطولاته وتضحياته في سبيل إعلاء كلمة الحق. كانت شمساء مرجعاً لأهل عصرها، وسنداً قوياً لابن أخيها الإمام محمد بن عبد الله الخليلي، وكانت تعطيه النصائح والاستشارات في أمور دولته^٦. كان محمد وعبد الله من تلاميذه في الفقه والشعر، وقد تركا آثاراً علمية وأدبية. وكان أحمد من الشخصيات السياسية المهمة في عهد الإمام عزان بن قيس^٧.

ترك سعيد بن خلفان آثاراً عظيمة في العلوم الشرعية والأدبية، فقد كتب كتباً كثيرة في مختلف العلوم، مثل الفقه وأصوله، والتفسير والحديث، والنحو والصرف، والعروض والقوافي.

المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه

أولاً شيوخه: توجه الشيخ الخليلي إلى بعض علماء عصره الذين برزوا في القرن الثالث عشر الهجري، وأناروا أفق البلاد بعلمهم الواسع وفكرهم النير، على الرغم من وجود بعض الاضطرابات في ذلك الزمان، إلا أن الشيخ المحقق وجد ضالته المنشودة، فاستفاد منهم كثيراً، وسنحت له الفرصة بالاتصال بهم والاستزادة من علمهم الواسع، ومراسلاتهم القيمة، وظل الشيخ ينهل من معينهم الفياض، ويستفيد من مؤلفاتهم وأبحاثهم.

^٥ انظر: ترجمة عزان بن قيس البوسعيدي: هو أحد أئمة عمان في القرن التاسع عشر الميلادي، وهو من أسرة البوسعيدي الحاكمة. تم انتخابه من قبل أهل الحل والعقد لإعادة حكم الشورى والمقاومة للتدخل البريطاني في شؤون عمان. نجح في السيطرة على مسقط وإعلان الإمامة، ولكنه استشهد في معركة مطرح ضد السيد تركي بن سعيد، الذي أعاد السلطنة بمساعدة البريطانيين. كان الإمام عزان بن قيس رجلاً شجاعاً ووطنياً، وأصدر العديد من الأحكام الإصلاحية في عهده.

^٦ انظر: مجموعة من الباحثين، الموسوعة العمانية، ج ٦، ص ٢٠٥٢-٢٠٥٣.

^٧ أحمد بن سعيد بن خلفان الخليلي: أحد علماء القطر العماني، ولد في بلد سمائل من عمان، وهو ابن العلامة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي، توفي عنه والده وهو ابن سبع سنين، وافته المنية بسبب صرع كان يعتره، ت: ١٣٢٤ هـ، إذ هاجمه وهو يتوضأ في نهر السمدي، فغرق به وهو في ريعان شبابه انظر: محمد صالح ناصر وسلطان بن مبارك الشيباني، معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط ١، ٢٠٠٦م)، ص ٥٣.

ويلاحظ أن الذين أخذ عنهم العلم من العلماء ليس بالعدد الكثير بجانب ما برز فيه من العلوم المتنوعة، وما تجاوز فيه من أخذ عنهم العلم من علماء عصره، وفي هذا دلالة واضحة على أن الشيخ كان عصامياً في تحصيله العلوم، ناهلاً من مصادرهما الأساسية، من كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، هذا إلى جانب الاعتماد على الله عز وجل اعتماداً أساسياً في اكتساب العلم، بالتضرع إليه عز وجل، ودعائه بأن يهبه العلم النافع، فنال بذلك من مواهب الله سبحانه وتعالى ما نال. ومن أبرز شيوخه الذين أخذ عنهم واستفاد من علمهم

١. جده الشيخ أحمد بن صالح الخليلي: أخذ الشيخ سعيد بن خلفان عن جده

الشيخ أحمد بن صالح، الذي كان مقيماً في بوشر علوم الكتاب العزيز، ودرس القرآن الكريم وختمه على يده المباركة، وأفاد منه كثيراً وهو في سن مبكرة من عمره المبارك.^٨

٢. الشيخ سعيد بن عامر بن خلف الطيواني: تتلمذ الشيخ سعيد بن خلفان في

بوشر على يد هذا الشيخ الفقيه، الذي كان مقيماً في قرية سيبا بمدينة بوشر، وكانت أيضاً تقطن فيها والدته الشيخ سعيد بن خلفان، فقد تزوجت في منطقة تدعى بوشر بن عمران وهي معروفة بهذا الاسم حتى الآن، وكان كل يوم يذهب للتسليم على أمه، فلعله تعرف على الشيخ سعيد بن عامر في تلك الفترة، فأخذ يدرس على يديه. وقد أخذ منه مبادئ العلوم من فقه وعربية وسن المحقق الخليلي حينها لا يجاوز السادسة عشرة، ومن غريب الأمور ومنتهى التوفيق الإلهي ما قام به المحقق الخليلي في فترة دراسته عند الشيخ الطيواني؛ إذ غاب عن شيخه فترة حتى خشي عليه، فأتى والدته يسألها عن تلميذه النجيب، فعادت الوالدة - الحريصة على ابنها والمرشدة له إلى الخير - بالتأنيب والتقريع. ما له غاب عن شيخه فذهب التلميذ حديث البين إلى شيخه حاملاً ما يفصح عن الاعتذار؛ إنها ألفية في علم التصريف من بها الرحمن الموفق على هذا الفتى، وهو لم يجاوز السادسة عشرة من عمره، وإن المرة ليحار من تأليفه في علم التصريف والذي

^٨ خلفان بن سالم البوسعيدي وآخرون، "مدرسة الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي التعليمية"، مركز رفاة للدراسات والأبحاث، المجلة الدولية للدراسات الإسلامية المتخصصة، المجلد ٥، العدد ١، (٢٠٢٠م)، ص ١٧.

يشق على كبار العلماء، إلا أن الشيخ الخليلي صاغها في قالب النظم المتسم بالسلاسة وبالسهولة.

٣. الشيخ حماد بن محمد البسط النخلي: من الباطنة عالم متضلع في علوم العربية والشريعة، كان قاضياً في مطرح ومسقط، وهو الذي أمر تلميذه الخليلي نظم كتاب الكافي في علمي العروض والقوافي لأبي العباس بن شعيب بن أحمد الشهير بالخواص، قال الخليلي في المقدمة: «التمس مني من كنت ربيط أسباب إحسانه وغدوت مستمسكاً بأوتاد فضله وامتنانه، ذلك الشيخ الفصيح الكامل، وصرّح باسمه هذا الأديب القائل»^٩:

بسطة	الله	نعمة	لبنى	البسط	فكان	الأولى	بها	حماد
فهو	لا	زال	حامداً	نعمة	وأولى	النعمة		الحمد

٤. الشيخ ناصر بن أبي نبهان: إذاً أشياخه الذين عثرنا عليهم هم هؤلاء الأربعة: جده أحمد بن صالح الخروصي والشيخ سعيد بن عامر الطيواني والشيخ حماد بن محمد البسط والشيخ ناصر بن أبي نبهان الخروصي، وأكثر ما أخذ عنه علوم العقيدة والفقه، ثم الشيخ حماد بن محمد البسط. في هذه الأثناء عُرف عن الشيخ غزارة العلم وقوة الحافظة والذكاء الوقاد، وتحليل المسائل والتحقيق فيها، فذاع صيته واشتهر.

^٩ انظر: مجموعة مؤلفين، الموسوعة العمانية، (مسقط: وزارة التراث والثقافة، ط ١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)، المجلد ٣، ص ١١٣٥؛ عبد الله بن راشد السيابي، التقنيين والجديد في الفقه الإسلامي المعاصر، تحقيق: الحاج سليمان بن إبراهيم الوارجلاني وآخرون، (سلطنة عمان: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ط ٢، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، ص ٣١؛ حميد بن محمد ابن زريق، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، (سلطنة عمان: وزارة التراث والثقافة، د. ط، ١٩٩٢م)، ص ٤٤٥؛ مبارك بن عبد الله الراشدي، الشيخ العلامة سعيد بن خلفان الخليلي وفكره، (مسقط: مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م)، ص ٢٤؛ وقد ذكره أيضاً سعود الحارثي في كتابه إضاءات على إسهامات العمانيين الاجتماعية والعلمية والفكرية، (مسقط: مؤسسة اللبان للنشر، ط ١، ٢٠٢٠م)، ص ١٨١. على أنه أحد تلامذة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي، والصحيح أنه أحد شيوخه.

ثم انتقل إلى سماء، وكما هو معروف عندما يكون الإنسان عالماً معروفاً لا بد أن يقصده الناس، وأن يكون مقصد كل من يطلب العلم، والأدب والرأي والفكر^{١٠}.

ثانياً: تلاميذ الشيخ

انتشرت سمعة المحقق الخليلي بين العمانيين كعالم عامل تقي، وبناءً على هذا السمعة الطيبة، بادروا بإرسال طلاب العلم للدراسة عنده. وقد خرج هؤلاء الطلاب العديد من العلماء فيما بعد الذين أضافوا إلى المشهد السياسي والاجتماعي والعلمي الكثير في عمان^{١١}. من بين أبرز هؤلاء التلاميذ كانوا:

١. صالح بن علي بن ناصر الحارثي، والمعروف بالإمام المحتسب. كان شيخ قبيلة الحرث وأحد الأعمدة الثانية في إمامة الإمام عزان بن قيس. له إجابات شافية على أسئلة كثيرة جمعت في كتاب بعنوان "عين المصالح في أجوبة الشيخ صالح". قام بتخريج عدد كبير من العلماء من بينهم العلامة نور الدين عبد الله بن حميد السالمي. توفي في عام ١٣٢٧ هـ.
٢. سعيد بن عبيد الحجري من ولاية بديعة. كان الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي يتواصل معه ويعامله بلقب "الشيخ المجتهد" حتى بعد انقطاع الاتصال بينهم.
٣. جمعة بن خصيف الهنائي السمائي، العالم والأديب والشاعر الورع الذي صنف سيرة حروب الإمام عزان بن قيس.
٤. عبد الله بن محمد الهاشمي، من سكان الباطنة، كان داعماً قوياً لشيخه في مجال الدعوة. شغل منصب والي الرستاق خلال عهد الإمام عزان بن قيس، وكان أحد شيوخ العلامة السالمي. يُشهد له بالفضل والعلم

١٠ انظر: أحمد بن سعود السيبي، المحقق سعيد بن خلفان الخليلي وأثره العلمي والسياسي، تحرير: خميس بن راشد العدوي، (مسقط: مؤسسة اللبان للنشر، ط ١، ٢٠٢١م)، ص ١٩.

١١ انظر: سعيد بن خلفان الخليلي، إغاثة الملهوف بالسيف المذكر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحقيق: صالح بن سليم الرنجي، (مسقط: ذاكرة عمان، ط ١، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م)، ص ٥٤.

٥. خميس بن سليم، المعروف بأبو وسيم، كان شاعرًا ماهرًا، واستخدم هذه الموهبة في مدح الإمام عزان وتحفيز الناس لدعمه
٦. محمد بن خميس بن محمد السيفي، أحد العلماء البارزين، جمع أجوبة العلامة أبي نبهان في سبعة أجزاء وأجوبة شيخه الخليلي في أربعة أجزاء. وكتب شرحًا على قصيدة أبي نبهان حول سيرة الأئمة. كان مرجعًا للفتوى في نزوى حتى توفي عام ١٣٣٣هـ^{١٢}
٧. سالم بن عديم الرواحي، عالم بارع، شغل منصب القضاء في نزوى تحت إمامة عزان بن قيس.
٨. حمد بن سليمان اليماني الخروصي، من سكان نخل، ثم سكن القابل بالشرقية. كان معروفًا بعلمه وشجاعته
٩. محمد بن سليمان بن محمد الخروصي كان كاتبًا للإمام عزان بن قيس.
١٠. حمد بن سليمان بن ماجد الخروصي معروف بفضله وعلمه.
١١. علي بن خميس الحجري من أهالي بديّة وكان من أعوان الإمام عزان.
١٢. الشيخ صالح بن علي حصل على نصيب كبير من العلم والتقوى.
١٣. سعيد بن ناصر بن عبد الله الكندي حفظ القرآن الكريم منذ صغره ولعب دورًا مهمًا في معاهدة السيب سنة ١٣٣٩ هـ وتخرج على يديه العلماء.
١٤. محمد بن سالم بن سيف الحجري كان من أبرز مناصري شيخه سعيد بن خلفان الخليلي واشتهر بعلمه وفضله.
١٥. نصير بن محمد المحاربي من ولاية "بدبد" وكان له العديد من الأسئلة التي وردت إجاباتها في جوابات الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي، وكان من الملازمين له^{١٣}.
١٦. محمد بن بخيت الرحي: كان أحد أبرز شخصيات بدبد، وقام بتبادل العديد من الرسائل مع شيخه.

^{١٢} انظر: نور الدين عبد الله بن حميد السالمي، نخضة الأعيان بسيرة أهل عمان، (مسقط: مكتبة الاستقامة، د.ط، د.ت)، ص ٢٧٦.

^{١٣} مبارك الراشدي، الشيخ العلامة سعيد بن خلفان الخليلي وفكره، ص ٧٦

١٧. عبد الله بن عامر الأزكوي: من إزكي، وقد اشتهر بفضلته وعلمه الواسع^{١٤}

المطلب الثالث: أخلاقه وصفاته:

١. حبه لله ورسوله ﷺ

كان الشيخ رحمه الله محباً لله ورسوله، شديد التعلق بهما، وهذا آية من آيات إيمانه الخالص لله - تعالى - وقد استوطن في عقيدة قلبه أنه لا يتم إيمانه بالله حتى يتم تقديم حب النبي ﷺ على الأهل والولد والمال، وقد طرح عليه سؤال لشرح معنى قوله: " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وأهله والناس أجمعين"^{١٥}. فقال:

إنَّ حبَّ الله - تعالى - هو حبَّ النَّبيِّ، ومعناه ألا يأخذ ولا يعطي ولا يفعل ولا يترك إلاَّ لله ورسوله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۚ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]، فدل ذلك على أنه لا يتم إيمان العبد إلاَّ بأن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه من الآباء والأبناء، وآية ذلك أن يرضى بقضاء الله وحكمه وأوامره فيهم وهم بين عينيه، فهذا هو الإيمان، وبدون ذلك فلا إيمان، وهو المقصود في الحديث^{١٦}.

٢. متوكل على الله تعالى

وكان الشيخ سعيد كثير التوكل على الله تعالى، لا يتعلّق بالأسباب، ويتضح ذلك جلياً في كلامه ومراسلاته وأجوبته للسائلين، ومن مظاهر ذلك أنه اطلع على بيتين من الشعر، فيهما

^{١٤} انظر: مبارك الراشدي، الشيخ العلامة سعيد بن خلفان وفكره، ص ٧٧

^{١٥} انظر: أحمد بن شعيب النسائي، صحيح سنن النسائي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، (الرياض: مكتب التربية

العربي لدول الخليج، ط ١، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م)، ج ٣، ص ١٠٣٢. رقم الحديث: ٤٦٤١.

^{١٦} انظر: سعيد بن خلفان الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ١٣، ص ١٤.

تعلّق بالأسباب في طلب الرّزق، فأراد أن يردّ على ذلك القائل بما يجي في نفسه التّوكل على الله تعالى في الرّزق لا بالأموال الدنيوية، والبيتان اللذان اطلع عليهما هما^{١٧}:

مَنْ خَافَ مِنْ نَابِ الزَّمَانِ وَعَصَّهِ فَلْيَزِرْ أَلْقَتِ النَّصِيرَ بِأَرْضِهِ
فِي كُلِّ شَهْرٍ مِنْهُ تَأْتِي غَلَّةٌ تُغْنِيكَ عَنْ دَيْنِ الْبَخِيلِ وَقَرْضِهِ

فرد الشيخ بهذين البيتين:

مَنْ خَافَ مِنْ نَابِ الزَّمَانِ وَعَصَّهِ فَلْيَدْعُ رَبَّ الْعَرْشِ خَالِقَ أَرْضِهِ
فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْهُ تَأْتِي رَحْمَةٌ تُغْنِيكَ عَنْ دَيْنِ الْبَخِيلِ وَقَرْضِهِ

٣. احترامه وحبّه لعلماء الأمة كافة:

فهو شديد الاحترام لعلماء الأمة بشتى مذاهبها، وكان أحد شيوخه وهو حماد بن محمد البسط^{١٨} على غير مذهبه، ولا أدل على احترامه وحبّه للعلماء من قوله والمخصوص بهذا رجال الله علماء الآخرة، الذين هم ورثة الأنبياء، مصايح الهدى، وغيث الأمة وغوثها، فالنظر إليهم على سبيل البر بهم، والمحبة لهم، والتعظيم لهم والتوقير والاحترام لما ألبسهم الله تعالى من أنوار علمه إنما هو لأجل محبة العلم وهو محض محبة الله تعالى أو التعظيم للعلم وهو من تعظيم الله تعالى وإجلاله، فملتأدب بين يدي العالم متأدب بين يدي الله والموقر له موقر لله تعالى^{١٩}.

٤. مجتهد يوازن بين الأخذ بآثار العلماء واستقلاله بالنظر والرأي

بلا شك أن المحقق الخليلي يجلّ آراء العلماء فيما قالوه من مسائل، إلا أن ذلك لا يمنع من النظر فيها ومراجعتها، فهو يقول: "كُلُّ آثار المسلمين الصحيحة جائز العمل بها، ولكن في بعض الآثار مسائل مجملة لا بد من النظر فيها، لتفصيلها وتفسيرها"^{٢٠}، وهناك مسائل كثيرة

^{١٧} انظر: سعيد بن خلفان الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ١، ص ٧٠. مبارك الراشدي، الشيخ العلامة سعيد بن

خلفان الخليلي وفكره، ص ٥٥.

^{١٨} تمت الترجمة له سابقاً.

^{١٩} الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ٣، ص ٨١.

^{٢٠} المرجع نفسه، ج ٢، ص ٢٠٩.

تدل على ذلك في كتابه التمهيد، نكتفي بذكر مسألة واحدة في هذا المقام، وهي مسألة أحكام النطق بالهاء في تكبيرة الإحرام، وفي ذلك يقول: «وقد أكثر العلماء الأوائل والآخر من الجدل في تكبيرة الإحرام، إلا أن تأدوا إلى الخصام من غير استماع حجة، ولا إيضاح محجة كل يقول بقول لا يفسره على أصله حتى تلج في المسامع حجته، فينكشف الهدى منه بأنوار الحق لمن أرادته فتأمل، وما اختلفوا في الأصل بالمعنى إلا بالعبارة الاصطلاحية، ثم حدث بعدهم من لم يفهم الكلام، فنصبوا الأعلام، وقسموا الأقسام، وحاربوا الأنام، وأظهروا الأحكام، بتجهيل من خالف، ولغيرهم حالف، وما لهم إلى ذلك من سبيل وما عندهم لو فهموا من دليل ﴿وَرُبُّكَ يُخَلِّقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، فمنهم من قال بتخريجها من الأنف، ومنهم من عدل إلى السكون المحض، لمن لم يحسن هيئة ما قالوه ممَّا لا طائل تحته، وكل ذلك تخليط وتفريط، فقل إن شئت بالضم الصريح، أو الإشمام الصحيح، فالكل واحد وإن اختلفت العبارة، ولا بأس.^{٢١}

٥. مصلح اجتماعي وداعية حكيم

كان المحقق الخليلي قوي الإرادة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وله في ذلك المواقف الكثيرة، كما ألف في ذلك رسالته المشهورة إغاثة الملهوف بالسيف المذكور في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأفرغ في هذه الرسالة براعته، وأودع فيها من تفصيل مسائل هذا الباب ما يأتي بالعجب العجيب، ولا ينبئك مثل خبير، وقد وضع له ضوابط كفيلة بأن لا تحيد به عن هدفه السامي سبيل المثال، فإنه حدد مطلب القائم بذلك بأمرين

الأول: أن يكون قيامه خالصاً لله تعالى بأن يعتقد أنه عبادة خالصة، يتقرب بها إلى الله عز وجل، كالصلاة والصوم، وأنها نافلة من النوافل التي يجب أن يلبس القائم بها ثوب الإخلاص فيها، لا ثوب العجب والرياء، وإلا انقلبت إلى صراع دنيوي، لا طائل تحته سوى

^{٢١} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ٣، ص ٣٨٩؛ وانظر: عبد الله بن راشد السيابي، التقنيين والجديد في الفقه الإسلامي المعاصر، تحقيق: الحاج سليمان بن إبراهيم الوارجلاني وآخرون، (سلطنة عمان: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ط ٢، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، ص ٤٠.

حب السيطرة والغلبة، فيخرج الأمر من حد المباح إلى المعصية، بل من المأمور به إلى المنهي عنه.

الثاني: ألا يكون مطلبه الإمارة، ولا سعيه من أجلها، ولا لأجل الوصول إليها فقط ثم إذا وصل إليها لم يؤتها حقها، بل يعتقد أنها للمسلمين لا له، فيقدم فيها من هو أولى بها، ومن تطمئن النفس إليه أن يؤدي لها حقها، بل إنه من ظهر منه الرغبة فيها لا يعطى إياها، خوفاً منه على العض عليها والجور فيها.

وكان معتدلاً في النهي عن المنكر، فهو يرى غض الطرف عما لا يمكن إنكاره أولاً، وكذلك ما كان إنكاره يؤدي إلى مفسدة أعظم من ذلك المنكر. والتجاوز عن النهي عن المنكر إذا كان فيه تكلف ما لا داعي إليه من الدخول في خصوصيات الناس وأعرافهم التي تحمل الصحة. وذلك من أجل الترفق بالناس وعدم التنفير لهم من الدخول في خاصتهم، ما لم تظهر المعصية علناً، أو يجاهر بها صاحبها، أو تشتهر.

المطلب الرابع: وفاته

لا يوجد تفصيل دقيق عن وفاة المحقق الخليلي وظروف وفاته، ولكن بعض المصادر تذكر أنه مات مسموماً أو دفن حياً، فقد اتهم المحقق الخليلي بأنه يتآمر مع إبراهيم بن قيس ضد تركي، فاستدعي للحضور والاجتماع مع تركي الذي لم تعجبه ردود الخليلي على اتهاماته، فأمر بسجنه ومعه ابنه في سجن الجلالي، وفي ١٦ شباط/فبراير، ١٨٧١، أعلنت وفاة الخليلي، وتلتها بليلة وفاة ابنه محمد، ولكن الادعاء في عُمان يقول إنهما توفيا نتيجة للإسهال والخوف»^{٢٢}

وجاء في الوثائق السرية أنه عندما تولى السيد تركي السلطة، وجد الخليلي نفسه مسؤولاً عن القلاع في مسقط، حيث اضطر إلى التفاوض مع تركي بواسطة الوكيل السياسي الذي أبرم اتفاقية بينهما. ورغم هذه الاتفاقية، قام السيد تركي بالقبض على الخليلي وابنه ودفنهما حين

^{٢٢} انظر: منصور ناصر الحزري، الدولة والمجتمع في عُمان منذ النباهنة حتى العصر الحديث، (بيروت: منتدى المعارف،

في جدران قلعة الميراني حتى ماتا، وهذا ما أخبر به صاحب السمو للسيد توماس. ولولا أن صالح نجا من يد تركي، لكان قد لقي نفس المصير. وهكذا بدأت حقبة من العداء والصراع^{٢٣} بينما يتفق كل من الإمام نور الدين السالمي والشيخ أحمد بن سعود السيالي^{٢٤} على أن المحقق سعيد بن خلفان الخليلي رحمه الله لم يمت بطريقة عادية، بل في ظل ظروف غير واضحة والشيخ نور الدين السالمي يرى السيد تركي من مقتل الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي، بل يذكر تلميحاً أن السيد تركي كان على نية بإطلاق سراحه من السجن لولا واحد من عماله دخل على الشيخ وقتله^{٢٥} وربما نصل إلى استنتاج أن السيد تركي الذي خطف السلطة من الإمام عزان بن قيس لم يكن وراء ذلك بإرادته، وإنما كان هناك جماعة من المتطرفين في حكومته؛ فأسرعوا في قتل الشيخ، وهم بالطبع ينفون ذلك، ويزعمون: أن الشيخ مات بسبب الإسهال والمرض، لأنه كان في السجن. والله أعلم بالحقيقة^{٢٦} وهناك رأي آخر تناول حادثة مقتل الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي هو الشاعر أبو مسلم البهلاني^{٢٧} الرواحي في قصيدته المسماة الميمية:

^{٢٣} انظر: محمد بن عبد الله بن حمد الحارثي، موسوعة عمان الوثائق السرية، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١، ٢٠٠٧م)، مجلد ٢، ص ٢٩٦.

^{٢٤} فضيلة الشيخ أحمد بن سعود السيالي هو عالم ديني وأكاديمي عماني ولد في عام ١٩٥٤م، ودرس اللغة العربية والشريعة الإسلامية في مسجد الخور بمسقط، ثم حصل على ليسانس من جامعة بيروت العربية ودبلوم عال وماجستير من جامعات مصرية وتونسية. شغل عدة مناصب في مجال التربية والأوقاف والشؤون الإسلامية، وهو حالياً أمين عام مكتب المفتي العام لسلطنة عُمان، وهو معروف بتوجهه الإصلاحية والحواري في المجتمع. له العديد من الكتب والبحوث في التاريخ والفقه والحضارة الإسلامية.

^{٢٥} انظر: عبد الله بن حميد السالمي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، (مسقط: وزارة التراث والثقافة، ط ١، ١٩٨٥م).

^{٢٦} انظر: أحمد بن سعود السيالي، المحقق سعيد بن خلفان الخليلي وأثره العلمي والسياسي، تحقيق: خيس بن راشد العدوي، (مسقط: مؤسسة لبان للنشر، ط ١، ٢٠٢١م)، ص ٥١.

^{٢٧} أبو مسلم البهلاني هو شاعر عماني ورائد صحافة، ولد في عام ١٢٧٨ هـ / ١٨٦١ م في قرية محرم من الوادي الشرقي من أودية بني رواحة بولاية سمائل في عُمان. كان أبو مسلم شاعراً وعالمًا وقاضياً وصحفيًا وكاتبًا، تم اختياره من قبل اليونسكو كشاعر ورائد صحافة في الشتات في زنجبار، وقد امتد تأثيره العالمي إلى أجزاء عديدة من العالم العربي وشرق أفريقيا، وترك إرثاً ثقافياً وأدبياً غنياً توفي أبو مسلم في زنجبار في عام ١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠ م. انظر: محمد صالح ناصر، قراءات في فكر البهلاني الرواحي، (سلطنة عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، المنتدى الأدبي: حصاد الندوة التي أقامها المنتدى احتفاءً بذكرى المرحوم أبي مسلم الرواحي، ط ١، ١٩٩٨م)، ص ٤٣.

ويدفن حياً لا جريمة تقتضي سوى أنه بالحق لله قائم
أليس من الغم المميت وقوعها وطرف ولي الثأر في الأمن نائم
إلى إن يقول:

ولا تتركي ثأر المرزأ حبرنا سعيد بن خلفان لمن هو خائم
وعلى كل أياً كانت طريقة استشهاد المحقق الخليلي، فقد انتقل إلى ربه بعد حياة مليئة
بالنضال من أجل إعلاء كلمة الله وتحقيق دينه على الأرض. فرحمه الله رحمة واسعة وجزاه الجزاء
الأوفى.

المبحث الثاني: آثار المحقق الخليلي العلمية وثناء العلماء عليه والتعريف بكتابه تمهيد قواعد الإيمان

هذا المبحث يستعرض أهم آثار المحقق الخليلي العلمية التي أفاد منها طلاب وعلماء عصره،
وخلفها للأجيال من بعده، وثناء العلماء على علمه الغزير، كما يسلط الضوء على كتابه تمهيد
قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام والأديان الذي هو محل هذه الدراسة.

المطلب الأول: آثاره العلمية

العلامة المحقق الخليلي ترك وراءه تراثاً علمياً هائلاً تأثر به العديد من العلماء الذين جاءوا بعده..
رغم تفوقه في العلم، كان دائماً متواضعاً ويصف نفسه بقلة علمه. بدأ التأليف في سن مبكرة،
ولكن كثيراً من أعماله لا تزال مخبئة في خزائن المخطوطات والمكتبات، جاء التأليف والكتابة
عنده بناءً على الحاجة الملحة لتوضيح وتبيين القضايا الدينية. فقد سجّلت سيرته وجهاده
الشهير في ذهن الأجيال، وكان ولا يزال نموذجاً يحتذى به. كانت مهمته في الإصلاح والجهاد
أولوية له على التأليف. وسوف نتطرق في هذا المطلب لأهم هذه الآثار:

أولاً: مؤلفاته في اللغة العربية

المحقق الخليلي يعتبر واحداً من العلماء الذين برزوا في ميدان التأليف. بدأ رحلته في التأليف في
سن السادسة عشرة، ومنذ ذلك الحين اشتهرت مؤلفاته بشكل واضح. فأثرى المكتبة الإسلامية

بمجموعة كبيرة من الكتب العربية والأصولية والفقهية، بالإضافة إلى العديد من الأعمال الأخرى.

١. مقاليد التصريف: من بين مؤلفاته البارزة، كتاب "مقاليد التصريف" الذي تم

نشره في ثلاثة أجزاء بتمويل من وزارة التراث القومي والثقافة في سلطنة عمان^{٢٨}. هذا الكتاب يظهر اهتمامه العميق بميدان الصرف والقواعد اللغوية. في هذا الكتاب قدم الشيخ نظرة شاملة عن قواعد الصرف بشكل يجعلها سهلة الفهم وعذبة المشرب. واعتمد في شرحه على منظومة من الرجز تتألف من ألف بيت، حيث قام بتبسيط القواعد وجعلها واضحة دون تعقيدات أو غموض^{٢٩}. وليس هذا الكتاب هو أول تأليف للمحقق الخليلي في مجال اللغة العربية. فقد ألف قبل ذلك كتاب آخر يسمى "مظهر الخافي المضمن الكافي في علمي العروض والقوافي"^{٣٠} وهو منظومة لامية تعنى بالعروض والقوافي. تميز هذا الكتاب بأسلوبه الواضح والمبسط.

٢. كما له مؤلف في اللغة بعنوان أسنى الذخائر في فك الدوائر في علمي العروض

والقوافي، يتناول هذا الكتاب موضوع العروض والقوافي بأسلوب شامل ومبسط، ويشرح قواعد البحور والأوزان والقافية والسجع والمحاسن والعيوب في الشعر. كما يبين أنواع الشعر وأقسامه وأغراضه وفنونه، ويورد أمثلة من شعراء مختلفين. يعتبر هذا الكتاب من المراجع المهمة في علم العروض والقوافي، وقد ضبطه وصححه فهد بن علي بن هاشل السعدي^{٣١}.

^{٢٨} انظر: سعيد بن خلفان الخليلي، مقاليد التصريف، (مسقط: وزارة التراث القومي والثقافة، ط ١، ١٩٨٦م)، ج ١، ص ٣.

^{٢٩} انظر: سعيد بن خلفان الخليلي، مقاليد التصريف، تحقيق: منير بن محمد السيفي، (مسقط: مكتبة خزائن الآثار، ط ١، ١٤٤٣هـ/٢٠٢١م)، ص ١٥.

^{٣٠} انظر: سعيد بن خلفان الخليلي، مظهر الخافي بنظم الكافي في علمي العروض والقوافي، (مسقط: وزارة الثقافة والرياضة والشباب، مخطوط رقم: ٣. ٢٥١٥)، ص ١٢٠.

^{٣١} انظر: سعيد بن خلفان الخليلي، أسنى الذخائر في فك أو فتح الدوائر في كشف الستائر، تحقيق: فهد بن علي السعدي، (مسقط: ذاكرة عمان، ط ١، ٢٠١٦م)، ص ٥.

٣. كتاب التيسير في شيء من الصرف اليسير: هو كتاب في علم الصرف العربي، يهدف إلى تبسيط مباحث علم الصرف وتوضيحها للطالب، وقد قسمه المؤلف إلى فصول وأبواب مع مقدمة وخاتمة ومكمّلة. كما أظهر المؤلف رأيه واختياراته في بعض المسائل الصرفية، واعتنى بمسألة القياس والشذوذ. يعد هذا الكتاب آخر ما كتبه المؤلف في علم الصرف، فقد سبقه نظم المقاليد وشرحه. وقد صدرت طبعته الأولى سنة ١٤٣٦ هجرية بتحقيق الأستاذ محمد بن خاتم بن عثمان الذهلي^{٣٢}.

٤. سمط الجوهر الرفيع في علم البديع: تناول هذا الكتاب موضوعات متعددة في علم البديع، وهو علم يبحث في جمال الكلام وأسابيه وفنونه. وفي مقدمة الكتاب، يوضح المحقق الخليلي منهجه الذي اعتمده في تأليفه، حيث اتبع بديعية الشيخ ابن حجة^{٣٣}، واستخرج من شرحها المختصر المفيد، فأحياناً ينقل معانيه بألفاظه وأحياناً يبدل كلامه بغيره لمصلحة، فأخذ من كتابه ما يلزم الاهتمام به وترك منه ما يكفي عنه ولا حاجة إليه، وزاد عليه التوجيه والإيضاح، بالإضافة لمعنى جميل صحيح سليم، وذكر بعد ذلك البديعيات الثلاث التي ذكرها وأضاف رابعة أخرى نظمها السيوطي وجمع فيها درراً. وقد حقق هذا الكتاب الشيخ محمد بن يحيى بن سفيان الراشدي^{٣٤}.

^{٣٢} انظر: سعيد بن خلفان الخليلي، التيسير في شيء من الصرف اليسير، تحقيق: محمد بن خاتم الذهلي، (مسقط: مركز ذاكرة عمان، ط١، ٢٠١٥م)، ص ١٠.

^{٣٣} ابن حجة الحموي هو أحد أشهر علماء الإسلام والأدباء في القرن الثامن الهجري ولد في مدينة حماة في سوريا وتوفي فيها. كان شاعراً وأديباً وناقداً وله مؤلفات كثيرة في مجالات البلاغة، والنحو، والشعر، والتاريخ. من أبرز كتبه كتاب "خزانة الأدب وغاية الأرب". انظر: تقي الدين أبو حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، المحقق: عصام شقيو، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ط، ٢٠٠٤م)، ج ١، ص ٥.

^{٣٤} انظر: سعيد بن خلفان الخليلي، سمط الجوهر الرفيع، تحقيق: محمد بن يحيى الراشدي، (مسقط: مركز ذاكرة عمان، ط١، ٢٠١٥م)، ص ٩.

ثانياً: مؤلفاته في أصول الدين

١. كرسي الأصول:

كتاب كرسي أصول الدين للمحقق الخليلي هو كتاب في علم العقيدة والكلام، يبحث في مسائل الولاية والبراءة والإمامة والحجة على الملحددين والضالين. يتألف الكتاب من مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة، ويشتمل على مصادر ومراجع وفهارس. ويظهر جهود الشيخ الخليلي في نقد أطروحات المخالفين بالأدلة العقلية والنقلية. دراسة وتحقيقه خليفة بن حمد بن سعيد السعدي، وهو باحث في التراث العماني^{٣٥}.

٢. ديوان الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي

يحتوي ديوان الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي مجموعة من القصائد في مختلف الموضوعات الدينية، والأدبية، والسياسية، والأصول، وبعضها في السلوك والحماسة والولاية والبراءة، وبعضها في النصح والإرشاد. جمعه وحققه الباحث عادل بن راشد بن علي المطاعني^{٣٦}

ثالثاً: رسائله في علوم القرآن والفقه

١. رسالة في علم التجويد المعروفة بالدرة النورانية في الأحكام القرآنية

كتبها عندما شهد اختلافاً بين الناس حول القواعد الصحيحة لتلاوة القرآن، فقرر التوجه إلى الله ليهديه إلى ما أوجد في كتابه من توجيهات وأحكام. فقام بالبحث والنظر في القضايا ونقل ما استخلصه من فوائد في هذه القصيدة، وسماها الدرة النورانية في الأحكام القرآنية. لتسهيل فهمها للطلاب والباحثين. وهي منظومة شعرية في علم التجويد، إلا أنه عثر فقط على ١٨

^{٣٥} انظر: سعيد بن خلفان الخليلي، كرسي أصول الدين، تحقيق: خليفة بن سعيد البوسعيد، (مسقط: مؤسسة بيت الغشام، ط ٢، ٢٠١٨م)، ص ٨٨.

^{٣٦} انظر: سعيد بن خلفان الخليلي، ديوان الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي، جمع وتحقيق: عادل بن راشد المطاعني، (عمان: مؤسسة الوراق، ط ١، ٢٠٠٣م)، ص ١٥.

بيت شعري منها، تبدأ بالحمد لله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم تشرح أحكام التجويد بأسلوب سهل ومبسط، مستعينة بالأمثلة والقواعد^{٣٧}.

٢. رسالة في تفسير سورة الفاتحة

وقد ذكر أنه لم يتناول تفسير الفاتحة كاملة، بل ترك الآية السابعة. لأن ما قدمه ليس تفسيراً تقليدياً يهتم بالألفاظ والمعاني والتراكيب، بل هو محاولة لإبراز مقامات الإيمان وكيفية استنباطها من السورة المباركة. ولم يكملها ولم يهتم بتحسينها، لأنه كان يرغب في إخفائها خوفاً من نقصان علمه وفهمه. ولكنه نسي أن يتخلص من مخطوطاته، فظلت محفوظة عنده. وكذلك كتاب الدرة النورانية، فقد كان في البداية مختصراً ثم امتد، وأراد أن يشرحه فبدأ في ذلك ثم توقف، لأنه وجد أن لغته وأسلوبه - على حد قوله - غير فصيح ولا بليغ. فتركه أيضاً، وأصبح كأنه غير موجود، رغم وجوده حرفياً.^{٣٨}

٣. رسالة في الجهاد

من آخر مؤلفاته، وقد تمت كتابتها في عهد الإمام الرضي عزان بن قيس البوسعيدي عام ١٢٨٧ هـ. تُظهر النصوص عدة دلائل على هذا الأمر. تُعتبر هذه الرسالة عميقة النظر وتحمل مفاهيم سياسية متينة. تشبه في العديد من الجوانب الخطة المشروعة للإصلاح وتجمع بين التجربة الواقعية والنظرية. يتميز الكتاب بسهولة قراءته، وكأنه جهد لإفادة الجميع أو تجربة لمنهج تألوفي جديد، تركز الرسالة على مفهوم الجهاد والسلم وتشمل صلاحيات الإمام بالإضافة إلى المحتسب والوالد والسيد. وتتضمن أبعاداً إيمانية مهمة. وهي رسالة قصيرة ضمن الجزء الثالث عشر من كتاب التمهيد تتناول موضوع الجهاد، وتفصل من يجب عليه الجهاد ومن لا يجب عليه^{٣٩}.

^{٣٧} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام، ج ١٣، ص ٥٠١.

^{٣٨} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام، ج ١٣، ص ٤٨٣.

^{٣٩} انظر: المرجع نفسه، ج ١٣، ص ١٧٥.

٤. رسالة في حكم أموال الجبابة:

فصل المحقق الخليلي في هذه الرسالة القول في مسألة مهمة تتعلق بحكم الأموال التي يجمعها الظلمة من الضرائب والرسوم والغرامات وغيرها من المصادر غير المشروعة شرعاً. وقد بين المحقق الخليلي في رسالته أن هذه الأموال لا تعتبر ملكاً للجبابة ولا لأتباعهم، بل هي ملك للمسلمين الذين انتزعت منهم بالظلم والباطل، وأنه يجب إنفاقها في مصالح المسلمين وإزالة مضارهم. وقد استدلل المحقق على قوله بالأدلة من الكتاب والسنة والإجماع والقياس ورد على الشبهات التي تنار حول هذه المسألة^{٤٠}

٥. لطائف الحكم في صدقات النعم:

هذه الرسالة تشرح قصيدة ميمية تتناول زكاة الأنعام، وهي فريضة من فرائض الإسلام الخمسة والركن الثالث منها. وقد أطلق عليه مؤلفها اسم (لطائف الحكم في صدقات النعم)، لأنه يبحث في صنف محدد من أنواع الزكاة المفروضة، وهو زكاة المواشي التي تضم ثلاثة أصناف؛ هي الإبل والبقر والغنم. وهي عبارة عن شرح لأبيات عثر عليها الشيخ حال مطالعته، فأعجبه ما فيها من الإيجاز مع ما تحمله من كثرة المعاني، فقام بشرحها، ولكون هذه الأبيات لم تخل من الخلل والاعتلال في النظم والوزن أخذ في إصلاحها، وأصلح ما فيها من نقص. وقد تم تحقيق هذه الرسالة ونشرها^{٤١}

٦. رسالة في الرد على المنذري:

وهي رسالة مطولة أرسلها المحقق الخليلي تعقيباً على العلامة المنذري حول بعض مسائل الوصايا وطرق كتابتها وحجيتها، وقد شدد عليه في العبارة، ولا نعلم ما هي ظروف الرسالة، ولا ملابساتها، والرسالة موجودة بأكملها في الجزء الثالث عشر من كتاب التمهيد^{٤٢}.

^{٤٠} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام، ج ١٣، ص ٤٥٥.

^{٤١} انظر: سعيد بن خلفان الخليلي، لطائف الحكم في صدقات النعم، تحقيق: سلطان بن خيس الناعبي، (مسقط: مكتبة

الجيل الواعد، د. ط، ٢٠٠٣م)، ص ٥٧.

^{٤٢} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام، ج ١٣، ص ٢٦٥.

٧. رسالة في أخذ الخراج من الساحل

وهي رسالة كتبها في موضوع تأجير الساحل، وهو موضوع يتعلق بالمصالح الاقتصادية والسياسية للدولة الإسلامية، أعمل فيها المقاصد الشرعية مستشهداً بكتاب الله تعالى ومستنداً على أصول الفقه، يرد فيها على من انتقدوا سياسته في تصريف أموال الدولة، ويبين أنه يعمل بما يخدم المصلحة العامة^{٤٣}

٨. رسالة في الرد على محيي الدين بن نجبار

رسالة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي لمحيي الدين بن شيخ مفتي الشافعية حول زيارة القبور، هي رسالة دعوية وعلمية تبين حكم زيارة القبور والتبرك بها والاستغاثة بأهلها من منظور الشريعة الإسلامية. وهي رد على رسالة أرسلها محيي الدين إلى المحقق الخليلي يدافع فيها عن هذه الممارسات التي انتشرت في زنجبار وغيرها من البلاد. وقد أجاد المحقق الخليلي في تفنيد حجج محيي الدين بالأدلة القرآنية والسنية والعقلية، وبيان مخالفتها لمذهب الشافعية نفسه، وإظهار خطورتها على توحيد الله والإخلاص له. وقد أرفق المحقق الخليلي رسالته بمجموعة من الشواهد الشرعية التي تؤكد موقفه من هذه المسألة.^{٤٤}

ومن كتبه في السلوك:

١. النواميس الرحمانية في تسهيل الطريق إلى العلوم الربانية: كتاب يتناول وسائل تحصيل العلم. يبدأ بالحديث عن الدماغ والأكل والعقاقير التي تفيد في تحسين وظائفه. ثم يتحدث عن أسرار الآيات والأسماء الحسنى والأذكار والتلاوات، وفوائد تلاوة أسماء الله الحسنى وبركة الدعاء، ونسخ الكتاب متداولة، والكتاب معروف بـ "عمان بين أهل العلم. اقتبس فيه من الأنطاكي والغزالي والبوني وغيرهم.

^{٤٣} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام، ج ١٣، ص ٤٣٥.

^{٤٤} انظر: المرجع نفسه، ج ١٣، ص ٣٩١.

الكتاب متاح في دار المخطوطات والوثائق، وقامت بتحقيقه مؤخراً انتصار المسلمية^{٤٥}.

٢. **قصائد في الزهد والسلوك:** أبيات سلوكية وحماسية رائعة تعبر عن مدى عمقه الأدبي، والفكري، والتربوي، والسلوكي. لا يُلاحظ في هذا الديوان أي أثر للثرثاء أو الشعر الغزلي، ويُلاحظ أن معارك الإمام عزان وقصائده السلوكية تتناول أهدافاً سياسية، وهذا واضح في قصيدته "سموط ثناء" التي أثبتت وجود علاقات وثيقة بين التبتل وإصلاح المجتمع في جميع مجالاته السياسية وغيرها^{٤٦}.

ومن مؤلفاته في الدعوة

١. **إغاثة الملهوف بالسيف المذكر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:** تناول فيه المحقق الخليلي موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويبين أحكامه وضوابطه وشروطه، وذكر أمثلة من تاريخ الإسلام على تطبيق هذا الأمر. وبين فيه أقسام المنكر ومراتب الإنكار، وأحكام المحتسب وما إلى ذلك، حققه الباحث صالح بن سليم بن صالح الربيعي، وقد نشرت في جامعة آل البيت في الأردن سنة ١٩٩٩م^{٤٧}.

٢. **خطب لعيد الأضحى والفطر والاستسقاء:** تميزت هذه الخطب بأسلوب سلس، ولفظ جميل، وتركيب جذاب واستخدام البديع بشكل كثيف، وتوجيه صادق. بعض هذه الخطب محفوظة ومتوفرة، ولا يزال أكثر الناس إلى يومنا هذا يرددونها

^{٤٥} انظر: سعيد بن خلفان الخليلي، النواميس الرحمانية، تحقيق انتصار بنت محفوظ المسلمية، (مسقط: مكتبة مسقط، ط ١، ٢٠٢٠م)، ص ١٥.

^{٤٦} انظر: محمد بن سليمان الحضرمي، المشرب العذب قراءات في الشعر العماني، (مسقط: الجمعية العمانية للكتاب والأدباء، ط ١، ٢٠٢٠م)، ص ١٩٢.

^{٤٧} انظر: سعيد بن خلفان الخليلي، إغاثة الملهوف بالسيف المذكر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحقيق: صالح بن علي الربيعي، (مسقط: مركز ذاكرة عمان، ط ١، ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م)، ص ٧.

في المناسبات مراعاة لبركتها، وهي موجودة بدار المخطوطات رقم ٣٤٠٩، كما أن بعض منها مدرجة ضمن كتاب تلقين الصبيان^{٤٨}

٣. **جوابات المسائل:** أثرت عن العلامة الخليلي أجوبة كثيرة في مختلف المسائل، وقد قام محمد بن خميس السيفي النزوي بجمعها بعد وفاة العلامة الخليلي في كتاب سماه «تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام والأديان، ورتبه على طريقة أبواب الفقه، وضم إليه بعض الأجوبة الماثورة عن الشيخ^{٤٩}، وسوف نتحدث في مطلب مستقل عن هذا الكتاب، حيث إنه موضوع بحث هذه الرسالة.

المطلب الثاني: ثناء العلماء عليه

عندما يظهر شخص استثنائي في المجتمع ويبدى تفوقاً في ميادين مختلفة، يكسب احترام العامة والخاصة، ويحظى بتقدير العلماء الذين يكتبون عنه. كان المحقق الخليلي من بين هؤلاء الأشخاص الذين اجتهدوا في مجالات متعددة من العلم في سن مبكرة، مما جذب انتباه مشايخه وأثنوا عليه في عصره. وهذا التقدير وإعجاب العلماء بالشيخ سعيد بن خلفان نظير جهوده الكبيرة في مجال العلم والتصوف. ونذكر فيما يلي بعض العلماء الذين أثنوا عليه:

١. **الثناء من الشيخ القطب^{٥٠}:** حيث ذكر أن الشيخ سعيد بن خلفان واحد من كبار العلماء في عصره. وأشاد بجهوده وأشار إلى مكانته العلمية بوصفه "جامع

^{٤٨} انظر: عبد الله بن حميد السالمي، تلقين الصبيان ما يلزم الإنسان، (مسقط: مكتبة الإمام نور الدين السالمي، ط ١، ١٩٩٩م)، ص ١٢٣.

^{٤٩} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام، ج ١، ص ٩٩.

^{٥٠} محمد بن يوسف أطفيش عالم وفقه في تاريخ الجزائر والإسلام عاش في الفترة (١٨٢٠م - ١٩١٤م). لقد كان عالماً وإماماً وإصلاحياً ومناهضاً للاستعمار الفرنسي. ألف العديد من الكتب في مختلف العلوم الإسلامية واللغوية والأدبية. أسس أيضاً مجالات إسلامية لنشر الفكر الإباضي والتوعية بالقضايا الإسلامية. لقد ترك إراثاً ثرياً للأجيال اللاحقة. انظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى منتصف القرن العشرين، (بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية: ط ٢، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ص ١٩.

المعقول والمنقول والتصوف". وهذا يشير إلى تقدير الشيخ القطب لإسهاماته العلمية والصوفية.

٢. الثناء من الإمام نور الدين السالمي^{٥١}: أطلق عليه الإمام نور الدين السالمي لقب الإمام المحقق. كما أكرمه بألقاب أخرى مثل المدقق الخليلي، وشيخنا المحقق، وعالم العصر، وعالم عمان. وهذا يُظهر تقديره لمكانته العلمية^{٥٢}.

٣. أشاد أبو مسلم الرواحي بالمحقق الخليلي، حيث وصفه بلفظ "السيد الجليل"، وأشار إلى عظم علمه باللفظ "العلامة الخليلي"، واعتبره "قطب الولاية". ولم يكتفِ بذلك، بل أكد أن كلامه يظهر وجود علم كشفي وهبي، وأنه لا يمكن لأي شخص إلا لمن أكرمه الله أن يتمتع بهذا العلم^{٥٣}.

٤. أثنى الشيخ محمد بن راشد بن عزيز الخصبي على الشيخ المحقق بأبيات جميلة، مشيراً إلى علومه وقدرته على حل المعضلات، ووصفه بأنه "زكي الفعال" وأفضل الثقات. كما أشار إلى أنه إمام محقق وقُدوة ثابتة، وأن سلوكه يشع بالإيجابية والتميز. ولم يكن إبداعه مقتصرًا على العلم، بل تجلّى أيضًا في قصائده ونظمه حول وقائع الحروب^{٥٤}.

^{٥١} نور الدين السالمي: عبد الله بن حميد السالمي هو علامة ومحقق وشاعر ومؤرخ عماني، يعد من أبرز شيوخ عمان في القرن التاسع عشر الميلادي ولد في قرية الحوقين بالرسّاق سنة ١٢٨٤هـ وتوفي في تنوف بنزوى سنة ١٣٣٢ هـ. درس القرآن الكريم على يد والده ثم انتقل إلى الرسّاق وغيرها من المدن لطلب العلم. تتلمذ على أيدي عدة علماء مشهورين مثل راشد بن سيف اللمكي وصالح بن علي الحارثي، أصبح معلمًا ومؤلفًا وقائدًا للجهاد وإقامة العدل له العديد من المؤلفات في مختلف العلوم مثل الفقه، والتاريخ، والنحو، والعقيدة. أشهر كتبه تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان وتلقين الصبيان في علم الفقه. انظر: سليمان بن محمد السليمان، العلامة نور الدين السالمي أمة في رجل، (مسقط: مكتبة بصيرة، ط ١، ٢٠٢٠م)، ص ٢٠.

^{٥٢} انظر: سعيد الهنائي، الإمام المحقق سعيد بن خلفان ومنهجه الدعوي، (جامعة أم درمان: رسالة ماجستير غير مطبوعة، ٢٠١٨م)، ص ٥١.

^{٥٣} انظر: المرجع نفسه، ص ٥٢.

^{٥٤} انظر: المرجع نفسه، ص ٥٣.

٥. اعتبر سماحة الشيخ أحمد الخليلي^{٥٥} الشيخ المحقق بأنه "العالم العملاق" والقطب الرباني والبحر الصمداني^{٥٦}.
٦. الشيخ جمعة بن خصيف الهنائي أطلق عليه اللقب الشريف بقوله: "سعيد بن خلفان الخليلي، شيخان عليمان في مصر، تميّزا بالعلم، والعبادة، والورع، والزهادة.
٧. كان في عصره الشيخ جميل السعدي، وكان يحترم المحقق الخليلي ويعتبره من العلماء المعترين وكان يسميه "الشيخ العالم"، وكان يقوم بنقل الكثير من أجوبته.
٨. العلامة محمد بن خميس السيفي أثنى عليه بقوله بأبيات فريدة مفادها أنه: لم يرَ كابن خلفان الخليلي مثيلاً في حل المشكلات، وكان عليم العصر، سابقاً في القيم والأخلاق، حافظاً لدين الله بكل تفانٍ، وقد رقى في سماء المجد على السبع الشداد، وصاغ في أصول الدين كتباً أتت بالحق دائماً.
٩. عندما كان يكتب إليه الإمام عزان بن قيس، يخاطبه بلفظ "سيدي العلامة".
١٠. أحمد العبادي كتب إليه معبراً عن تقديره بقوله "شيخنا وقدوتنا العالم العلامة شمس الزمان، ووحيد العصر والأوان".
١١. وصفه العلامة الشماخي بأنه كان عالماً عاملاً، وكان له دور مهم في زمانه، شديداً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^{٥٧}.

^{٥٥} هو عالم معاصر مفتي عام سلطنة عمان وأحد أبرز العلماء الإباضيين في العالم. ولد في زنجبار عام ١٩٤٢ ودرس القرآن والعلوم الشرعية والعربية في زنجبار وعمان. عمل مدرساً وقاضياً ومديراً للشؤون الإسلامية قبل أن يتولى منصب المفتي العام بدرجة وزير عام ١٩٧٥. له العديد من المؤلفات والفتاوى والمحاضرات في مختلف المجالات الدينية والفكرية والسياسية. حصل على نيشان باكستان عام ٢٠٢٢ تقديراً لجهوده في نشر الثقافة الإسلامية. انظر: زايد بن سليمان الجهضي، معالم من الفكر التربوي، (سلطنة عمان: مسقط، ط٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ص ٢٠.

^{٥٦} أحمد بن حمد الخليلي، الخليلي فقيهاً ومحققاً، (مسقط: المنتدى الأدبي، حصاد الندوة التي أحيها المنتدى الأدبي للمرحوم سعيد بن خلفان الخليلي، ط٢، ١٤٢٧هـ/١٩٩٣م)، ص ١٢

^{٥٧} انظر: سعيد بن خلفان الخليلي، لطائف الحكم في صدقات النعم، (مسقط: مكتبة الجيل الواعد، ط١، ٢٠٠٣م)، ص ١١٣.

المطلب الثالث: التعريف بكتاب تمهيد قواعد الإيمان، وتقييد شوارد ومسائل الأحكام وجامعه

أولاً: ترجمة جامع ومرتب كتاب التمهيد

الشيخ العلامة محمد بن خميس السيفي، هو عالم وقاضٍ ومؤلف عماني، ولد في نزوى سنة ١٢٤١هـ. تلقى تعليمه من المحقق الخليلي وكان من تلاميذه المتفوقين. شغل منصب القضاء في نزوى في زمن الشيخ هلال بن زاهر الهنائي والسيد سيف بن حمد البوسعيد بعد سقوط الإمامة. كان معروفا بعلمه في السر والظاهر، وكان يأتيه الناس من كل حدب وصوب للاستفادة من علمه، عاصر الإمام عزان بن قيس والإمام سالم بن راشد وتوفي في عهده سنة ١٣٣٣ هـ^{٥٨} من أبرز مؤلفاته:

١. اللامية في أئمة البعارة وشرحها.
٢. شرح النصوص في أئمة بني خروص (وهو شرح لقصيدة الشيخين جاعد الخروصي وسعيد الغشري).
٣. شرح المعراج الأسنى في أسماء الله الحسنى (ثلاث مجلدات)
٤. العقد الثمين^{٥٩} (سبعة مجلدات)، جمع فيه جوابات الإمام أبي نيهان
٥. تمهيد قواعد الإيمان (أربعة مجلدات)، جمع فيه جوابات المحقق الخليلي

ثانياً: التعريف بكتاب تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام والأديان

كتاب "تمهيد قواعد الإيمان" أو "جوابات المحقق الخليلي" هما اسمان مترادفان لنفس الكتاب. يعتبر هذا الكتاب مجموعة من الجوابات والبحوث والردود للمحقق الخليلي وعلماء عصره

^{٥٨} انظر: محمد بن خميس السيفي، اللامية في أئمة البعارة، تحقيق: محمد بن عبد الله السيفي، (نزوى: صدی الإبداع، د.ت)، ص ٢٥.

^{٥٩} انظر: محمد بن راشد الخصبي، شقائق النعمان، (مسقط: وزارة التراث والثقافة، ط ٣، ١٩٩٤م)، ج ٣، ص ٢٣٨.

الآخرين. تم جمع هذه المسائل ودمجها في كتاب واحد بواسطة الشيخ العلامة محمد بن خميس السيفي^{٦٠}.

يشمل هذا الكتاب معظم آثار المحقق الخليلي، حيث يحتوي على إجاباته وفتاويه، بالإضافة إلى بعض الرسائل الطويلة مثل رسالة الجهاد وبعض الأحكام الشرعية وغيرها. بعد وفاة المحقق الخليلي، قام تلميذه الشيخ محمد بن خميس السيفي، بتنظيم وترتيب مخطوطاته وتقسيمها إلى أربعة أجزاء رئيسية. تم نشرها فيما بعد في اثني عشر مجلدًا ضمن مجموعة "لوائف بجمع القطع المتوسطة"^{٦١}.

من منهج الشيخ السيفي في هذه المجموعة كان عدم الاعتماد فقط على إجابات شيخه المحقق الخليلي، بل قام بإضافة بعض فتاوى علماء ذلك العصر، مثل فتاوى الشيخ أبي نبهان جاعد بن خميس الخروصي، وفتاوى ابنه الشيخ ناصر بن أبي نبهان، وفتاوى الشيخ سلطان بن محمد بن صلت البطاشي. كما جمع الشيخ السيفي في كتابه "التمهيد" بعض الفتاوى القليلة من علماء آخرين مثل الشيخ سعيد بن بشير الصبحي، والشيخ جميل بن خميس السعدي، والشيخ محمد بن سليم الغاري - رحمهم الله جميعًا^{٦٢}.

في مقدمة الكتاب، أشار العلامة السيفي إلى أن اسم الكتاب هو "الجامع الكبير"، وأكد على أهمية آثار وأسفار الإمام الخليلي كمصادر قيمة للمعرفة. وعلى ضوء هذه الآثار، قام الشيخ العلامة محمد بن خميس السيفي بتجميع كتابه الخاص وسماه "الجامع الصغير لكتاب تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام والأديان من جوابات الشيخ العلامة سعيد بن خلفان".

^{٦٠} انظر: سعيد بن خلفان الخليلي، مخطوط تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام والأديان، (وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، المكتبة الإلكترونية، النسخ: سيف بن ناظم بن علي الجابري، تاريخ النسخ: ١٢ رجب ١٣٢٧هـ، مخطوط رقم: AS153).

^{٦١} انظر: سعيد بن خلفان الخليلي، أجوبة المحقق الخليلي، (مسقط: مكتبة الجيل الواعد، ط ١، ٢٠١١)، ج ١، ص ٥٢.

^{٦٢} انظر: سعيد بن خلفان الخليلي، مخطوط مسائل العلامة سعيد بن خلفان الخليلي، (وزارة الأوقاف والشؤون الدينية: المكتبة الإلكترونية، النسخ: بخيت بن سعيد الحارصي، تاريخ النسخ: ١٠ جمادى الأولى ١٤٢٩هـ، مخطوط رقم: AK:149).

١. صحة نسبة الكتاب للمحقق الخليلي

كتاب "تمهيد قواعد الإيمان" أو "جوابات المحقق الخليلي" هما اسمان مترادفان لنفس الكتاب. يعتبر هذا الكتاب مجموعة من الجوابات والبحوث والردود حول المحقق الخليلي وعلماء عصره الآخرين. تم جمع هذه المواد ودمجها في كتاب واحد بواسطة الشيخ العلامة محمد بن خميس السيفي.

كما يشير العلامة السيفي، إلى أنه قام بزيادة على ما جمعه في الجامع الصغير، حيث لم يكن هذا الأخير مستوعباً للمسائل والأبواب ولم يفهم دليل القول فيه بشكل جيد. لذلك قرر أن يقوم بجمع معلوماته في كتاب جديد يُسهّل على القراء فهمه، وسماه "الجامع الكبير" لكتاب تمهيد قواعد الإيمان وتقييد ما تشتت من شوارد مسائل الأحكام والأديان". وهذا الكتاب يهدف إلى توضيح القواعد الشرعية وتقديمها بشكل مفهوم للقراء ذوي البصيرة والفهم^{٦٣}.

وقد صرح عدد من أهل العلم والنظر بنسبة كتاب "تمهيد قواعد الإيمان" للمحقق الخليلي. فقد ذكر المحقق الخليلي الإمام نور الدين السالمي في كتابه "التحفة" حين وصف البيعة الموجودة في جواباته، وأشار إلى كتاب "التمهيد". كما ذكر الشيخ محمد بن عبد الله السالمي في كتابه "نخضة الأعيان" مؤلفاته دون التفصيل. وبالنسبة للشيخ محمد بن راشد الخصيبي في كتابه "الشقائق"، تحدث عن مؤلفات المحقق دون ذكر اسم "التمهيد" بل أشار إلى أن العلامة السيفي قام بجمع فتاويه الثرية والنظمية في أربع مجلدات ضخمة^{٦٤}.

وبالإضافة إلى النسخة المطبوعة من قبل وزارة التراث القومي والثقافة، التي تحمل اسم المؤلف وعنوان الكتاب، وتتضمن أيضاً مقدمة الشيخ السيفي التي عُرضت سابقاً. وبهذا اتفق العلماء على صحة نسبة كتاب التمهيد إلى المحقق الخليلي، وعلى الشخص الذي جمعه ورتبه هو العلامة محمد بن خميس السيفي، ولم يكن هناك أي شك أو جدال من أحد حول هذه الحقيقة المعروفة.

^{٦٣} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد ومسائل الأحكام، ج ١، ص ١٠١

^{٦٤} انظر: نور الدين عبد الله بن حميد السالمي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، (بيروت: دار الكتب العربية، ط ١، ١٩٦١م)، ص ٣٩٥.

٢. محتوى كتاب تمهيد قواعد الإيمان للمحقق الخليلي

كتاب "تمهيد قواعد الإيمان" يُقدم بمحتواه العام مجموعة جوابات المحقق الخليلي، وقد قام العلامة محمد بن خميس السيفي بجمع هذه الجوابات في أربع قطع كبيرة، ونظمها وفقًا لأبواب الفقه والشرعية. وضمن هذا الكتاب، أضاف الشيخ السيفي أيضًا كتبًا وبحوثًا مستقلة للمحقق الخليلي ودمجها في "التمهيد"، بما في ذلك رسالة "إغاثة الملهوف" ورسالة "الجهاد" وغيرها. بالإضافة إلى ذلك، تضمن الكتاب أيضًا جوابات ورسائل من مصادر أخرى غير المحقق الخليلي، مثل جوابات الإمام أبي نبهان والشيخ محمد والشيخ ناصر بن جاعد، وتم تنظيمها بعناية داخل هذا الكتاب.

والإجابات التي من غير المحقق الخليلي تُميز فقط ببعض العبارات مثل "ومن غيره"، أو "ومما هو مضاف إلى التمهيد"، أو "ومما هو مضاف إلى شيخنا البطاشي"، وغيرها من العبارات. التي يُفهم منها أن النص اللاحق ليس من كتابة المحقق الخليلي. وفي كثير من الأحيان، يتم تجاهل هذه العبارات، مما يتسبب في الارتباك لدى القارئ الذي لا يستطيع التمييز بين كلام المحقق وآراء العلماء الآخرين.

أُضيفت آراء علماء مشهورين في كتاب "التمهيد"، شكلت جزءًا كبيرًا منه. في البداية تم جمع هذه الإضافات في مقدمة كل فصل، لكن فيما بعد تم تعديل تنظيمها حيث تم تجميع إضافات كل فصل معًا ووضعها في نهاية الفصل، وتم الإشارة إليها بوصفها "الزيادات"^{٦٥}. كتاب "تمهيد قواعد الإيمان" تم طبعه بوزارة التراث في اثنا عشر جزءًا، وتم تقسيم كل جزء إلى ثلاثة عشر جزءًا، بالإضافة إلى جزء خاص للفهارس يمثل الجزء الرابع عشر.

٣. كتاب تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام والأديان بتحقيق حارث بن

محمد البطاشي

وهذا الكتاب بتحقيق حارث البطاشي هو المعتمد في هذه الدراسة. ويحسن بنا التعريف بالمحقق البطاشي وجهده في تحقيق كتاب التمهيد:

^{٦٥} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام، ج ١، ص ١٠٦.

الشيخ حارث البطاشي هو باحث ومحقق عماني متخصص في الفقه والأصول والتاريخ الإسلامي. هو مؤلف ومحقق كتاب تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام والأديان للإمام المحقق سعيد بن خلفان الخليلي التي صدرت أول طبعة لها عام ٢٠١٠م، قام البطاشي بتحقيق هذا الكتاب بناء على نسخة خطية نادرة من مكتبة جده الشيخ محمد بن شامس البطاشي^{٦٦}، وأضاف إليه فهرس، وملاحق، وتعليقات، وشروحات. كما قام بتحقيق كتب أخرى للإمام المحقق سعيد بن خلفان الخليلي، مثل كتاب إغاثة الملهوف بالسيف المذكر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكتاب لطائف الحكم في صدقات. وقد فاز بجائزة السلطان قابوس في تحقيق التراث العماني عام ٢٠٢٢م، “الفائز بالجائزة هو موسوعة إسلامية شاملة للعلامة سعيد الخليلي، وهو محقق متميز في علوم الشريعة واللغة. تضم الموسوعة مجموعة من المسائل والجوابات والردود التي كتبها الخليلي أو أجاب عنها، وقام بتجميعها وتنظيمها تلميذه الشيخ محمد السيفي. كما أضاف السيفي جوابات بعض العلماء المعاصرين لل خليلي مثل الشيخ جاعد والشيخ ناصر والشيخ سلطان البطاشي. وقد ضمن التمهيد للكتاب جوابات الخليلي في نهاية كل باب، وأعطى عنواناً لكل مسألة. وقال البطاشي إنه اهتم بالتمهيد وبذل فيه جهداً كبيراً لمدة عشر سنوات حتى خرج لنور عام ٢٠١٠م. وأفاد البطاشي أنه قارن الكتاب بعدة نسخ واستفاد من تعليقات وتصويبات العلامة أبي مسلم الرواحي، وأشار إلى الأخطاء المطبعية والسقطات التي تنبه لها أبو مسلم، وأثبتها في الهامش. وأخيراً، عرّف البطاشي التحقيق بأنه يحافظ على نص المؤلف كما هو، ويراجعه ويرتبه، ويرجح الآراء المختلفة ويرجع إلى المصادر الأصلية، ويرد على المشكلات، ويرجح الآراء المختلفة، ويرجع إلى المصادر الأصلية، ويرد على المشكلات، كما أنه يخرج الآيات والأحاديث، ويترجم الأعلام ويعرف المصطلحات والبلدان والمذاهب. وقد بلغ عدد مجلدات الموسوعة ١٥ مجلداً.^{٦٧}

^{٦٦} محمد بن شامس البطاشي هو قاض عماني ولد في قرية المسفاة بقریات سنة ١٣٣٠هـ. تعلم القرآن والعلوم الشرعية في نزوى وقضى في عدة مناطق من السلطنة. تولى منصب قاضي الاستئناف في وزارة العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية في عهد السلطان قابوس.

^{٦٧} انظر: جملة العبرية، مجلة أثير، مقال مع الفائزين بجائزة السلطان قابوس في تحقيق التراث العماني، ٢٠٢٢م.

المبحث الثالث: مدرسة المحقق الخليلي وأبرز ملامحها

فتح مجال التدريس فقصده الطلاب من الشرقية والداخلية ومسقط وغيرها، يأخذون منه العلم، وقام بهذا الدور أيضاً لما انتقل إلى سمائل. فللشيخ مدرستان: إحداها في بوشر والثانية في سمائل. فتسنى له نتيجة هذا الانتقال أن يتعدد تلامذته، فالذي لم يستطع أن يصل إليه في بوشر ذهب إليه في سمائل. كما أن المدة التي قسمها بين البلدين أعطته مجالاً لكي يدرس مجموعة أكبر من الطلاب. وفي سمائل درس في مسجد رجب بن سليمان السعدي، وهو مسجد كان مندرجاً فعمره، وبني بجنبه بيته المعروف ببيت السبحيَّة؛ نسبة إلى المنطقة التي يقع فيها البيت^{٦٨}. وفي هذا المبحث سنتعرف على ملامح مدرسته من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: التعريف بالمدرسة ومنهجها

أسست هذه المدرسة التعليمية الرائدة تحت إشراف الشيخ العلامة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي، في ولاية سمائل. حيث بادر أهالي المدينة بطلب الشيخ لتعليم أبنائهم وتوجيههم نحو نشر العلم في جميع أنحاء عمان. تاريخها يمتد إلى القرن الثالث عشر الهجري وشهدت استقبلاً حاراً من قبل التلاميذ الذين درسوا فيها لسنوات عديدة. تعززت مكانتها لحضور العلماء وتأثيرها الواضح في تعزيز القواعد والأصول، وتكوين أجيال قادرة على حمل راية العلم الشريف. واستقبل المحقق الخليلي فيها عدداً كبيراً من طلاب العلم الذين استفادوا من علمه الغزير^{٦٩}. أسست المدرسة في سمائل بغرض توجيه وتأهيل الشباب نحو قيادة المجتمع كائمه ومسؤولين مخلصين. تعكس مكانتها الاستثنائية والتقدير الذي ناله الشيخ سعيد بن خلفان من آل سعد، سادة المدينة.

ولما شرع المحقق الخليلي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بجانب قيامه بالتدريس كان أغنياؤهم وأثريائهم يطلبون منه الإغلاق والمغادرة، حيث شعروا بتجاوزه لسيادتهم وخصوصياتهم. ولم تكن القبائل الأخرى قادرة على مواجهتهم نظراً لقلّة عددهم وضعفهم المادي. ولكن بفضل جهود بعض طلابه من بني رواحة من عبس، تمكنوا من إثارة قبيلتهم

^{٦٨} انظر: السيابي، المحقق سعيد بن خلفان الخليلي وأثره العلمي والسياسي، ص ٢٠.

^{٦٩} انظر: المرجع السابق.

وتوضيح مدى الخسارة التي ستلحق بهم وبأبنائهم وبالبلاد إذا تم إغلاق المدرسة ومغادرة الشيخ^{٧٠}.

لذلك، هبوا لنصرة الشيخ وتجمعوا من مختلف المناطق خارج سمائل، وأمنوه وعاهدوه على مناصرته وطلبوا منه عدم المغادرة، وقدموا له الأمن والأمان. وعلى إثر ذلك، استقر الشيخ في سمائل وبدأ يستثمر في تعليم الطلاب ومدرسته.

وبهذه الطريقة، تم تأسيس مدرسة الشيخ الخليلي التي أخرجت العلماء المجاهدين. وفي النهاية، أصبحت قاعدة دائمة للشيخ في سمائل، حيث استثمر معظم أمواله وأوقاته في دعم العلم والتعليم^{٧١}.

ويصف الحارثي هذه المدرسة بأنها كانت مركزاً لتعليم العلماء في الفقه والأدب، وكان الشيخ الخليلي المشرف العام عليها، حيث قدم لها دعماً مالياً وجلب طلاب العلم من مختلف مناطق عمان. ومن هنا، نجد أن هذه المدرسة كانت مصدراً لنشر العلم في مدن عمان، وألهمت أجيالاً من العلماء الذين أخذوا زمام الأمور في مساهمة لاحقة في نشر العلم والتعليم^{٧٢}.

المطلب الثاني: موقف المحقق الخليلي من مدرسة أهل الرأي والحديث

من المعروف أن هناك اختلافاً في المنهج بين اثنين من أهم التيارات الفكرية في تاريخ الإسلام، وهما تيار الرأي وتيار الحديث. فالأول يرى أن الاستنباط والقياس هما أدوات رئيسية للفهم والتفسير والاجتهاد في الشريعة، بينما الثاني يقلل من قيمة الرأي والاجتهاد، ويفضل التوقف عند النصوص الشرعية كالقرآن والسنة دون تأويل أو تعديل. وقد اختلف المسلمون في هذه المسألة منذ عهد الصحابة، واستمر الاختلاف حتى عصور لاحقة. وفي هذا المطلب نبحث

^{٧٠} انظر: خلفان بن سالم البوسعيد وآخرون، "مدرسة الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي التعليمية"، المجلة الدولية للدراسات الإسلامية المتخصصة، المجلد ٥، العدد ١، (٢٠٢٠م)، ص ١٩.

^{٧١} ناصر بن سيف السعدي، العلماء والسلطة في عمان، (لبنان: مركز الأبحاث ودراسة السياسات، ط ١، ٢٠٢٢م)، ص ١٢٠.

^{٧٢} انظر: انظر: الحارثي، فقه سعيد بن خلفان الخليلي وأثره على الفقه الإسلامي، ص ١٣٤.

عن موقف أحد علماء الإباضية، وهو الخليل بن أحمد الفراهيدي، من هاتين المدرستين، وكيف كان يتعامل معهما في مصادره وآرائه^{٧٣}.

ولكي نفهم موقف المحقق الخليلي جيداً، يجب أن نعود إلى أصول ظهور هذين التيارين، وكيف تشكلت مدارسهما في مختلف الأزمان والأمكنة. فقد كان من بين الصحابة - رضوان الله عليهم - من كان يميل إلى التحفظ والحذر من استخدام الرأي في المسائل الشرعية، خشية الانحراف عن حدود الله، ولا يستعمله إلا في حالات نادرة، وكان يعتبر ذلك طريقة لحفظ الدين والتزام الحق. ومن هؤلاء ابن عباس وابن عمر، فقد كانا يتبعان نصوص القرآن والسنة بحذافيرها، دون إضافة أو نقصان. وبالمقابل، كان هناك من بين الصحابة من كان يستخدم الرأي بشكل أكبر، خاصة في المسائل التي لا يوجد فيها نص شرعي صريح، أو التي تتطلب مراعاة المصالح المتغيرة مع زمان ومكان. وكان هؤلاء يسعون إلى فهم أسباب وغايات الأحكام الشرعية، وإلى تطبيقها بما يتوافق مع روح الإسلام. ومن أبرز هؤلاء عمر بن الخطاب وابن مسعود، فقد كانا يجتهدان في استخلاص الأحكام من المصادر بطرق مبتكرة^{٧٤}. فعلى سبيل المثال، حرّم عمر - رضى الله عنه - زكاة المؤلفة قلوبهم - التي ذُكرت في القرآن - على أنها لم تعد ضرورية بعد انتشار الإسلام، ولم يوزع سواد العراق والشام - التي كانت غنائم من الحروب - على المقاتلين فقط، بل أبقاها للمسلمين جميعاً، وأمر بإدارتها بالعدل والإحسان.

وفي عصر التابعين وتابعي التابعين، تطورت هذه الاتجاهات الفكرية، وأصبحت مدارس متميزة، لها أصولها وقواعدها وأساليبها. وكان لكل مدرسة مركز رئيسي، يتجمع فيه أتباعها وطلابها، وينشرون منه أفكارهم وآرائهم. فكان مركز مدرسة الرأي هو العراق، حيث كان هناك تنوع في الأعراق والثقافات والأحوال، مما دفع الفقهاء إلى الاجتهاد في تطبيق الشريعة على حالات جديدة. وكان من أبرز مؤسسي هذه المدرسة ابن مسعود، الذي انتقل إلى العراق بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم -، ونقل معه منهج عمر بن الخطاب في استخدام الرأي.

^{٧٣} انظر: قحطان عبد الرحمن الدوري، *مناهج الفقهاء في استنباط الأحكام وأسباب اختلافهم*، (عمّان: كتاب ناشرون، ط ٢، ٢٠١٧م)، ص ٣٣.

^{٧٤} انظر: مناع القطان: *تاريخ التشريع الإسلامي: التشريع والفقهاء الإسلاميين: تاريخاً ومنهجاً*، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط ٤، ٢٠٠٩م)، ص ٢٤٧.

وكان ابن مسعود يحظى بجلالة عظيمة بين أهل العراق، فكانوا يقتدون به في فقهه وحديثه. أما مركز مدرسة الحديث فكان المدينة، حيث كانت المدينة المنورة هي عاصمة الخلافة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، وكان بها كثير من الصحابة والتابعين، يروون أحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم -، ويحفظون سيرته وسنته. وكان من أشهر ممثلي هذه المدرسة مالك بن أنس، صاحب الموطأ، الذي جمع في كتابه أحاديث صحيحة من رواية أهل المدينة^{٧٥}.

فالعراق كان موطناً لحركة الرأي التي تستخدم العقل في استنباط الأحكام الشرعية. هذه الحركة نشأت وتطورت في العراق بسبب عوامل مختلفة، منها:

١. كان العراق مركزاً علمياً وثقافياً هاماً في العالم الإسلامي، وشهد نشأة وتطور العديد من المدارس الفقهية، فهو مركزاً للتفاعل والتأثير المتبادل بين الفقهاء والمفكرين والأدباء والفلاسفة والعلماء من مختلف الاتجاهات والمذاهب والمدارس.
٢. انتقال مقر الخلافة من المدينة إلى العراق ثم إلى الشام، مما جعل العلماء يتابعون مصدر السلطة والقوة. وبذلك انتقلت الحركة العلمية من المدينة إلى هذه المناطق، وتأثرت بظروفها ومشكلاتها.
٣. ندرة الصحابة في العراق مقارنة بالمدينة، التي كانت تضم كثيراً من رواة الحديث. هذا دفع فقهاء العراق إلى استخدام الرأي في حل المسائل التي لم يجدوا فيها نص حديثي^{٧٦}.

ولكن يجب ألا نظن أن مدرسة العراق تحمل أو تهجر السنة، وأنها تعتمد فقط على العقل. كما يجب ألا نظن أن مدرسة الحديث تحمل إعمال العقل. بل كلا المدرستين تأخذ بالكتاب والسنة والإجماع، وتستخدم هذه المصادر في بناء فقهها. وإن كان هناك بعض المخالفين أو المبتدعين في كلا المدرستين، فإن ذلك لا يغير من حقيقتهما وأصالتها.

^{٧٥} عبد المعز فضل عبد الرزاق، تاريخ الفكر الإسلامي، (الإسكندرية: دار التعليم الجامعي، ط ١، ٢٠٢٣م)، ص ١١٩.

^{٧٦} انظر: محمد أنيس عبادة، المنتقى في تاريخ التشريع الإسلامي وحكمته، (القاهر: مطبعة دار التأليف، ط ١، ١٩٦٥م)، ص ١٣٣.

بعض الفقهاء اشتهروا باتباع منهج الرأي في استنباط الأحكام الشرعية، وهم يختلفون عن غيرهم من الفقهاء الذين يعتمدون على الحديث والأثر في التعامل الفتوى. والسببان الرئيسيان لهذا التميز هما:

أن فقهاء منهج الرأي كانوا يستخدمون عقولهم في الاستدلال من خلال مراعاة المقاصد والحكم العام للشرعة، حتى يخرجوا بحكم شرعي في مسألة لم يصرح بها نص قطعي من القرآن أو السنة أو الإجماع. وكانوا لا ينقلون الأحاديث والآثار دون تحقيق وتصحيح، خشية أن يكذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم^{٧٧}. كما أنهم كانوا حريصين ألا يحدثوا قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم، فهذا ابن مسعود رضي الله عنه يقول: "ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة"^{٧٨}.

بينما فقهاء المنهج الحديثي كانوا يتحفظون على الإفتاء بالرأي، وكان يغلب عليهم الورع والخشية من الخطأ والزلل. فإذا سئلوا عن مسألة لم يجدوا فيها نص صريح، كانوا يقفون عندها، ولا يجتهدون في إيجاد حل لها. فقد ذكر أن رجلاً جاء إلى سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وسأله عن مسألة فقال: لم أسمع فيها شيئاً. فقال الرجل: فأخبرني - أصلحك الله - برأيك. فقال سالم: لا. ثم أعاد السائل سؤاله قائلاً: إني أَرْضَى برأيك. فقال سالم: لعلي إن أخبرتك برأيي ثم تذهب بعد ذلك فأرى رأياً آخر فلا أجذك.

كذلك فقد اتسعت رؤية فقهاء منهج الرأي في دراسة الفقه وابتكار المسائل التي لم تحدث بعد، وإعداد حل لها، وإثراء الفقه بالفروع والتفاصيل. ولهذا كانوا يسمون أنفسهم الأريتيين، وكان يظهر في فقههم عبارة: رأيت لو وقع كذا؟ ورأيت لو قيل بكذا؟^{٧٩}

أما فقهاء المنهج الحديثي فكانوا يقتصرون على الفقه الواقعي والمسائل المحدثه، ويستنبطون لها الأحكام من النصوص الشرعية، وإن اضطروا إلى استعمال الرأي فكان ذلك في نطاق ضيق جداً.

^{٧٧} حسن أحمد الهادي، التشريع الإسلامي: دراسة مقارنة في المنهج والاجتهاد، (بيروت: دار الولا، ط ١، ٢٠٠٩م)، ص ٣٥٠.

^{٧٨} مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط ١، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م)، ج ١، ص ١١. رقم الحديث: ٥.

^{٧٩} انظر: محمد مختار قاضي، الرأي في الفقه الإسلامي، (القاهرة: جامعة فؤاد الأول، د. ط، ١٩٤٩م)، ص ٥٠.

وعندما نريد تحديد منهج الخليلي، وتصنيفه إلى إحدى المدرستين، نجد صعوبة في ذلك، إلا أن الظاهر أنه كان يميل إلى منهج الرأي، وذلك لأسباب:

أولاً: أنه كان من فقهاء الطائفة المشرقية من المذهب الإباضي، وتأثر بهم، ومن المعروف أن الإباضية أهل عمان كانوا يميلون إلى الرأي، نظراً لأن حملة العلم إليهم من العلماء الذين تربوا في مدينة البصرة، حيث تلقوا تعليمهم من جابر بن زيد وأبي عبيدة التميمي، وكانوا يتبعون مذهب الرأي في استنباط الأحكام. ولكن أبا عبيدة لم يرض عن أهل عمان حين علم بأنهم اتسعوا في استخدام الرأي، وانتقد منه ذلك^{٨٠}.

ثانياً: كان المحقق الخليلي من تلامذة العلامة الرباني أبي سعيد الكدومي^{٨١}، وهو من أوائل علماء الإباضية. وقد تأثر المحقق بطريقة أستاذه في التعامل مع النصوص، فكان يحللها ويفسرها بالاستناد إلى مقاصدها وعللها، ويستخدم القياس والتخريج على أساس قواعد الأصحاب، ولا يكتفي بالظاهر أو المروي.

ثالثاً: أظهر المحقق القدرة على إبداء رأيه حينما ينعدم النص الصريح، وبرر ذلك بأنه يعتمد على اجتهاد علماء هذه الأمة، الذين هم ورثة الأنبياء في نشر التوحيد والعدل. وقال إن الله تعالى أثنى على علماء هذه الأمة بجعلهم خير أمة أخرجت للناس.

رابعاً: لم يكن المحقق متخصصاً في علوم الحديث، فلم يول اهتماماً لتتبع رجال السند أو تصنيف كتاب في هذا المجال. وصرح بذلك حيث قال إنه لا يجيد التكلم على ما فيه. وكان يروي الحديث بكل حذر وتقدير. وكان غالباً يلجأ إلى كتب الحديث للتحقق من دقة معاني

^{٨٠} انظر: محمد بن إبراهيم الكندي، بيان الشرع، (مسقط: وزارة التراث القومي والثقافة، ط ١، ١٩٨٨م)، ج ١، ص ٧٧. علي محمد صلابي، الاباضية مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج، (مسقط: مركز الكتاب الأكاديمي، ١٩٧٧م)، ص ٥١.

^{٨١} أبو سعيد محمد بن سعيد بن محمد بن سعيد؛ (٣٠٥هـ / ٩١٨ م. حي: ١٣ ربيع الأول ٣٦١هـ / ٣ يناير ٩٧٢ م) عالم محقق، وفقه مدقق، وإمام في العلم، وناظم للشعر، عاش في القرن الرابع الهجري؛ من بلدة كدم من أعمال الحمراء بسلطنة عمان. انظر: أبي سعيد محمد بن سعيد الكدومي، المعبر، (مسقط: وزارة التراث القومي والثقافة، د. ط، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م)، ص ٨.

الأقوال، وقد أدركنا سابقاً أن تجنب رواية كثير من الأحاديث واكتفاء العلماء بالاجتهاد يعد من خصائص أهل الرأي^{٨٢}.

خامساً: انتقد المحقق الخليلي الذين يمتنعون عن تقصي الحقائق وإعمال الفكر ويكتفون بمجرد الاعتماد على أقوال الآخرين. ويحث كل مسلم أن يسعى بنفسه لالتماس العدالة، وألا يكتفي بالتقليد الأعمى، حيث يمكن أن يؤدي ذلك إلى انحرافه عن الحق^{٨٣}.
نخلص من خلال الاعتبارات سالفة الذكر إلى أن المحقق الخليلي انتهج منهج أهل الرأي، وهنا نقصد بالرأي الذي يعتمد على استنباط المعاني من النصوص العامة والقواعد الشرعية العامة. لذلك هو ينتقد الرأي الذي يعتمد على الشهوات والرغبات^{٨٤}.

المطلب الثالث: الأفكار والتوجهات لمدرسة المحقق الخليلي

توجهات مدرسة المحقق الخليلي تنقسم إلى مرحلتين، مرحلة ما قبل دخول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمرحلة التي بعد دخوله عليها، وإليك أهم التوجهات في المرحلتين:

١. المرحلة الأولى:

أقام المحقق سعيد بن خلفان الخليلي مدرسة قرآنية تعتبر من أبرز مدارس علوم الشريعة في تلك الفترة. تميزت هذه المدرسة بعدة عناصر ومميزات تجعلها فريدة ومؤثرة في التعليم والبحث العلمي في المجال القرآني. سنستعرض فيما يلي بعض هذه العناصر:

١. تدريس التفاسير (وخاصة الزمخشري): المحقق سعيد بن خلفان كان يعتمد بشكل

كبير على تفسير الزمخشري في تدريس طلابه. وقد عبّر المحقق الخليلي في كثير من موافقه عن إعجابه ودهشته بعلم الشيخ الزمخشري، ولا سيما إعجابه بكتابه "الكشاف". يُظهر ذلك في أشعاره وقصائده. فيقول في أحد أشعاره الله أكبر يا

^{٨٢} انظر: خلفان بن محمد الحارثي، فقه سعيد بن خلفان الخليلي وأثره على الفقه الإسلامي، (مسقط: مطبعة الألوان الحديثة، ط ١، ٢٠١٢م)، ص ١٣٦.

^{٨٣} الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام، ج ١٣، ص ٢٩٤.

^{٨٤} انظر: الحارثي، المرجع نفسه، ص ١٣٨.

شيخ زمخشري متفاعلاً مع بعض آرائه في التفسير للتعبير عن تعجبه وإعجابه الشديدين بكلامه، وهذا ينبع من انفعال قوي داخله يشعر من خلاله بالسعادة والغبطة لوجود عالم مثل الشيخ الزمخشري. ويعكس تشجيعه واعتزازه بالشيخ الزمخشري وعلمه الوفير.، ومن الطبيعي أن يكون هذا الانفعال والفخر موجودين لدى الخليلي تجاه عالم مثل الشيخ الزمخشري، الذي كان ملتزماً بحب العلم وقد خصص حياته لخدمته ونشره^{٨٥}.

وتفسير الزمخشري يعتبر من التفاسير التي حظيت بشهرة كبيرة في العالم الإسلامي نظراً لدقته. وهو يتضمن شروحات مفصلة للآيات القرآنية، وتوضيحاتاً للألفاظ والتعابير المستخدمة في القرآن، وذلك بناءً على دراسة لغوية دقيقة واستنباط معاني متعددة. كان المحقق سعيد الخليلي يحث طلابه على تفسير الزمخشري، وربما يعود ذلك لعدة أسباب.

أولاً، يعتبر تفسير الزمخشري من التفاسير الشاملة والمفصلة التي تغطي مختلف جوانب التفسير القرآني، مما يجعله مناسباً للاستخدام في تعليم طلاب العلم. ثانياً: يتميز تفسير الزمخشري بأسلوبه العلمي والمنهجي في التفسير، حيث يستند إلى قواعد لغوية وتحليل دقيق للآيات القرآنية.

ثالثاً: يحتوي تفسير الزمخشري على شروحات وتوضيحات للكثير من المفاهيم والأحكام الشرعية، مما يجعله مرجعاً قيماً لطلاب العلوم الإسلامية. وقد ألف المحقق الخليلي رسالة للانتصار للزمخشري^{٨٦}.

لا شك أن استخدام المحقق سعيد بن خلفان لتفسير الزمخشري في تدريس طلابه كان له تأثير كبير على فهمهم للقرآن الكريم وتفسيره. حيث قدّم لهم هذا التفسير المعتمد شروحات وتوضيحات دقيقة للآيات القرآنية واللغوية، مما ساعدهم على فهم معاني الآيات والأحكام الشرعية بشكل أفضل.

^{٨٥} انظر: شريفة بنت خلفان اليحيائي، "الخليلي رائد الشعر الصوفي"، مجلة نزوى، العدد السابع، (١٩٩٦م)، ص ٥٩.

^{٨٦} انظر: الراشدي، الشيخ العلامة سعيد بن خلفان الخليلي وفكره، ص ٨٩.

٢. تعليم الفقه وتأصيل المسائل: كانت مدرسة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي

تشجع على البحث العلمي في مجالات متعددة، وخاصة في علوم القرآن والتفسير. كان يشجع طلابه على إجراء دراسات مستقلة، وتأليف كتب ومقالات تساهم في تطوير المعرفة الإسلامية. قدم المحقق سعيد بن خلفان الخليلي نفسه مساهمات مهمة في هذا المجال من خلال كتاباته وأبحاثه التي تناولت مواضيع متنوعة في علوم القرآن. من تأثر بهم في الفقه

٣. التعليم بالأسئلة النظامية: تأثر تلاميذ مدرسة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي

بأسلوبه الشعري في التعليم، وهو معروف بأسلوبه الفريد في تدريس مسائل الفقه بالشعر. كان يستخدم هذا الأسلوب لجذب انتباه تلاميذه وتسهيل عملية التعلم والتذكر^{٨٧}.

كان المحقق سعيد بن خلفان يؤمن بأن استخدام الشعر في تدريس مسائل الفقه يمكن أن يكون طريقة فعالة لتوضيح المفاهيم وتثبيتها في ذهن التلاميذ. فالشعر يتمتع بخصائص فريدة تجعله قادرًا على نقل المعاني والأفكار بشكل مشوق وسهل الاستيعاب. فهو بارع في استخدام القوافي والأنغام المميزة لجعل القصائد سهلة الحفظ والتذكر. كما كان يستخدم أساليب شعرية متنوعة مثل الاستعارة والتشبيه لتوضيح المسائل الشرعية بشكل أكبر، وهذا يعود إلى رؤية فريدة للتعليم والتعلم. فالشعر يمكن أن يكون وسيلة فعالة لجذب اهتمام التلاميذ وتحفيزهم على التعلم. كما أنه يساهم في تعزيز الذاكرة وتثبيت المفاهيم في ذهن التلاميذ.

كما أن سعيد بن خلفان يقوم بتفسير القصائد وشرحها لتوضيح المعاني بشكل أكبر. كان يستخدم تعليقات وتفسيرات مفصلة للآيات الشعرية لضمان فهم صحيح للمسائل الفقهية التي تناولها. ومثال على ذلك سموط الشاء

٤. النصح والإرشاد: كان للشيخ وسيلة فذة وطريقة فريدة في اختيار تلاميذه

القادمين لطلب العلم من أول لحظة. كان يقوم بتنفيذ بعض الاختبارات التي

^{٨٧} انظر: يوسف الكاسبي، "الحركة اللغوية والأدبية في عمان خلال الدولة البوسعيدية"، سلطنة عمان: جامعة الشرقية، المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية، العدد التاسع، (٢٠١٩م)، ص ١٩.

تساهم في قبول الطلاب وفقاً لمعايير محددة. واحدة من هذه الطرق كانت عندما يأتي الطالب إليه، حيث لا يلتفت إليه بشكل مباشر، بل يتجاهله في البداية. في بعض الأحيان، يُطلب من الطالب أداء بعض المهام، ويتم قبوله فقط إذا نجح في إكمال المهمة التي تم اختباره فيها. من يظهر فيه الهمة والصبر والعزيمة والمثابرة والإصرار، ويكون مستعداً لتنفيذ الأوامر، يتم قبوله والاقتراب منه، بينما من يظهر خلاف ذلك يُبعد عنه.

هذا يظهر جلياً في تجربة الشيخ صالح بن علي الحارثي، عندما ذهب مع اثنين من زملائه لطلب العلم من المحقق الخليلي. وجدوه يعمل مع غيره في بناء جدران من الطين. فرحب بالزوار واستفسر عن مكانهم، ثم طلب منهم الانضمام إليه في العمل بالطين. ترك ثالث الزملاء المكان ورحل في يومه معتقداً أن هذا تصرف مهين من الشيخ. لكنهم تم اختبارهم مراراً وتكراراً، وعندما أدرك الشيخ أنهم يمتلكون الصبر والإيمان، اقترب منهم وصاحبهم. الشيخ كان يولي اهتماماً خاصاً لتربية تلاميذه على قيم الإسلام ومكارم الأخلاق، وكان يشجعهم على القيام بالأعمال الصالحة. كان يتحمل رعايتهم ويسأل عن حالهم بانتظام. في إحدى المناسبات، كتب رسالة لبعض تلاميذه في إجابة على سؤال منهم حول الأمور البارزة والتفكير العميق في الله وخلقته. وكان دائماً يحث طلابه على تجنب المناقشات الزائفة والجدال غير المثمر، مُشجعاً إياهم بدلاً من ذلك على البحث والاستفسار عن المسائل الجوهرية. وأخيراً، كان الشيخ يمتلك ثروة ورثها من أجداده، ولكنه قرر استثمارها بنفسه في دعم طلاب العلم، وجمعهم حوله^{٨٨}.

المرحلة الثانية لمدرسة المحقق الخليلي: لم يكن المحقق الخليلي مجرد عالم يعرف العلم، بل كان أيضاً رائداً في نشره وتعليمه للناس. رسالته تجاوزت حدود العلم، حيث التزم بتربية جيل يكون أساساً قوياً لبناء دولة إسلامية شرعية تقوم على مبادئ الشورى والمساواة. عمل الخليلي بجدية لتحقيق هذه الأهداف النبيلة من خلال نشر المعرفة وتوجيه الشباب نحو الفضيلة والقيم الرفيعة.

^{٨٨} انظر: سعيد بن حميد بن خليفين الهنائي، الإمام الحق سعيد بن خلفان الخليلي جهوده ومنهجه الدعوي، (كلية الدعوة الإسلامية: جامعة أم درمان الإسلامية، رسالة ماجستير، ٢٠١٨م) ص ١٢٤.

قام ببث روح العزة والإباء والأنفة في نفوس الناس، وأرسل رسائل إلى الزعماء والمشايخ ليستنهضوا بروح الأمل والطموح. نتج عن ذلك أنه أصبح رمزاً في عصره وملهماً للجميع. كان يُعتبر مأوى للعلماء ومساكناً للضعفاء، وكان له تأثير كبير على المجتمع العماني. لهذا مرت مدرسة المحقق الخليلي بمرحلة ضم منهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فكان لها ملامح نذكر أبرزها

١. **وضع رؤية لبناء مجتمع إسلامي:** استثمر المحقق الخليلي معظم ثروته في خدمة المجتمع ونشر المعرفة. فبعد أن استضاف الطلاب وتكفل بتكاليف تعليمهم بماله الخاص. وقدم لهم تعليمًا شاملاً في مجموعة واسعة من المواد العلمية، بما في ذلك اللغة، والأصول، والفقه، والحكمة. ساهم في تشكيل جيل من العلماء والزعماء الذين أصبحوا لاحقاً رموزاً للأمة. ضمن هؤلاء، كان هناك قاضي، وعالم، ومستشار، ومفتي. من هذا الاهتمام والرؤية، بدأ الخليلي في تربية جيل مؤهل لبناء الأمة وترسيخ مبادئها. قام بتعليم العديد من التلاميذ الوفيين والمتفانين الذين تعلموا قيم التضحية والفداء من أجل العدالة والفضيلة. شاركهم الشيخ معرفته العلمية وأفكاره المستمدة من القرآن والسنة المباركة. وضمن هذا الإطار، بنى أسساً قوية قادرة على مواجهة التحديات بكل قوة واستقامة، مهما كانت تلك التحديات تتسم بالعنف والصعوبة. وخرج من تلاميذه ثلة تلقوا تعليمهم على يديه وأصبحوا من خيرة العلماء^{٨٩}.

٢. **النزول للميدان بعد التسليح بالمعرفة:** عمل بجد واجتهاد لتحقيق تغيير شامل على مستوى السياسة، والفكر، والاقتصاد، والمجتمع. بفضل جهوده، أصبح له تأثير كبير وواضح في الساحة السياسية والفكرية. ساهم بشكل فعال في تغيير السلوكيات والعادات التي كانت تنتشر في المجتمع الإسلامي، وساهم في إصلاح ما كاد يتدهور واستعادة الأخلاق الدينية. فلم يكن الخليلي مُهتماً بمصالحه الشخصية، ولم يكن هدفه التركيز على تجميع الثروة الشخصية أو السعي لتحقيق المناصب القيادية الكبرى. بالعكس، كان هدفه الأسمى هو رفعة الأمة وتحقيق

^{٨٩} انظر: عبد الله الغافري، سعيد بن خلفان الخليلي وآراؤه الكلامية، (سلطنة عمان: مسقط، د.ت)، ص ٥٦.

الرفاهية للجميع، بغض النظر عن فئاتهم الاجتماعية. كان يسعى جاهداً للقضاء على الفوارق الاجتماعية والطبقية، والارتقاء بالأمة إلى أعلى مستويات الحضارة. وترجمت جهوده إلى نجاحات ملموسة ظهرت على مختلف الأصعدة.

المطلب الرابع: الأثر الاجتماعي لمدرسة المحقق الخليلي على الصعيد الديني والسياسي
مدرسة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي هي إحدى المدارس التي تعتبر من الركائز الإصلاحية في المجتمع العماني. حيث تُعزّز قيم الدين الحنيف والتفاهم والاحترام بين أفراد المجتمع.

أولاً: بعض مظاهر الأثر الاجتماعي الديني:

١. القضاء على البدع في المجتمع:

هدف المحقق الخليلي هو تنقية الدين من الشوائب مثل الشرك ومظاهر الوثنية، ومن الأهواء الضالة والأفكار المنحرفة. وسعى جاهداً للقضاء على البدع والسلوكيات المنحرفة التي تسربت إلى المجتمع العماني. وعمل على محاربتها والحد من انتشارها، مع التركيز على التصدي للعادات المنافية لقيم الدين الحنيف التي انتشرت في عهده ومن أمثلة ذلك:

أ. الإساءة إلى المعاقبين بالسجن:

اعترض المحقق الخليلي على بعض مظاهر الإساءة إلى المعاقبين بالسجن، مثل وضع السلاسل في أعناق المسجونين، وذلك لأن هذا يعتبر مخالفاً للسنّة النبوية ومن الممنوعات. ونبه على الحذر من هذا العقوبة القاسية والمبالغ فيها.^{٩٠}

ب. زيارة القبور للندب والنياحة:

زيارة القبور لأغراض الندب والنياحة انتشرت بشكل مفرط في المجتمع العماني. اعتبر المحقق الخليلي ذلك من المحظورات وشدد على تجنبها. ومع ذلك، لا إشكال في زيارة القبور لأغراض التعظيم والاعتبار.^{٩١}

^{٩٠} الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام، ج ٦، ص ٥٢.

^{٩١} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام، ج ١٣، ص ٣٩١.

أما بالنسبة لقراءة القرآن على القبور، كان المحقق الخليلي قد أباحها في بداية عهده، ولكنه تراجع عن هذا الرأي بناءً على عدم وجود دليل من السلف الصالح يدعم هذا الفعل^{٩٢}.

ج. الزار والأعمال الروحانية:

الزار هو طقس يقام لأغراض العلاج الروحاني واستحضار الجن والشياطين. وأمر المحقق الخليلي بتجنب هذه الأعمال، حيث يتضمن العديد من المخالفات الشرعية والحركات المحظورة. كما ينبغي تجنب اللجوء إلى العرافين والمشعوذين الذين يدعون القدرة على الاتصال الروحاني، حيث يمكن أن يؤدي ذلك إلى نشوب الضغائن والأحقاد. من الأفضل الاعتماد على الحلال وتطبيق سنة الله في العلاج والشفاء^{٩٣}.

د. انتشار الملاهي والمعارف:

عارض المحقق الخليلي بشدة انتشار الملاهي والمعارف بجميع أنواعها. حتى إذا كان هناك من يزعم أن الهدف منها هو الاستعانة بها في الذكر والدعاء، فإنه حث على تجنبها. وذكر الاختلاف في استخدام الطبل في الأعراس المسلمة بما لا يتعارض مع الشريعة^{٩٤}.

هـ. رمي المسلمين بالكفر:

وهو فعل غير مقبول ومذموم بشدة في الإسلام. وقد نادى المحقق الخليلي بقوة بعدم جواز مثل هذا السلوك، حيث يعتبر ذلك الفعل كبيرة من الكبائر التي يجب تجنبها. وخصوصاً عندما يتعلق الأمر بكفر الشرك، حيث يعتبر ذلك من الأمور البالغة الخطورة. حتى وإن كان الأشخاص عصاة أو كفاراً بنعمة الله، ما لم يكن لديهم اعتقاد بالاستهزاء بالدين أو أحد أركانه أو بالقرآن العظيم والسنة الشريفة.

^{٩٢} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام، ج ٥، ص ٨

^{٩٣} انظر: المرجع نفسه، ج ٣، ص ٢٣٥.

^{٩٤} انظر: المرجع نفسه، ج ٣، ص ٢٨٥.

وهكذا نخلص إلى أن المحقق الخليلي عمل بجد على مقاومة البدع والانحراف العقدي، وهذا يأتي ضمن مرحلة من مراحل الإصلاح التي التزم بها، لتحقيق الإصلاح العام في مختلف جوانب المجتمع، مع التركيز على تحقيق مبادئ مثل العدالة، والمساواة، والرفاه، والاستقرار. وهذا الإصلاح قائم على مبدأ تعزيز التسامح بين الأفراد في المجتمع^{٩٥}.

ثانياً: بعض مظاهر الأثر الاجتماعي السياسي لمدرسة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي

السياسة الشرعية هي فن تدبير شؤون المسلمين بما يحقق مصالحهم ويرفع مكارهم، وتستند إلى أصول وضوابط من الكتاب والسنة وإجماع الأمة. وقد اهتم المحقق الخليلي بهذا الفن وبين أهميته وضرورته لحفظ دين المسلمين وأمنهم واستقرارهم^{٩٦}. وقد أظهر ذلك في رده على بعض المسائل التي طرحت عليه في مجالات مختلفة، مثل:

١. مسألة تولية الأئمة: أجاب المحقق الخليلي أن تولية الأئمة تكون بالبيعة من أهل الحل والعقد، أو بالإجماع، أو بالوصية من الإمام السابق، أو بالغلبة إذا كان الغلب عادلاً. وأن من شروط صحة التولية أن يكون المولى مسلماً حراً عاقلاً بالغاً قادراً على تدبير شؤون المسلمين، وأن يكون من قبيلة قريش أو من نسب إلى قريش، أو من غير قريش إذا لم يوجد في قريش من يصلح للإمامة.
٢. مسألة الجهاد المالي: وفصل فيها تفصيلاً دقيقاً في رسالة الجهاد^{٩٧} فقد أظهر اهتمامه بالجانب المالي في الجهاد والإمارة، وناقش بعض القضايا المالية الفقهية والواقعية، مثل تأجير السواحل ووقف الأموال وحكم الملكية عند زوالها. ووضح سبب اختياره لمسقط كمرکز للإمارة بأنها معدن التجارة وموضع الإمارة ومرجع

^{٩٥} انظر: الغافري، الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي وآراؤه العقدية، ص ٧١.

^{٩٦} انظر: محي الدين محمد قاسم، السياسة الشرعية ومفهوم السياسة الحديث، (مسقط: مركز الكتاب، ط ١، ١٩٧٧م)،

ص ٧٧.

^{٩٧} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد الأحكام، ج ١٣، ص ١٧٥.

عمان في ذاك الزمان. ويعتبر القائم بأمر الإسلام مخولاً بالنظر إلى المصالح دون تحديد^{٩٨}.

٣. كما يبين أهمية أحكام المفقود وأحكامه في الأديان والأحكام جميعاً^{٩٩}.

المبحث الرابع: المنهج الاستدلالي للمحقق سعيد بن خلفان الخليلي المطلب الأول: منهجه الأصولي الفقهي

جمع الشيخ الخليلي بين معرفته الواسعة بأحكام أصول الدين وخبرته الطويلة في الفقه العملي. فغاص في أعماق أصول الفقه، واستفاد من تدريس أساتذته، وعلى وجه الخصوص شيخه الكبير الشيخ ناصر بن أبي نبهان. وبالرغم من تأثره بشدة بعلمهم، إلا أنه تفوق عليهم في الاستيعاب والتحليل لأصول الفقه، وغالباً ما تجلّى ذلك في مواقفه وآرائه في العديد من القضايا.

يعتمد المحقق الخليلي في أصوله على ثلاثة أمور رئيسية وهي: الكتاب، السنة، والإجماع. هذه الثلاثة لا يستغني عنها ما لم يوجد نص خاص يخالفها. يقول المحقق: "واعلم أن أصول الدين الشرعية ثلاثة بلا خلاف: الكتاب والسنة والإجماع. وإن اختلف أهل الكلام والنظر في قبول الإجماع، وفي معناه وما يترتب عليه كاختلاف العلماء في ذلك، فليس هنا موضع بحثنا^{١٠٠}. فالكتاب هو الأساس الأول الذي يستند إليه، وهو كلام الله عز وجل ووحيه وتنزيله الذي يُتلى ويُتدبّر، ويحتوي على الآيات المحكمة والمتشابهة، والمطلقة والمقيدة، والناسخة والمنسوخة، والخاصة والعامة، والنصوص والظواهر. ويتداخل كثيراً من هذه القضايا في رسائله الفقهية والكلامية بشكل مستمر.

فيما يتعلق بالسنة، فهي تشمل أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتصريحاته. ويجب على كل مسلم أن يُجِلَّ النبي ﷺ وأن يرووا عنه بكل تقدير. فإذا تم التحقق من صحة حديث عنه ﷺ،

^{٩٨} انظر: أفلح بن أحمد الخليلي، السياسة الشرعية عند الشيخين الخليلي والسالمي، (مسقط: ذاكرة عمان، ط ١، ٢٠١٦م)، ص ٥٦.

^{٩٩} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد الأحكام، ج ٢، ص ١٨٠.

^{١٠٠} انظر: المرجع نفسه، ج ٢، ص ٢٢٩.

فيجب قبوله واتباعه دون اللجوء إلى غيره من الأقوال. ويجب ألا نحكم بالنسخ على حديث ما لم يكن هناك تفسير مقنع له أو انتقاد موثوق. ومع ذلك، إذا ثبتت صحة حديث، يمكن تفسيره بشكل مناسب واتباعه كأفضل وأقرب الخيارات إلى الهدى^{١٠١}. وهذا يتماشى مع قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾ [سورة النساء، الآية ٨٣].

كما قال إنه إذا ثبت شيء من ذلك عن رسول الله ﷺ بالحق، فالحق هو اتباعه، والباطل هو خلافه. ويشدد النكير على من تعتمد مخالفة السنة، ويعتبره كافراً إذا كان ذلك على سبيل الاستخفاف. يقول في ذلك: إلا من نوى خلافاً للسنة أو استخفافاً بها أو تهاوناً، فإنه يهلك بسوء نيته لا بترك السنة؛ لأن تعظيم النبي ﷺ وتوقيره وتفخيم أوامره ونواهيه من الفروض الواجبة. فاعتقاد الناهين والمستخفين بها كفر بالإجماع^{١٠٢}.

ولا يقدم على رد السنة إطلاقاً، بل يكل الرواية إلى راويها، ويتهم نفسه في عدم الاطلاع، رغم أنه يعتمد الأحاديث الصحاح والمشهورة فضلاً عن المتواترة. وقد ورد في التمهيد في أحد ردوده على روايتين ما يشير إلى هذا المنهج الذي رسمه لنفسه، حيث أفاد أن: الحديثين المسؤول عنهما، والمؤسسة هذه البحوث عليهما، هما من الأخبار المقطوعة التي لم يثبت لها صحة، ولم يجدهما في صحيح الجوامع والموطأ والسنن الثلاثة: أبي داود والنسائي والترمذي، وفقاً لما تيسر له الوصول إلى جامع الأصول. وليس لديه حفظ عن هاتين الروائيتين من أصحابه في سند صحيح، ولكنه لا يرفض تلك الروائيتين بالكامل ما لم يكن متأكداً من عدم صحتهما بشكل قطعي. ويمكنه أن يشير إلى الروائيتين كمصدر ذكر عام، ولكن لا يمكنه الاعتماد عليهما بشكل مطلق. ولأنهما لا يعتبران من الأحاديث المشهورة المتواترة أو المتصلة بسند صحيح، فإن أفضل ما يمكن أن يكونا به في رأي المحقق الخليلي هو أن يكونا مرويين موقوفين، نظراً لأنهما في الأصل مجهولان. لا يستبعد صحتهما ولا يقول بقطعية بطلانهما، ولكن يقول مثلما قال السلف في مثل هذه الحالات: أهل الحديث هم أحق بتقدير ما نقلوه^{١٠٣}.

١٠١ انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد الأحكام، ج ٣، ص ١١٢.

١٠٢ انظر: المرجع نفسه، ج ٤، ص ٢٧٠.

١٠٣ انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد الأحكام، ج ١٣، ص ٣٩١.

ونظرًا إلى هذا الموقف الجليل من السنة، والاحترام الكبير لها، والمكانة العالية التي تحتلها في معرفة السنة وتفصيلاتها، يصبح واضحًا أن الشيخ يعتمد على كتب السنة الأخرى، كما ذكر في بداية هذا النص، بالإضافة إلى ما تلقاه من تعليمات من شيوخه وأصحابه. هذا يكون مثالًا على اتباعه للسنة.

أما الإجماع، فيعتبره الشيخ الأصل الثالث في مذهبه، ولقد تم ذكره في بعض الأمثلة كوسيلة لدلالة المسلمين عليه، حتى وإذا لم يتم نقل حديث معين يفيد الوجوب أو السقوط بالاتفاق، يُظهر الإجماع على نبوته كرسول الله، إذ لا يوجد شخص آخر له أي تحكم في الشريعة المقدسة.

وقالت مجموعة أخرى: "الإجماع هو توافق أهل العلم واتفاقهم على قول أو حكم شرعي، سواء كان ذلك موافقة جميعهم أو بعضهم، ويعترف الآخرون بأنه لمن له القوة القولية والحجية في هذا الأمر."

ثم تطرق إلى الخلاف حول من يعتد في الإجماع وزمن حدوث الإجماع، وبشكل عام، تناول الكثير من النقاش حول الإجماع واستخدامه كحجة. وقد ذكر الإجماع بأنواعه القولي والسكوتي، وهو جزء أساسي من أصول التشريع لديه. وخاتمة القول إنه يستند في منهجه الأصولي إلى الأصول الثلاثة، ولا يمكن الاعتماد على أي مسألة بدون دعم من الكتاب أو السنة أو الإجماع. وفي عصر الصحابة اعتمدوا فقط على الكتاب والسنة. وآثارهم تُعتبر مرشدًا لمن تبعهم من السلف والخلف، حيث يعتبرونهم متابعين لهؤلاء بإحسان حتى يوم القيامة. ومعظم التابعين من أهل العلم يملكون رؤية تساعد على اتباع الأثر والالتزام بقول من سبقهم من أهل البصيرة، لأنهم يمتلكون فهمًا أعمق عن الله تعالى ومعرفة أعمق بتفسير كتابه وما جاء به رسول الله. ^{١٠٤}

ويرى المحقق الخليلي أن القياس في الفقه الإسلامي هو تشبيه شيء بآخر بناءً على علة مشتركة بينهما. ويُستخدم عندما يكون النص الشرعي غائبًا فقط، ويُعرف القياس بواسطة العلة المشتركة بين الأمور المتقاربة. ويؤكد أنه لا يمكن للشخص الذي ليس لديه درجة اجتهاد كبيرة

^{١٠٤} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان وتقيد شوارد مسائل الأحكام، ج ٢، ص ٢٣١.

في الفقه أن يستخدم القياس. كما يرى المحقق الخليلي أن التعديل في مسائل الرأي غير ممكن للأفراد الضعفاء، حتى وإن كان النص في سياق الاجتهاد، لأنه يتطلب دراسة وبحثاً دقيقاً. ويكون متاحاً فقط لأولئك الذين يمتلكون معرفة شاملة بأحكام الكتاب والسنة والإجماع، مع الحرص على تجنب التصادم بين النصوص والالتزام بمبادئ الشريعة الثلاثة. كما أن المحقق الخليلي يأخذ بالقواعد الفقهية المتعارف عليها، مثل المصالح المرسلة ومنع وسد الذرائع والاستحسان ودرء المفاسد. ويظهر ذلك جلياً من خلال جواباته.

وفي سياق الأخذ بآراء المسلمين في مسائل الرأي، يقول الشيخ: إذا كان هناك رجل عادل يعرف الرأي الصحيح، فعليه أن يتبعه في معظم الأمور، ما لم يكن هناك موضع يسمح فيه له بترك الرأي لأنه يجوز له أن يتبع الرأي في بقية المسائل. أما إذا لم يعرف الرجل العادل، فعليه أن يبذل جهداً في البحث عن الرأي الصحيح واستشارة أهل العلم فيما يختلف فيه الناس. إذا كان غير قادر على تحديد الرأي بنفسه، يجب عليه أن يتشاور مع الفقيه ويسأله عن الرأي الصحيح في المسألة التي يرغب في الاستناد إليها في موضوع لا يمكن له ترك الرأي العادل فيه. "وهناك رأي آخر يقول: إذا كان الشخص ضعيفاً وليس لديه معرفة بالرأي العادل، فإنه يجوز له أن يختار أي رأي صحيح من آراء المسلمين بما يناسبه. وفي هذا ما يكفيه، خاصة مع عدم تمكن العديد من تقييم الآراء بشكل مستقل، كما هو شائع في زماننا.^{١٠٥}

المطلب الثاني: منهج المحقق الخليلي في الاستدلال بالقرآن

من خلال تأمل الباحث في منهج كتاب تمهيد قواعد الإيمان بأجزائه المختلفة توصل إلى الآتي:

١. استناده على علم أصول الفقه:

يعتمد المحقق الخليلي على أصول الفقه في استنباطاته القرآنية، ومن ذلك يقول محرضاً الناظر في القرآن الكريم الذي يعتبرها أصلاً من أصول أدلته في الاجتهاد على التفقه في أحكام الخاص والعام، والمطلق والمقيد، والمجمل والمفصل والتي هي صلب أصول الفقه. ألا وإن القرآن الكريم بحر الله العظيم فيه المحكم والمتشابه والمطلق والمقيد والعام والخاص، والمفصل والمجمل، والمبهم

^{١٠٥} انظر: المرجع نفسه، ج ٢، ص ٢٣٦.

والموضح، والناسخ والمنسوخ، فيجب على الناظر فيه أن يرد متشابهة إلى محكمه، ومطلقه إلى مقيده، وعمومه إلى خصوصه وإجماله إلى تفصيله، وإبهامه إلى إيضاحه ومنسوخه إلى ناسخه، فيضع كل شيء في محله من ذلك كله.

٢. مراعاته للقواعد الفقهية

كثيراً ما نجد المحقق الخليلي يراعي القواعد الفقهية في إنشاء اجتهاداته المختلفة، ويذكرها أحياناً بشكل مباشر. فعلى سبيل المثال لا الحصر، فقد أفتى بعدم جواز كراء البيوت للنصارى إذا كان يتوقع منهم الضرر على الجيران مبيناً أن تخريجه ذلك كان على قاعدة (لا ضرر ولا ضرار)، فقال السائل: لا أدري ولا يحضرني شيء في هذا، إلا أنه إن كان كراؤهم لا بد فيه من إدخال الضرر الممنوع في الإسلام على الجار أو غيره من الأنام مع تعطيل الأحكام، ففي نظري أن هذا الكراء غير جائز، ولا يحل لمسلم أن يفعله إن علم أنه لا بد أو بغلبة من إدخال الضرر بسببه؛ لأنه لا ضرر ولا إضرار في الإسلام.

٣. الاستنباط العقلي من الآيات القرآنية

لقد كان المحقق الخليلي معاشياً لظروف زمانه، عارفاً بأحوال الناس واحتياجاتهم، فيفصل لهم ما استحدث من أمر مستنداً على استنباطه من الدليل القرآني في كثير من المسائل، ومن أمثلة ذلك: وأما أن يراه بعينه من وراء حائل شفاف كالزجاجة ومنها ما يسمى في عرفكم بالدورين فهذا له حكم النظرة بالعين ولا تضره تقوية الزجاج في معنى تقوية النظر وإعانتة على نظر المرئيات؛ إذ ليس لها في التشبيه إلا حكم الهواء الذي لا يمنع ما وراءه كالغيم الرقيق، أو كما ترى الشمس من وراء أجسام السماوات على غلظها وعظمتها لما ثبت في الأخبار أنها في السماء الرابعة بلا خلاف.

وأصح الأدلة في هذا وأوضحها قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾، وقد وصفت الزجاجاة بأنها مقوية لنور المصباح وغير مانعة له من الوصول إلى المشكاة التي هي غير نافذة، وما ثبت في أن الزجاجاة لا تمنع من نور المصباح الحال بها وتعيده إلى المشكاة وأنها مقوية له ومفيدة

لشدة إنارته لمساعدة صفائها وإضاءتها، فكذلك هذه الزجاجاة التي هي جعلت على العين لا تمنع من إيصال نظرها إلى حقيقته، وإنما هي مقوية ومشددة لوجوده في الحكم، فرؤية الهلال بها رؤية حقيقية لا إشكال فيها فيما يظهر لي؛ اللهم إلا أن يكون في مخصوص من الزجاج ما يعكس الأشعة على غير وجهها ويبدلها عن حكم أصلها فيكون مخصوصاً بما له من حكم، وإن لم يصح معنا ذلك في شيء بعينه، وإنما قلناه على سبيل الاحتراز من أن يكون مثل هذا ونحن لا ندرية، والله أعلم.^{١٠٦}

٤. مقارنة بين الآيات:

يُعتبر المقارنة بين الآيات منهجاً مهماً في الاستدلال بالقرآن. فعن طريق مقارنة آية مع آية أخرى ذات صلة، يمكن تحديد التشابهات والاختلافات واستخلاص المفاهيم المشتركة. فهذا يساعد في فهم أوجه التكامل والانسجام في نصوص القرآن وتوضيح المفاهيم المعقدة. وتبرز أهمية المقارنة بين الآيات كونها توضح الترابط والتكامل بين مختلف أجزاء القرآن. فالقرآن هو كتاب متكامل يحوي على مجموعة من الآيات التي تتعلق بموضوعات مختلفة، ومن خلال المقارنة بين هذه الآيات يمكن فهم كيف يرتبط كل موضوع بباقي المواضيع في القرآن. على سبيل المثال، يمكن استخدام المقارنة بين آيات مختلفة لفهم مفهوم التوحيد والإيمان بالله، أو لفهم مفهوم العدل والرحمة في الإسلام.

تساعد المقارنة بين الآيات أيضاً في توضيح الأحكام الشرعية والقوانين المنصوص عليها في القرآن. فالقرآن يحتوي على مجموعة من الأحكام والتوجيهات التي يجب على المسلمين اتباعها، ومن خلال المقارنة بين آيات مختلفة يمكن تحديد تفاصيل هذه الأحكام وتوضيحها. على سبيل المثال، يمكن استخدام المقارنة بين آيات مختلفة لفهم كيفية أداء الصلاة أو صيام رمضان بناء على التعليمات المذكورة في القرآن.

بالإضافة إلى ذلك، تُعتبر المقارنة بين الآيات أداة قوية لإزالة الالتباسات والمتعارضات في فهم القرآن. فعالباً ما يحدث الالتباس أو التعارض في فهم بعض الآيات، ومن خلال المقارنة بين هذه الآيات يمكن توضيح المعاني الحقيقية وتفسيرها بشكل صحيح. على سبيل المثال،

^{١٠٦} الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ٥، ص ٦٥.

يمكن استخدام المقارنة بين آيات مختلفة لتوضيح مفهوم الجهاد وتحديد أنه ليس فقط حرباً، بل يشمل أيضاً الجهود الشخصية للتطور والتقدم في الحياة.

لا شك أن المقارنة بين الآيات تعتبر منهجاً هاماً في استدلال القرآن. فهذا المنهج يساعد على فهم أعمق للقرآن واستخلاص الدروس والحكم منه. كما يساعد في توضيح الترابط والتكامل بين مختلف أجزاء القرآن، وتوضيح الأحكام الشرعية والقوانين المذكورة فيه، وإزالة الالتباسات والموهوم بالتعارض في فهم القرآن.

٥. اعتداله في اعتبار أقوال من سبق من علماء التفسير

انتهج المحقق الخليلي مبدأ الاعتدال في الأخذ بأقوال المفسرين فهو يوافقهم فيما يراه هو الحق حسب اجتهاده في الاستنباط من معاني الآيات، ويخالفهم فيما يراه غير ذلك وإن خالفت أقوال أجل أساتذته وأشياخه، بل أشياخ أشياخه وأكثرهم قدراً لديه ما دام أنه يستند إلى الدليل الأقوى، ونضرب مثالين على ذلك:

١. من المسائل التي وافق فيها كثير من أهل العلم ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٤]، فإنه سؤال من الخبيث المارد فرعون لموسى عليه السلام عن الماهية الإلهية عند أكثر المفسرين، وكان الجواب على لسان موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٤]، فقد عدل موسى في جوابه عن مطابقة سؤاله إلى ما لا وجه في الحق لغيره من الإخبار عنه بصفاته وأسمائه عز في جلاله. فقال في جوابه عن الذات إنه رب السماوات، هذا الجواب يسمى عدولاً؛ لأنه عدل به عن مطابقة اللفظ إلى مطابقة الحق، والحق أحق أن يتبع، فهو في هذا كالجواب عن سؤال أريد^{١٠٧} بقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾. ولقد أحسن الزمخشري فيما أورده على مسألة فرعون في هذه الآية الشريفة، فقال: وأما أن يريد به أي

^{١٠٧} هو أريد من ربعة، فقد روي عنه وعن عامر بن الطفيل أنهما قالاً لرسول الله لا إله إلا الله تدعوننا يا محمد؟ قال إلى الله، قال: صفة لنا أمن ذهب، أو فضة، أو حديد، أو خشب فنزلت السورة. انظر: الخازن والبغوي، تفسير الخازن والبغوي، تحقيق: عبد السلام شاهين، (دار الكتب العلمية: بيروت، ط ١، ١٩٩٥م)، ص ٥٣٢.

شيء هو على الإطلاق، تفتيشاً عن حقيقته الخاصة ماهي: فأجابه بأن الذي إليه سبيل، وهو الكافي في معرفته ثباته بصفاته استدلالاً بأفعاله الخاصة على ذلك، وأما التفتيش عن حقيقته الخاصة التي هي فوق قطر العقول فتفتيش عما لا سبيل إليه، والسائل متعنت غير طالب للحق. انتهى. فهذا القدر كاف من الجواب على الذات القدسية^{١٠٨}.

٢. مسألة رؤية أهل الجنة لأهل النار بأبصارهم بحيث خالف رأي شيخه بن أبي نبهان الذي يقول بعدم إمكان ذلك لكبر الجنة وعرضها، فعلق الخليلي على ذلك بقوله: " وقوله في أهل الجنة: " لا يسوغ في العقول السليمة أنهم يرون أهل النار إذ الجنة عريضة " فأبي مانع منه، وقد ثبت في الدنيا مثله، قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ نَرِي إِبْرَاهِيمَ مُلْكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٧٥]

فيذا جاز في حق إبراهيم وهو في هذه الأرض أن يرى ملكوت السماوات والأرض؛ فكيف لا يسوغ في حق أهل الجنة أن يروا أصحاب النار، وقد ثبت ذلك في نص القرآن قال الله - تعالى - : ﴿فَاطَّلِعْ فِرْعَاوْنَ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٥]، إلى أن قال "... فالقدرة واسعة والفيض عظيم" ^{١٠٩}

٦. مراعاته للمقاصد الشرعية في الآيات القرآنية

يُرى بوضوح مراعاة المحقق للمقاصد الشرعية في الآيات القرآنية والعناية بها، وهي حفظ الدين والعقل، والنفوس، والمال، والنسل. فعلى سبيل المثال نهج المحقق سعيد بن خلفان الخليلي مع آيات الجهاد، منهجاً علمياً دقيقاً لفهم مغزى هذه الآيات وتطبيقها في الواقع. معتمداً على الأصول التفسيرية والتحليلات الفقهية وظروف تشريعها لفهم مقاصد الجهاد وأهدافه الشرعية. بشكل عام، يتبع المحقق سعيد بن خلفان الخليلي منهجاً دقيقاً ومتوازناً في تعامله مع المقاصد الشرعية في آيات الجهاد. يستخدم أساليب علمية وأصول فقهية موثوقة لفهم مغزاها.

^{١٠٨} الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ١، ص ٤٥٣.

^{١٠٩} المرجع نفسه، ج ١، ص ٢٨٣؛ وانظر: الغفاري، سعيد بن خلفان الخليلي وآراؤه الكلامية، ص ١١٣.

ومع ذلك فإن المحقق الخليلي يقيد الحكم بجواز خروجه بعدم حصول مضرة للوالدين بخروجه، فلو تعبن مرضهما أو عجزهما عن القيام ولا قائم سواه؛ بهما لزمه القعود فيما يصح عند الشيخ، وكذا فيمن يلزمه القيام به، واستدل على ذلك أن الآية تشمل ذلك "غير أولي الضرر" فالضرر بنفسه وبمن يلزمه القيام به كله من واضح العذر لأنه لا ضرر ولا ضرار في الإسلام، وقيل: إنه يجوز له الخروج مطلقاً في جهاد أو دفاع.

خلاصة القول لا يعذر عن الخروج للجهاد مع دعوة الإمام إليه إلا من عذره الله بضعف أو عجز "، ومع ذلك فلا عذر في الفريضة المالية على أولى الأعدار الذين ذكرتهم الآية " ليس على الأعمى حرج ولا على المريض حرج ولا على الأعرج حرج " لأن هؤلاء جميعاً مع الأصحاء دعوا إلى الإنفاق في سبيل الله في قوله تعالى: ﴿هَآئِنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَنْخُلُ وَمَنْ يَنْخُلُ فَإِنَّمَا يَخْشَىٰ عَنْ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴾ محمد: ٢٨، عند عدم الإعسار، وإنما كان عذرهم في التخلف بأنفسهم عن الغزو ولوجود الضرر بهم.

ثم إذا كان الجهاد دفاعاً فقد ذكر الشيخ سعيد - عليه رحمة الله - قولاً بجواز إلزام المعذورين عن الجهاد النساء والعبيد واليتامى والمرضى بتمويل الحرب من أموالهم والجبر على القرض من إذا خيف على الدولة ويرجى بذلك إقامة الأمر ودفع الوهن منها^{١١٠}

٧. اعتماده على السياق وخاصة اللغوي والبلاغي

قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ قال الزمخشري: هذا تمثيل وتخيل، كما مر في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية، وقال في المجمع: تقديره: لو كان الجبل مما ينزل عليه القرآن ويشعر به مع غلظه، وجفاف طبعه وكبر جسمه لخشع لمنزلته وتصدع من خشيته، تعظيماً لشأنه.

الآية توضح عظمة تأثير القرآن الكريم. فإذا تخيلنا أن القرآن نزل على جبل، فإن هذا الجبل سيكون عاجزاً عن تحمل هذه العظمة. سينكسر هذا الجبل ويتصدع تحت ثقل القرآن، وذلك لأن القرآن هو كلام الله العظيم.

^{١١٠} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام والأديان، ج ١٣، ص ١٧٣.

قوله تعالى: ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، إذا كان المراد بها شجرة الزقوم فإنه سماها ملعونة باعتبار محلها فقط؛ لأنها تخرج في أصل الجحيم، طلعتها كأنه رؤوس الشياطين، وأي محل ظهر في معنى الطرد والبعد من الرحمة من نشأتها في نار الجحيم، التي هي أصل كل شر. ويجوز أن تضاف اللعنة إليها باعتبار ما بها إلى ما خلقت لأجلهم، وهم أهل اللعنة الأشقياء من أعداء الله تعالى، فلما كانت مقترنة بهم كانت بعيدة من الخير.

استنباط أن كلمة "لعنة" هي مجاز أو رمزي في هذا السياق يعتمد على التفسير اللغوي والسياقي للكلمة في الآية القرآنية، وقد يكون ذلك استنتاج شخصي بناء على الآتي:

١. اللغوية: الكلمة "لعنة" بشكلها الأساسي تشير إلى شيء ملعون أو ملعونة، ولكن في اللغة البيانية أو الأدبية، يُمكن استخدام الكلمات بمعانٍ مجازية تخرج عن المعنى الحرفي. هنا، يمكن أن يُفهم "لعنة" بمعنى أوسع يشير إلى شيء أو مكان شديد العذاب أو ملعون بشكل رمزي^{١١١}.

٢. السياق: يعتمد تحليل الكلمة على السياق الذي وردت فيه الآية القرآنية. في هذه الآية القرآنية الخاصة، يمكن أن يكون السياق يشير إلى استخدام "لعنة" بمعنى رمزي للإشارة إلى شيء شديد الشر والعذاب.

إن استنتاجات حول الاستخدام المجازي للكلمات في القرآن تعتمد على فهم الشخص للغة والسياق، وقد يختلف هذا الفهم من شخص لآخر. من السياق حيث قال في لحاق الآية تخرج من أصل الجحيم

ومن أمثلة استشهاده بسياق الآية قوله في آية محبة النبي ﷺ: ثبت في مثل هذا في نص القرآن الكريم إن محبة النبي هي محبة الله تعالى والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَهَارٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]، فدلّت الآية على أنه لا يتم إيمان العبد إلا بأن يكون الله ورسوله أحب إليه من الآباء والأبناء والأزواج والأموال، وإلا فلا سلامة ولا إيمان، ولهذا جاء

^{١١١} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام والأديان، ج ٣، ص ٢٧٠.

لحاق الآية بالوعيد بقوله: فترَبُّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ) ثم وصفهم باسم الفسوق والله لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ.

المطلب الثالث: منهج المحقق الخليلي في الإفتاء

الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي رحمه الله كان يفتي بالكتاب والسنة والإجماع والقياس والمصالح العامة. ويجيب على المسائل الفقهية والعقدية والسياسية وغير ذلك بعلم وحكمة وبلاغة. كما أنه يستند في فتاويه إلى الأدلة الشرعية والنصوص القرآنية والأحاديث النبوية وآثار السلف الصالح. ويستخدم أسلوب الجدل والمناظرة في بيان حجته ورد شبهات المخالفين. وينظم في بعض فتاويه قصائد شعرية رائعة تحمل معاني عميقة وفوائد جلية^{١١٢}

تميز الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي بطريقته الخاصة في الإفتاء التي تعكس رصيده الأدبي وثقافته الواسعة. فهو يجيب على الأسئلة بالتفصيل والتوسع، ولا يكتفي بالإجابات المختصرة أو المجردة. وقد اتبع في ذلك مدرسة أحد أشهر علماء عمان في القرن الثالث عشر الهجري، وهو الشيخ أبو نبهان جاعد^{١١٣} أشد المعجبين بن خميس، الذي كان معروفاً بطول جواباته وبجته عن المسائل المستجدة. وقد كان المحقق سعيد بن خلفان ملماً بآثار الشيخ أبو نبهان وقد قرأها جميعاً واستفاد منها كثيراً وسار على نهجه في معظم مسائله. وقد كان ينقل عنه بكثرة في إجاباته، معبراً عن احترامه وتقديره له. وكان هذا التأثير ممكناً لأن الشيخ سعيد كان قريباً زمنياً من الشيخ أبو نبهان، فقد ولد قبل وفاته بعام واحد، أو حسب رواية أخرى بست سنوات. وقد تلقى تعليمه من بعض تلاميذ الشيخ أبو نبهان، منهم ابنه ناصر، الذي

^{١١٢} انظر: سعيد بن راشد السلماني، الشيخ المحقق سعيد بن خلفان الخليلي والاجتهاد في الفتوى، (مسقط: وزارة

الأوقاف والشؤون الدينية، بحوث ندوة تطور العلوم الفقهية في عمان، ط ١، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م)، ٤٨٣.

^{١١٣} الشيخ جاعد بن خميس الخروصي، المعروف بأبي نبهان، هو عالم وفقه وشاعر عماني من القرن الثالث عشر الهجري. ولد في قرية العليا من وادي بني خروص، وتعلم العلوم الشرعية واللغوية على يد مشايخ بلده منهم الشيخ سعيد بن أحمد الكندي. كان مرجعاً في الفتوى والتجديد في عصره، وله مؤلفات كثيرة في الفقه، والأصول، والتفسير، والأدب. انظر: صالحه بنت عبد الله عيسان وآخرون، الشيخ الرئيس جاعد بن خميس الخروصي ودوره التربوي والاجتماعي، (مسقط: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ط ١، ١٤٣٩هـ / ٢٠١٧م)، ص ٣٣٢.

كان يتبع مذهب والده في كثير من المسائل. أما باقي المشايخ المتقدمون، فكانوا يفضلون الإجابات الموجزة، والمحكمة إلا إذا كانت المسألة تستحق التفصيل والتحليل^{١١٤}

كما أن المحقق الخليلي يتجنب الإجابة عن المسائل التي لا تنفع السائل أو تثير الفتنة أو تخص علماء الدين فقط، فمثلاً سأل أحد عن صفة القرآن هل هو مخلوق أم لا، فقال له الشيخ: "القرآن" هو كلام الله ووحيه وتنزيله وهذا يكفي في اعتقادنا به بإذن الله. " وهذا لا يمنع أن يبحث الشيخ في بعض مسائل الاختلاف بشكل علمي وموضوعي، ولكن هذا ليس لغير المتخصصين، الذين لا يفهمون حقيقة الاختلاف وآدابه^{١١٥}

ومن مميزات منهج المحقق الخليلي في الإفتاء أنه يتحلى بالورع والحذر، ولا يستعجل في إصدار الأحكام، بل يبحث ويتأني ويجرؤ على قول لا أدري إذا لم يجد دليلاً واضحاً على المسألة، تقديرًا لقول السلف: من قال لا أدري فقد أفتى، وإذا ترك العالم لا أدري فقد أصيبت مقاتله. فمثلاً، سئل عن حكم من يأخذ أجرة لقراءة القرآن وهو لا يضبط الضاد، فأول مرة قال: الله أعلم وأنا لم أجده هذه المسألة في الأثر، وطلب من غيره من أهل العلم أن يبحثوا فيها وينفعوه بما يصلون إليه من الحق. ثم سئل مرة ثانية عن نفس المسألة، فبدا أنه قد درسها ووجد جواباً مقنعاً، فقال: إذا كان هذا المستأجر يقرأ القرآن بصواب ويعربه بحسن ولا يغير حروفه فهو مؤتمن على ذلك، ولا بأس بأجرته، ولا يشترط فيه تمييز الظاء من الضاد والأصل أن كل ما يجوز في الصلاة من القرآن يجوز في الأجرة^{١١٦}.

ومن منهجه في الإفتاء أيضاً أن لغة افتائه تختلف حسب ثقافة السائل وعلمه فيجيب باللغة الرصينة مع طلاب العلم ويبسط اللغة مع غيرهم، ومن أمثلة ذلك حينما سئل عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم: " أعوذ برضاك من سخطك وبغفوك من نقمتك وبمعافاتك من عقوبتك"^{١١٧}، فأفاد أن في هذا الدعاء اتباع الداعي سنة العرب في البلاغة والفصاحة، فاستعاذ

^{١١٤} السيبي، المحقق سعيد بن خلفان الخليلي وأثره العلمي والسياسي، ص ٢٥.

^{١١٥} انظر: السلماني، الشيخ المحقق سعيد بن خلفان الخليلي والاجتهاد في الفتوى، ص ٤٩٧.

^{١١٦} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام، ج ٨، ص ١٧٨.

^{١١٧} مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٩٥٥م)، ج ١، ص ٣٥٢.

بالصفات والأفعال كأنها أشياء مستقلة، ليظهر حسن الخطاب ولطف العبارة، وليستعد للنفحات بذكرها، وهذا من أجل المبالغة في والتخيل في المعاني، ولكن المقصود بهذه الصفات هو ذات الله تعالى الموصوف بها، وليس غيره، وهذا مما يتكرر في لغة العرب سواء في شعرهم أو نثرهم، من أجمل ما يحتويه كلامهم من عجائب النظم والتأليف^{١١٨}

المطلب الرابع: منهج المحقق الخليلي في أدب السلوك إلى الله

المنهج السلوكي عند المحقق سعيد بن خلفان الخليلي يهدف إلى تهذيب النفس وتطهيرها من الصفات الذميمة والشهوات الدنيوية، والسير في طريق الحق بالمجاهدة والطاعة والإخلاص. وقد اتبع هذا المنهج في حياته وعلومه ومؤلفاته، مستفيداً من تراث السلوكيين العمانيين السابقين له مثل الشيخ جاعد بن خميس الخروصي وابنه ناصر. وقد أظهر المحقق الخليلي ولعه بذكر الله وتسيبته طوال عمره، ونظم في ذلك منظومتين وصف فيهما تسيبته^{١١٩}. وكان شديد العناية بطلابه وقاصديه تشهد على ذلك كثير من مواقفه وأقوله منها:

١. كان الشيخ يمتحن تلاميذه الراغبين في الدراسة عنده بشدة، وإذا رأى في أحدهم حباً صادقاً للعلم، فإنه يسمح له بالاستمرار في تلقي العلوم منه ولكن إذا لم يجد فيه شوقاً، أو شعر بالملل من معاملته، فإنه يبعده، لأن هذا يدل على أنه غير مستعد للتعلم، ولا فائدة من إضاعة الوقت معه، وهذه الطريقة موجودة في تاريخنا الإسلامي، فهناك نوعان من العلماء: نوع يتبع هذه الطريقة، ليختبر قدرة الشخص على تحمل صعوبات طلب العلم وفي قصة النبي موسى مع الخضر المذكورة في سورة الكهف دليل على ذلك: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٢]. ونوع آخر يقول: يجب على الإنسان أن يدرس كل من يأتي إليه، بغض النظر عن حال الطالب. وعلينا أن نحكم على ذلك بحسب الظروف، فإذا كان هناك إقبال كثير الناس على العلم، فاستخدامه الطريقة

^{١١٨} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام، ج ٣، ص ٢٩.

^{١١٩} انظر: محمد بن سليمان الحضرمي، المشرب العذب لقراءات في الشعر العماني، (مسقط: الجمعية العمانية للكتاب والأدباء، ط ١، ٢٠٢٠م)، ص ١٩١.

الانتقائية هو أمر مناسب، وإذا كان هناك كسل في طلب العلم، فلا بد من جذب جميع الطلاب سواء كانوا مؤهلين أو لا، لأن هذا سيظهر في مستقبلهم. وهذه الرؤية تتغير باختلاف الأزمان، ولذلك اختلفت آراؤهم في هذه المسألة. والمحقق الخليلي يرى أنه يجب اختبار الشخص بشكل قاس لمعرفة هل هو جدير بتحمل هذا المشقة أم لا. وقيل: إن الشيخ صالح بن علي الحارثي أحد تلاميذ المحقق، أتى إلى الشيخ سعيد بن خلفان للدراسة، فامتحنه حتى عُرف إخلاصه وجدارته، ثم اهتم به. وثق به ما رآه فيه من استعداد لذلك^{١٢٠}.

٢. كان يوجه طلاب العلم بأنه ينبغي لطالب العلم أن يتحلى بالتواضع والانقياد، للشيخ الذي يتعلم منه وأن يستفيد من توجيهاته ونصائحه وأن يتجنب مخالفته أو معارضته، فهذا من حقوق المعلم على المتعلم ومن آداب التلامذة مع المشايخ، وخصوصاً إذا كان الطالب سائراً في طريق السلوك إلى الله تعالى ومحتاجاً إلى تزكية نفسه من العيوب، فإن مخالفة الشيخ في هذه الحال تؤدي إلى خروجه عن حدود الأدب وتضر بحاله الروحية، بل تعتبر من ذنوبه التي تحجبه عن رؤية الحق، وليستمع الطالب إلى ما جاء في كتاب الله عز وجل من القصة المباركة بين الخضر وموسى - عليهما السلام - حيث قال له: ﴿هَلْ أَتَبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦]، فإذا كان الطالب من أهل الاجتهاد فله حرية اختيار ما يرى أنسب له، أو إذا كان لديه شيخ آخر فاتبع رأيه فلا حرج عليه، ولكن عليه أن يحسن الظن بغيره من المشايخ وأن لا يتهمم بالخطأ إذا اختلفوا معه في قضية اجتهادية^{١٢١}.

من جانب آخر زخر شعر المحقق الخليلي بألفاظ التصوف ولم يكن الخليلي مجرد شاعر زاهد وصوفي في عصره، بل كان رائداً في هذا الفن، وجعل شعره مخزوناً للمفردات والمصطلحات الصوفية التي تعكس لغة التصوف عنده، وتشكل مصدراً غنياً لدراساتها. كما أظهر شعره بعض الخصائص اللغوية النابعة من ارتباطه العميق بالثقافة الصوفية، والتي أحياناً تجعل لفظه معقداً،

١٢٠ انظر: السيابي، المحقق سعيد بن خلفان الخليلي وأثره العلمي والسياسي، ص ٢٢٠.

١٢١ انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد الأحكام، ج ٥، ص ٢٥٧.

وهذه سمة مميزة للشعر الصوفي. ولا يمكن إغفال تأثيره بأحد أشهر شعراء الصوفية وأسماءهم، وهو "ابن الفارض"، الذي أضاف إلى شعره نكهة صوفية فارضية فحين يقول الخليلي مستمداً من معنى السكر والخمر والشراب والكأس رموزاً صوفية تحمل في داخلها حقيقة التجربة التي عاشها بانفعالاته الروحية الناجمة من أعماقه الممتلئة بحبه الإلهي وشوق للقائه، وتطلعاً المستمر الى رضوانه ليصل الى قمة الانفعال ونشر العارمة حين يصل الى غايته يظل في سكر حتى يفيق من نشرت نه.

يقول:

فثابت عقلي منك لي أحسن العزا

وطائش عقلي عش بدهشة سكران

فالخليلي يعقد موازنة بين اتزان العقل وثبات الجوارح، وبين فقد له وطيش أعماله وتصرفاته، ورجوع الصوفي الى مرحلة الاتزان العقلي بعد نشرته الروحية التي تمت عن اتصاله الوثيق بالله عز وجل أكسبته دهشة وانبهاراً (بدهشة سكران) وهي الدهشة الناجمة من غليان القلب والحواس عند ذكر المحبوب، حيث يشتعل القلب لهفة وشوقاً تفقده اتزانه العقلي فيتحرك يميناً وشمالاً دون أن يستوعب أو يدرك ما يحدث له، فهو شأنه شأن من ملأ جوفه بالخمر ففاضت نشرته الى العقل وأفقدته توازنه، والسكر هنا ليس سكرًا بالمفهوم المتعارف، وإنما هو سكر روحي وجداني، وهذه الدهشة الروحية

والجدير بالذكر أن المحقق الشاعر الخليلي حين استخدم في شعره الصوفي مجموعة من الكلمات والمصطلحات التي تحمل معاني رمزية تنبع من تجربته الروحية والنفسية. هذه الكلمات تتجاوز معانيها الأصلية في اللغة إلى معاني أعمق وأشد حدة، تعبر عن شعور الشاعر بالحب والشوق للقاء الله سبحانه وتعالى من هذه الكلمات: كلمات الخمر والسكر والكأس والشراب، التي تستخدم في شعر الغزل والنسيب للدلالة على حالة من فقدان والانبهار والانسلاخ عن الواقع. وليست الرمزية التي استخدمها ابن فارض وبعض الصوفيين الذين استعاروا هذه الكلمات ليصوروا بها حالة من الاندماج والاتحاد بالحق تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً^{١٢٢}

١٢٢ انظر: اليحيائي، الخليلي رائد الشعر الصوفي، ص ٥٠.

الفصل الرابع

علوم القرآن عند المحقق الخليلي وعلاقتها بالسياق القرآني في استدلالاته

إن علوم القرآن من أجلّ العلوم التي تتعلق بكتاب الله تعالى، وهي تشمل مجالات متنوعة منها التجويد والقراءات، وأسباب النزول، والناسخ، والمنسوخ. وقد اهتم بهذه العلوم العديد من علماء المسلمين في مختلف العصور، وكتبوا فيها كتباً نفيسة تحوي فوائد عظيمة. من هؤلاء العلماء المحقق الخليلي، الذي عُرف بإسهاماته الفذة في علوم القرآن وغيرها من العلوم الشرعية. في هذا المبحث سوف نوضح كيف استخدم هذا العالم السياق القرآني في استدلالاته وتفسيراته، مستعرضين أبرز جوانب علوم القرآن عند المحقق الخليلي وعلاقتها بالسياق في استدلالاته من خلال المطالب التالية:

المبحث الأول: التجويد عند المحقق الخليلي وعلاقته بالسياق في استدلالاته

إيماناً بقوله تعالى ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٤]، وأن هذا الأمر الإلهي ليس مخصوصاً للنبي ﷺ فقط، بل يشمل كل مسلم يقرأ القرآن العظيم بعلم وفهم، والغرض من هذا الأمر بتجويد القرآن وترتيله هو أن يكون للقرآن مكانة خاصة عن باقي الكتب، سواء كانت منزلة من عند الله مثل التوراة والإنجيل، أو كانت من صنعة البشر في شتى العلوم. فالقرآن الكريم هو دستور هذه الأمة ودينها الخاتم والأبدي وهو الإسلام. لذلك أهتم المحقق الخليلي بعلم التجويد وتناول بعض مواضيعه في كتابه تمهيد قواعد الإيمان وفي أبياته الدرة النورانية الخاصة بأحكام التجويد^١، وذكر بعض أحكام التجويد في كتابه مقاليد التصريف أيضاً.

والتجويد لغة: يُعرف بأنه التحسين والإتقان، ويشتق من الجودة والجود والجواد، وقد جاد جودة وأجاد: أتى بالجيد من القول أو الفعل. ويقال: أجاد فلان في عمله وأجود وجاد

^١ انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام والأديان، ج ١٣، ص ٥٠١.

عمله يجود جودة، وجدت له بالمال جوداً. ورجل مجود مجيد وشاعر مجواد أي مجيد يجيد كثيراً^٢. وكل هذه المعاني تناسب القرآن الكريم فهو جودة من الله تعالى وإحسان وإتقان. ومن ناحية الجواد فإن القرآن الكريم جواد سخي معطاء بما يحتويه من آيات ومعان رفيعة تعطي المسلم الملتزم بها الخير والأجر والثواب وسعادة الدارين.

وفي الاصطلاح: يعرف أبو عمرو الداني التجويد بأنه: إعطاء الحروف حقها وترتيبها مراتبها، وإخراجها من أصلها ومخرجها وإلحاقها بمثلها وشبيهها وإتقان نطقها، وإظهار صورتها وحالتها دون زيادة أو نقصان أو تصنع أو تكلف، ولا يفصل بين التجويد وتركه إلا ممارسة من تدبره بفكه^٣.

وأيضاً: هو إخراج كل حرف من مخرجه، مع إعطائه حقه ومستحقه فحق الحرف هو مخرجه وصفاته التي لا تفارقه كالهمس والجهر. ومستحقه هو الصفات التي يوصف الحرف بها أحياناً وتفارقه أحياناً؛ كالتفخيم والترقيق بالنسبة للراء فهي صفات عارضة تأتي على الحرف وتزول عنه^٤.

وهناك تعريف آخر للتجويد وهو الذي يلامس موضوع مبحثنا هذا وهو: هو علم يدرس النظام الصوتي للغة القرآن، ويهدف إلى تحليل هذا النظام واستخلاص قواعده وظواهره، لكي يسهل على المتعلم ضبط الآيات وإتقانها^٥.

ترتيل القرآن الكريم بأصواته المنزلة هو من أجل أشكال الدلالة، فهو يساعد على فهم وتفسير الآيات الكريمة بواسطة أصوات التجويد التي تحمل دلالات ضمنية. وسنبين في هذا المبحث كيف ترتبط دلالة أصوات أحكام التجويد بالمعاني من خلال تمثيل بعض هذه الأحكام

^٢ محمد بن مكرم بن علي، ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، تحقيق: البازجي وجماعة من اللغويين، (بيروت: دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ)، ج ٣، ١٣٥.

^٣ انظر: عثمان بن سعيد بن عثمان أبو عمرو الداني، التحديد في الإتقان والتجويد، (بغداد: دار الأنباء، ط ١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٨م)، ص ٧٠.

^٤ عزة السعيد الشامي، المفيد في علوم القرآن وعلم التجويد، (بيروت: دار صادر، ط ١، ٢٠٢٠م)، ص ٧٦.

^٥ انظر: غانم قادوري حمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، (العراق: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ط ١، ١٩٨٦م)، ص ٢٢.

التي تعرض لها المحقق الخليلي وهي: مخارج الحروف وصفاتها، والمد والإدغام، والسكت وهاء السكت وهاء الكناية (الصلة)، والروم والإشمام والإمالة، وألف الخروج، والوقف، والابتداء. اللحن الخفي هو موضوع دراسة علماء التجويد للأصوات العربية، وهو يتعلق بالأخطاء الناجمة عن عدم اعطاء الأصوات حقوقها في المخارج والصفات والأحكام. وقد قام علماء التجويد بتمييزه عن اللحن الجلي، الذي يظهر في الحركات ويدرسه أهل اللغة. وقد اهتم علماء التجويد برصد الانحرافات المحتملة في نطق الأصوات، وتحديد صورها الصحيحة، وذلك بدراسة مخارج الحروف وصفاتها وأحكامها التركيبية العناصر الأساسية لعلم التجويد. وبذلك فإن دراسة اللحن الخفي قد أتاحت فرصة لدراسة شاملة لأصوات العربية^٦

المطلب الأول: أهمية تعلم التجويد عند المحقق الخليلي

ومما أفاده المحقق الخليلي في أهمية التجويد: قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧]، جعل الله تعالى هذا القرآن ميسراً سهلاً لمن أراداه سواء بالقراءة أو الفهم أو التدبر، وهذا لا يتنافى مع أن في القرآن بعضاً من الألفاظ والعبارات قد لا يستطيع القارئ نطقها أو حل ألفاظها، ولذا كان لازماً على قارئ القرآن أن يتعلم قراءة القرآن عن طريق معلم حاذق ماهر له باع طويل وجهد جهيد في معرفة وتعليم قراءة القرآن حتى يتقن معه هذه القراءة، وهذا من سر إعجاز القرآن الكريم بأن جعل الله تعالى تعليم قراءته مما تتناقله الأجيال حتى لا يمتنع المسلمون عن تعليمه وفهمه وإدراكه، كما أن مدارس القرآن الكريم بين الناس تمكن الإنسان من معرفة^٧

أهمية علم التجويد يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ۖ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ ۖ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ١٢١] يتضح من خلال هذه الآية الشريفة أن المؤمنين هم الذين يتلون القرآن الكريم حق تلاوته لأنه أنزل إليهم وهم من أمرهم الله تعالى بالتلاوة كذلك، فمن هنا تكمن معرفة أهمية علم التجويد ؛ حتى يكون المؤمن

^٦ انظر: أحمد بن أحمد شقانصي، عمدة القارئ والمقرئ، تحقيق: عبد الرزاق بسرور، (بيروت: دار ابن حزم للطباعة

والنشر، ط١، ٢٠٠٨م)، ص ٤٧٣.

^٧ انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ٧، ص ١٤٤.

على علم وبينه بتلاوة القرآن الكريم ولا يتحقق هذا الهدف إلا بمعرفة أحكام التلاوة ودراسة الطريقة الصحيحة لنطق ألفاظ القرآن الكريم، وأن تكون هذه التلاوة خالية من الأخطاء، وهذا بدوره يساعد المسلم على التدبر في آيات القرآن الكريم وما تحويه من معان وألفاظ التي تدعوا المؤمن دائماً للسير بالمنهاج الصحيح من تعلم القرآن وتعليمه لما كان لعلم التجويد أهمية كبيرة لمعرفة قراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة، فقد أجمع العلماء على أنه لا بد من تعلم هذا العلم ومعرفته.

لم يتضمن كتاب الدرة النورانية وشرحه للخليلي أي مباحث تخص علم التجويد، بل كانت مجرد مقدمة وتمهيد لهذا العلم، ولكن وجدت بعض المسائل المرتبطة بعلم التجويد في كتاب آخر له هو مقاليد التصريف، الذي لم يخصصه الخليلي لعلم التجويد فحسب، بل تناول فيه موضوعات تتعلق بعلم الصرف أيضاً. ومن هذه الموضوعات المشتركة بين علم التجويد وعلم الصرف مخارج الحروف والصفات، فقد ذكر الخليلي جميع مخارج الحروف وتقسيمها إلى الحلق واللسان والشفتان وحدد حروف كل مخرج بالتفصيل. كما ذكر صفات الحروف سواء التي لها ضد والتي لا ضد لها، وكان منهج الخليلي في هذا الكتاب أن يبدأ بيت شعر يشير إلى الموضوع، ثم يشرحه ويوضحه، ويستشهد على ذلك بآيات من القرآن الكريم^٨. إلا أن هذا الكتاب ليس موضوع بحثنا، لذا سنقتصر على المسائل التجويدية الواردة في كتاب تمهيد قواعد الإيمان فحسب.

كان المحقق الخليلي يحب هذا العلم الشريف ويتوق إلى معرفته وفهمه وإدراكه. وكان يرى أنه لا يجد في زمانه ولا في مكانه من يعرف هذا العلم فإن وجده لقصده وأخذ منه عن قرب. وهذه خصوصية العلماء في رغبتهم القوية في الزيادة والافادة من أحد ما وعدم الاكتفاء بما عندهم، بل يظنون أن ما عندهم لا شيء في مقابل العلوم المتنوعة والمعارف المتباعدة، كما أنه كان يستنكر على الذين ينفون هذا العلم ويحسبون أنه لا فائدة في قراءة القرآن بالتجويد. وأدخلهم في جماعة الذين يحرفون الكلام عن مواضعه.

^٨ انظر: سليمان بن سعيد العبدي، سعيد بن خلفان الخليلي وآراؤه في علوم القرآن الكريم، (رسالة ماجستير غير منشورة، السودان: جامعة أم درمان، ٢٠١٠م)، ص ١٦٨.

ولا يقصد بهذا شيخه وأستاذه الذي تعلم منه هذا العلم وهو الشيخ ناصر بن أبي نبهان الخروصي ذكر السائل. فقد دافع عن هذا الشيخ في بداية جوابه وأورد له الأدلة والأعذار وأن السائل فسر كلام شيخه بطريقة خاطئة. فلا يرضى أن يجعله من الفئة التي تحدث عنها قبلاً وقال عنه: "أما قوله لا يعلم فذلك إخبار عن علمه بقراء زمانه وغير مكلف ما لم يطلع عليه، ولذلك أنه لم يقل بالقطع أنه لا يوجد في دهره من يعلم تجويده، ويحسن ترتيبه وترديده، لأن هذا مقتضاه الغيب وتعاطي محسوب من العلماء، ومن في الشيخ الخليلي ينزه نفسه عن الغيوب، وهو عيب من العيوب، ولا ينفي هذا العلم الشريف ولا يحكم عليه بالباطل"، وهكذا كان دائماً الخليلي يدافع عن الحق وأصحابه ويرى من تلقى عليهم التهم والانتقادات فيسعى جاهداً لتفنيد مثل هذه الادعاءات وتصحيح أفكار المستمعين، وخصوصاً إذا كان الأمر يتعلق بالعلماء المجددين أولاً: اهتمامه بهذا العلم من الجانب التطبيقي وهو أن يؤلف في هذا الفن مؤلفاً مستقلاً سماه (الدرة النورانية في الأحكام التجويدية) وهو عبارة عن منظومة شعرية تشرح فن علم التجويد وأحكامه بطريقة سهلة وواضحة لكي يستفيد منها أفراد المجتمع ولا يستغربوا من هذا العلم، أو ينفون حق من يتبعه أو يطبقه في قراءته بدأ في هذا المؤلف، ولكن لا ندري هل أكمله ولم يظهره كما حصل مع تفسير سورة الفاتحة، أو أن الظروف لم تسمح له بإنجازه، ولكن ما نرجحه هنا أن الخليلي قام بالنظم ثم فكر في شرح هذه المنظومة لتتضح المعاني والأحكام أكثر للقارئ، ولكن لم يتمكن من إتمام شرحه لأسباب ما وكان يرجو أن يستطيع المتابعة والعودة إلى هذا المؤلف بعد تحسن الأوضاع وزوال المشكلات.

من بين الأدلة على رغبة الخليلي في التأليف في هذا الفن ما ذكره قبل أن يشرع في نظم القصيدة حيث قال: "وبما أن الأمر هكذا فعلى حملته أن يحفظوا معانيه وألفاظه، ولا يستطيع من لا يعرف موضع السبيل أن يلقي نفسه في البحر الواسع، فقد غرق كثير، ولما رأيت الناس قد اختلطت أمورهم فيما يجوز من حكمه بحسب من اهتم بتلاوته أو كتابته دعوت الله أن ينجيني بما أنزل من الهدى في كلامه فيبين لي ما لم أستطع إدراكه في أحكامه، فعُصْتُ في تلك الموجات البعيدة، ونظمت ما استخرجته نفسي من خلاصاتها من نسك هذه القصيدة وسميتها ب (الدرة النورانية في الأحكام القرآنية) وبعد إتمامها طالبني الحوافز بأن أبدأ في تفسير معانيها، وهذا يشير إلى أن الخليلي شرع في شرح هذه القصيدة.

نصح الخليلي في جوابٍ له معلمي القرآن الكريم بأن يتعلموا علم التجويد ويتقنوا مخارج الحروف وصفاتها لأنها تزين تلاوتهم لكتاب الله، ويحملون أمانة نقل هذه القراءة إلى طلابهم بدقة وإتقان. ويظهر الخليلي تواضعه الكبير في عدم ادعائه لهذا العلم أو التفحص فيه، ويقول إنه علم نادر وبنية عجيبة، وأنه لم يجد فيه إلا ما روي عن السابقين وسجل في الكتب، وأنه لم يستطع أن يغوص في بحره بسبب فقره، وأنه لم يستطع أن يصفه بغير ما وجد في الكتب. ولكن هذا التواضع لا ينافي أن يكون الخليلي على دراية كاملة بهذا العلم، فقد ذكر تفاصيل دقيقة عن صفات الحروف ومخارجها، وأورد أمثلة كثيرة تثبت قوله وتبين إلمامه بهذا العلم، فقال مثلاً: "وقد وجدت منها في الوقف على الهمزة من الوجوه المروية لحمزة خمسة وعشرين في كلمة (هؤلاء)، وسبعة وعشرين في ﴿قُلْ أَتُنبئُكُمْ﴾ وستين قولاً في ﴿إِنْ أُولَآئِهُ﴾".

المطلب الثاني: التجويد وأثره في الدلالة السياقية

سيد قطب رحمه الله كان من أهم العلماء الذين اهتموا بأثر أصوات الحروف وخصائصها، وجعل بين الصوت وقدرته الدلالية الإيحائية في تفسير الآيات، فأفاد في كتابه التصوير الفني في القرآن الكريم^٩ أن التناسق في القرآن ألوان ودرجات؛ ففيه ذلك الإيقاع الموسيقي انتقاء الألفاظ وضبطها في نسق خاص، وانطباق ذلك كله مع الجو الذي تُنشر فيه هذه الموسيقى وعملها التي تؤديه في كل سياق. وأوضح في مكان آخر يجب أن نشمل في معنى التصوير لتدرك جوانب التصوير الفني في القرآن، فهو تصوير باللون وتصوير بالحركة وتصوير بالتخيل، كما أنه تصوير بالنعمة تعطي مثل اللون في التشكيل وكثيراً ما يتلاقى الوصف والجوار، وزخارف الكلمات ونغم العبارات، وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور تراها العين والأذن والحس والخيال والفكر والوجدان^{١٠}.

وقد خصص السيوطي في كتابه الاتقان باباً عنوانه "ائتلاف اللفظ مع اللفظ وائتلافه مع المعنى"، وأوضح أن ائتلاف اللفظ مع المعنى هو أن تتناسب كلمات الكلام مع المراد منها،

^٩ سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، (القاهرة: دار الشروق، ط ١٧، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ص ١٩٠.

^{١٠} انظر: المرجع نفسه، ص ١٨٠.

فإذا كان المراد فخماً فالكلمات فخمة، وإذا كان جزلاً فجزلة.^{١١} وسوف يقتصر البحث في هذا المطلب على بيان أثر التجويد في الدلالة السياقية عند المحقق الخليلي من خلال اللحن في مخارج الحروف وصفاتها والوصل والفصل والوقف

أولاً: أثر اللحن في المخارج والصفات على السياق القرآني عند المحقق الخليلي

وأما عن تغيير الأحرف في القرآن فلم أسمع أن أحداً يفعل ذلك عمداً وحكمه إن حصل فهو إفساد الصلاة به وعدم قبولها من الله تعالى، إلا إذا كان ذلك بسبب عجز أو جهل أو لغة غير عربية ففي هذه الحالات يجوز للمصلي أن يقرأ بما يستطيع من صدق وإخلاص؛ فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها، وما زاد على هذا فلا أصل له في الشرع، بالتفصيل أو الإجمال.

اللحن في حرف الضاد: تناول المحقق الخليلي النزاع اللغوي الذي ينشأ عنه النزاع الفقهي وأجاب على شبهة قول بعض الناس بالظاء مكان الضاد خصوصاً في سورة الفاتحة، وأكد على أهمية هذا الموضوع؛ لأن الضاد والظاء رغم أنهما يتشاركان في صفات الجهر والرخاوة والإطباق والجرسية إلا أنهما يختلفان في المخرج فالضاد شجرية وليست مستطيلة والظاء لثوية. وأفاد المحقق الخليلي في التمهيد أن تكبيرة الإحرام تحتل مكانة خاصة في اللفظ ولها حكم لفظ القرآن. وقد فصل اللحن فيها كالآتي:

اللحن في همزة وصل لفظ الجلالة الله: فاللحن يحصل فيها من أربعة أوجه: إضافة، أو نقص، أو تغيير إعراب، أو تبديل حرف بغير ما جاز في اللغة العربية الصحيحة فهذا هو المقصود باللحن، وتتنوع أحكامه باختلاف مواضعه وقربه أو بعده عن خط الجواز أو الحسن أو الوجوب إلى مركز المنع أو القبح أو التكره.

ومن اللحن في همزة وصل لفظ الجلالة التي تفسد معنى تكبيرة الإحرام سواء عمداً أو بغير عمد كما أشار إليه المحقق الخليلي زيادة مدة على الهمزة بعد تمكن النطق بها، فهو لحن صريح مبدل للمعنى قبيح مفسد لها في حالاتها جميعاً.^{١٢}

^{١١} عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الإنقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (مصر:

الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م)، ج ٣، ص ٢٩٩.

^{١٢} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ٣، ص ٤٨٤.

أما فيما يتعلق باللامين معاً، ويتصور اللحن فيهما من خمسة أوجه ترك تشديدهما، أو فك إدغامها، أو ترك تفخيمهما، أو تفخيم فتحة الثاني منهما أو إمالتها. فإقامتها يتحقق فقط من خلال إحضارها بكاملها، ما لم يكن هناك عذر يمنعه من ذلك. فإذا كان هناك عجز مبرر لا يمكن تحقيق الكمال في القيام بها، فإن الله الكريم لن يفرض عليه ما لا يستطيع تحقيقه.

فترك تشديدهما يفسد المعنى ولا يصح بغير علة لا يقدر على دفعها، وكذا فك إدغامهما لحن قبيح يفسد المعنى لا يجوز. أما كسرهما كسر صريح فهو كسر لا يجبر يفسد المعنى إجماعاً^{١٣} هاء لفظ الجلالة رخص بعضهم في إسكانها لمن عجز عن رفعها مع الإشمام، ولكن هذا خطأ واضح عند أهل الفهم؛ فإنه ليس في موضع وقف من القول، ولكن ورد الأثر بالاختلاف هل هو لمن لا يحسن النطق برفعها؟ فعلى هذا يصح فيه على وهن أن يجانس بها فتحة الهمزة من أكبر كما ترى في شواذ القراءات أن الدال تكسر من كلمة ﴿الحمد لله﴾، في فاتحة الكتاب لتجانس كسرة لامها في الخطاب

ومما يفسد المعنى أيضاً أن يزيد في الهاء حرفاً من لسانه، وهو مثل النقص في الإفادة، وهذا الأمر فاسد في جميع الحالات على رأي المحقق الخليلي.

ولا يمكن قبول لحن همزة أكبر بتغيير شكلها الإعرابي بضمها وكسرها، أو إسقاطها وهي حرف أصيل مما يؤدي إلى فساد المعنى في جميع الحالات. والكاف ساكنة إن حركت بالحركات الثلاث فسد معناها، ثم الباء إن خالفت حركتها بأن تضم أو تكسر فإن معناها يفسد لتغيير صيغتها، وإشباع مدة الفتحة يؤدي إلى فساد معناها في كل اعتبار^{١٤}

التقطيع بين حروف تكبيرة الإحرام: إن من الأخطاء في التكبيرة ما يحصل من قطع وانفصال قبل أن تكتمل، وهذا لا يجوز في الفرع ولا في الأصل. وإنما يظهر هذا الخطأ في النطق ممن يبالغ في الأناة ويتعدى حد الرفق. ورغم أن هذا مما يُنكر، إلا أنه قد يحدث عند بعض الحروف من اسم الجلالة، كأولى اللامين أو المدة منها أو بعد حرف الهاء. وقد يحدث أيضاً مع الكاف قبل الباء. وحكم هذا الخطأ إذا وقع سواء، فلا يجوز فيه قبل الراء. فإن تجاوز حد الرفق

^{١٣} الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام، ج ٣، ص ٤٨٥.

^{١٤} انظر: المرجع نفسه، ج ٣، ص ٤٩٣..

والأناة إلى أن يقطعه بأخذ نفس أو بسكون، فهذا يفسد عليه في جميع حالاته الأربع. وهذا هو الموافق للصواب. وإن كان ما بين حروفه في النطق من انفصال لا يبلغ به إلى أخذ نفس ولا سكون، وإنما هو تثاؤب في الكلام، فكأنه ليس بقطع ولا انفصال. وحكم هذا الخطأ هو الكراهة في حالاته الثلاث^{١٥}

وهكذا نخلص من تتبع أقوال وآراء المحقق الخليلي أثر اللحن في صفات ومخارج الحروف على فساد معنى السياق أو صحته.

ثانياً: أثر الوصل والفصل والوقف على السياق القرآني عند المحقق الخليلي

الوقف والابتداء هو فن عظيم يلعب دوراً كبيراً في تشكيل الإيقاع الموسيقي للآيات القرآنية. وهو من الأصوات التي لا تنتمي إلى الحروف الأبجدية، بل يسمى بالفصل. وهناك أحوال تستلزم الوقف على بعض الكلمات، وأحوال أخرى تجعله محظوراً عليها لأنه يؤثر في المعاني إما بالحسن أو بالقبح. ولهذا الفن دلالة وإيجاء صوتي مشابه لدلالة النبر. وقد اعتبره علماء القراءة والتجويد جزءاً من علم التجويد نظراً لما عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَرتل القرآن ترتيلاً﴾ [المزمل: ٤]، "الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف".

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام يولون هذا الموضوع اهتماماً خاصاً لأنه مرتبط بالمعنى المقصود من الكلام وضرورة أن يصل إلى المستمع بأفضل صورة وأجود أداء دون تشويش في فهمه أو تغير في معناه، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يُعَلِّم أصحابه كيفية الوقف.

ويرى المحقق الخليلي أن القرآن الكريم لا يشترط فيه وقف معين في كل موضع، بل يجوز للقارئ أن يوصل بين الآيات والصور إذا استطاع ذلك، حيث أشار إلى ذلك الخليلي في قوله: " لا بأس بوصل القرآن كله في نفس واحدة، إذا تيسر ذلك لتاليه، وإنما هناك أماكن يستحب فيها الوقف، وأخرى يجمل فيها الفصل دون وقف "، وُفرق الخليلي بين معنى الوقف والفصل وذكر في موضع آخر: " وإنما الأولى أن يوقف على الفواصل، وأن يوصل قبل انتهائها، إذا كان ذلك ممكناً، وإلا فالجواز في الوقف والوصل سواء "، فهذه الأقوال تدل على أن الوقف

^{١٥} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام، ج ٣، ص ٤٩٧.

والوصل جائزان وليسا واجبين، وأن القارئ لا يمكنه أن يقرأ سورة بأكملها دون أن يتوقف في بعض مواضعها خصوصاً السور الطويلة، فلذلك جعل الشرع له حكم الوقف في بعض الأحيان، وحكم الوصل في أخرى.^{١٦}

أولاً الوقف الواجب: اعتبر الخليلي القرآن سياق واحد متكامل موصول من أوله إلى آخره، وأرود رداً مفصلاً على من نفى القول الذي اتبعه وهو عدم وجوب الوقف في قراءة القرآن الكريم، وهو قول جمهور العلماء، ومن بيانه في ذلك: أن القرآن نزل بلغة العرب في التبيان فجرى في فصاحة كلامه ليفهموه على أنواع كلامهم، وفي لغتهم الحق والمجاز والتقية والإشارة والتلميح والإخفاء ويقول: ولأن في أسرار البلاغة من عجائب الإعجاز خاطبهم الله عز وجل بما حسن في لغتهم وصح. وبين المحقق الخليلي أن من أحكامه، المبنية على ظاهر المعنى والمحتاج للقرينة، وكلاهما صحيح لعدم التفاوت بينهما، واستشهد على ذلك بقوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾، فالمحقق يرى أن هذه الآية صريحة المعنى، والوقوف بين المعطوف والمعطوف عليه في هذا لا تغير في حكم المعنى الصحيح، لأن العطف ما هو في الحق إلا على الله الفاعل، والوقف هنا لا يدفع الوهم الباطل كون الملائكة وأولي العلم معطوف على المستثنى (هو) لا على فاعل شهد الذي هو الله فيتوهم أنهم يشاركون الله في الألوهية لا في الشهادة^{١٧}، فيرى المحقق أن الوصل في سياق ترتيب الآية هو المباح والجميل البديع، واستدل المحقق الخليلي على كلامه هذا بآية مماثلة لها وهي قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، ففي القراءة الشهيرة برفع الملك القدوس العزيز الحكيم لا يجوز تأويلها بأن الملك القدوس العزيز الحكيم هو بدل من الفاعل، لأن ذلك يؤدي إلى كلام عاطل وباطل، وإنما الفاعل في الآية الكريمة هو "ما في السماوات وما في الأرض"^{١٨}.

^{١٦} الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام، ج ١، ص ٢٠٤.

^{١٧} ابن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١،

١٤١٩ هـ/١٩٩٨ م)، ج ٥، ص ٩١.

^{١٨} انظر: الخليلي، المرجع نفسه، ج ١، ص ٢٠٥.

ثانياً: الوقف الاختياري: هذا النوع من الوقف يختلف فيه العلماء بين الإباحة والتحريم،

وذلك بحسب مدى تأثيره على المعنى، وينقسم إلى أربعة أقسام هي:

• الوقف التام هو الوقف على كلمة قرآنية مستقلة في لفظها ومعناها، ولا تتصل بما بعدها من حيث اللغة أو المعنى وتتصل من حيث اللغة يكون في قواعد الإعراب، وتتصل من حيث المعنى في مضمون الآية ودلالاتها. ومواضعه عند نهاية القصص أو عند التغيير في الموضوع أو الحكم المطروح. فالخليلي يجوز الوقف والوصل هنا بلا فرق، وهذا مطابق لرأي جمهور علماء القراءات والتجويد^{١٩}

وذكر المحقق الخليلي أمثلة على الفواصل القرآنية التي يمكن الوقوف عندها مثل قوله تعالى ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾ ثم يتوقف ويبدأ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وقوله تعالى ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ثم يتوقف ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ ويتوقف ﴿إِنْ شَأْنُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾، وقوله تعالى ﴿تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ ثم يبدأ ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، وأفاد بأن هذا جيد لمن أراد أن يكون ملزماً به، لأن الفصل والوصل فيه سواء والوصل في التلاوة هو الأصل ما دام المعنى واللفظ تامين في الآية، فيقول الخليلي في هذا الموضع: "ولا يرفض من أهل العقول والفهم أن يتبع من غير الفواصل ما كان مثل هذه الحالة ومثال ذلك قوله تعالى ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ فهذه الجملة كاملة في اللفظ والمعنى، فلا بأس بالوقوف على آخرها، لكنه يرى أن الفصل على الفواصل أحسن وأولى متى ما تمكن من ذلك، والوصل قبل انتهاء الآية أجدر وأحسن. فمن المستحب في الآية الواحدة الوصل وعدم الانقطاع، حتى يستمر المعنى ولا يتشتت وبذلك يكون فهم معنى الآية صحيحاً، وهذا كله إذا استطاع القارئ ذلك أما إذا لم يستطع فلا حرج.

وهناك أماكن اختار فيها العلماء الوقف، وأخرى فضلوا فيها الفصل دون التوقف عندها. فالأولى ما يخاف من تفسيره بخلاف معناه المقصود بإبعاده عن طريق الصواب، ففضلوا القطع بالتوقف لإصلاحه كمثال الفاصلة من قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨] لكيلا يظن أحد نفي المخادعة بتقدير التبعية، أي أن يتصور أن المؤمنين يخادعون الله وهذا مستحيل وباطل، ولذلك كان

^{١٩} الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ١، ص ٢٠٧.

التوقف أحسن مع هذه الفاصلة الجليلة. وعلى هذا اختاروا التوقف بعد البسملة المباركة في بدء تسع سور عظيمة هي سورة محمد، والقيامة، وعبس والمطففين والبلد، والبينة، والتكاثر، والهمزة وسورة أبي لهب، وليس في الاختيار دليل على أن ذلك المفروض.

ويجوز أن نضم في هذا القسم ما يشابههن في المعنى مثل الحاقة والقارعة وما بدأ بواو القسم وما اتبع من الآيات على هذا النحو، فإنه أولى به في الحكم، ولو كان في غير موضع الفواصل كالوقوف على ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨] والابتداء بالشرط والجزاء لكيلا يظن أن الشرط متعلق بالأمر، أو أن الجزاء جواب للأمر أيضا فيخرج عن المعنى. وكذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢] والابتداء بالاسم المشار إليه ليتضح أنه استئناف للجواب لكيلا يظن أنه نعت لما سبقه. ويكفي في هذه المواضع من الفصل ما يدل عليه، ولو لم يشعر به القارئ إلا أن الوقف أفضل الفواصل وأحسن.^{٢٠}

الوقف الكافي: وهو إيقاف القراءة في محل يكون كاملاً في نفسه ومرتباً بما يليه في المعنى دون أن يؤثر في اللفظ. قال أكثر العلماء إن هذا النوع من الوقف حسن كالوقف التام، ولكن التام أفضل منه، وقيل كافياً: لأنه يكفي عما بعده ولا يحتاج إليه لأنه لا يتصل به لفظاً. وقد ذكر المحقق الخليلي هذا النوع في قوله: الوقف لإتمام ما أريد من الكلام إلا أن ما يأتي بعده يرتبط به في الأحكام كالتوابع الأربعة: (النعت) و العطف والتوكيد والبدل والحال وأدوات الخفض وما يضاهيهن في المثل، يرى الخليلي أنه من الأولى والأفضل أن يتصل بها القارئ إذا استطاع ذلك، ولا يقف عندها، كما قال وليس بأحسن، خاصة إذا كثرت الفواصل مثل قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، فيرى أنه في الأولى والثانية وصل وليس فصل، وأن الوقف فيهما غير حسن لمن أمكنه الوصل. وكذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿٣﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾، يؤكد هنا على جر لام تنزيل عند الوصل. ففي هذه الفواصل وغيرها مما يتم بها اللفظ، ولكن مع تعلق المعنى بما بعدها يرى الخليلي أنه من الأولى أن يتصل بها حتى يتم المعنى. ويعلل الخليلي على استحسان الوصل بقوله: إنه مما ورد في لسان الخطباء والشعراء من فصحاء العرب ما بني على قواف عديدة يتصل بها قواف من التوابع أن يقفوا عند هذه القوافي ويبدؤوا بما بعدها

^{٢٠} الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ١، ص ٢٠٨.

ملحقين بها حكماً ما اتصل بها معنى من نعت أو عطف أو حال فتكون توابع للأول أو قوافي. وأقرب مثال على هذا قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ﴾ ﴿١﴾ ﴿قِيَمًا ۖ﴾

والثاني: ما اختلف فيه معنيان بين الوصل والفصل يستحقان، فتُجذب منه إلى كلا منهما الحجة، كقوله تعالى ﴿عِوَجًا ۖ﴾ ﴿١﴾ ﴿قِيَمًا ۖ﴾ فكي لا يظن في (قيما) أنه صفة لـ (عوجا) جميل الفصل، وكى لا يفصل بين الحال وموضوعها جميل الوصل، فكان حق هذا الموضع أن يفصل قدرًا بدون توقف احترامًا للجانبين وجمعًا بينهما، كما هو رأي حفص، أما سائر القراء فإنهم يصلونه كما ذكره الشاطبي في قوله: وسكتة حفص دون قطع لطيفة / على ألف التنوين في عوجاً بلا

وفي النون من راق ومرقدنا / بل ران والباقون بلا سكت موصلا وانتصر المحقق الخليلي لحفص، حيث اعتبر هذه السكتة اللطيفة في حكم الوصل، وبذا يكون حفص في مذهبه جمع بين المذهبين. وهكذا يفعل في ثلاث آيات أخرى: في سورة القيامة وسورة يس وسورة المطففين. والقراء الآخرون لا يسكتون على هذه الحروف، بل يوصلونها بالتلاوة^{٢١}.

الوقف الحسن: هو الوقف في قراءة القرآن على ما يكون كاملاً في نفسه ومتصلاً بما قبله وما بعده من حيث المعنى والأحكام، كالوقف في مواضع القسم والشرط والمبتدأ والخبر واسم إن واسم كان وظن والفعل والموصول والتمييز والحال، فهذا الوقف يجعل الكلام مفهوماً ولا يغير معناه، وقد قال الخليلي عن هذا الوقف: " لا يفسد المعنى ولا الأحكام "، فإذا أراد القارئ أن يستأنف القراءة بعد هذا الوقف، فعليه أن يبدأ من مكان يكون فيه المعنى سليماً، لئلا يحصل تبديل في معنى الآية أو خروج عن المراد بها في القرآن.

وقد اعتبر الخليلي أن هذا النوع من الوقف مكروه ويجب تجنبه إلا لضرورة، لأنه يغير المعنى ويفسد دلالة الآيات. وبعض العلماء فصلوا في هذا النوع وقالوا: إذا كان الوقف في أول آية يوهم معنى خلاف المقصود فلا يجوز الوقف عليه، كما في قوله تعالى: (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ) فلا يجوز الوقف هنا لأنه يعمم صفة الويل على المصلين، والمراد هنا ما بعده من الآية: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، فهذا وقف قبيح، كما قال ابن الجزري. وهذا مطابق لرأي الخليلي حين

^{٢١} الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ١، ص ٢٠١.

يقول: فلا بد من اجتنابه على أنه على الصحيح وقف مكروه قبيح. وبعض العلماء فرقوا في هذا النوع من الوقف حسب حالاته، فمثلاً المبتدأ والخبر قد يكون تاماً على معنى وكافياً على غيره، أو حسناً على آخر، كما في قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ فقد يكون تاماً.

إن الأولى في تفسير قوله تعالى: ﴿كَانَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ أَوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ هو أن يكون ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ مبتدأ وخبره ﴿أَوْلَئِكَ﴾، وأن يكون ﴿عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ حالاً من ﴿أَوْلَئِكَ﴾، وهذا هو القول الذي اختاره ابن الجزري والخليلي، والسبب في ذلك هو أن قراءة القرآن لا تحتاج إلى معرفة عميقة بأسرار اللغة وقواعدها، فهي عبادة يجب على كل مسلم أن يقرأ القرآن ويتدبر معانيه بقدر استطاعته، وليس كل قارئ للقرآن يفهم جميع المعاني اللغوية التي قد تخفى على الكثير من الناس، فالأفضل أن يكون التفسير واضحاً وسهلاً للجميع. وهذا لا يمنع أن يكون هناك تفسير آخر يقول إن ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ هو نعت لـ ﴿الْمُتَّقِينَ﴾، وأن ﴿أَوْلَئِكَ﴾ هو اسم إشارة لـ ﴿الْمُتَّقِينَ﴾، وأن ﴿عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ هو خبر ﴿أَوْلَئِكَ﴾، وهذا التفسير يحتاج إلى تقدير أعني بالَّذِينَ ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾، وهذا قد يصعب على بعض القراء فهمه^{٢٢}

الوقف المحجور أو القبيح هو الذي ينقطع فيه الكلام عن معناه الكامل والصحيح، ويترتب عليه معنى مخالف لما أراده الله في كتابه، وسمي قبيحاً لأن العلماء اتفقوا على قبح هذا الوقف، وأنه يضل السامع عن المراد من الآية. حكمه: أنه حرام الوقف عليه إذا كان تعمداً، ويستوجب الإثم، ولا بأس به إذا كان بسبب عذر طارئ، لكن يجب على القارئ أن يعيد القراءة من قبله بشكل متصل لفظاً ومعنى. وقد قال الخليلي في هذا الموضوع: "هذا هو الوقف المحرم على من فعله، فلا يجوز له أن يتساهل فيه أو يتهاون به، وهو أن يقطع الكلام عمداً بحيث يفسد معناه، فلا يحل له هذا الفعل لأنه حرام"، وأكد على تحريم التعمد في هذه المواطن، وأشار إلى أنه لا حرج فيما يصيب القارئ من حالات خارجة عن إرادته كالعطاس أو التثاؤب أو نحوهما، فلا يلام على ما لا يستطيع دفعه، وأورد قول الله تعالى ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ (١٣) وَمَا هُوَ بِأَهْزَلٍ ﴿﴾ دليلاً على جدية قراءة القرآن، وأنه لا يجوز فيه التلاعب والخطأ.

^{٢٢} انظر: العبري، سعيد بن خلفان وآراؤه في علوم القرآن، ص ١٠٠؛ انظر: الخليلي، تهديد قواعد الإيمان، ج ١، ص ٢١٣؛ انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، (بيروت: دار الفكر العلمية، ط ١، ٢٠١٨م)، ج ١، ص ١٧٧.

ومن ما يذكره الخليلي في هذا الموضوع أن جميع الاستثناءات تأتي بعد ذلك عند جميع العالمين، وبالأخص كما تشاهد في محليها من سورتي العصر والتين، ومن بعض المواضع التي يجب تجنب الوقوف عندها مثل الوقف في قوله تعالى ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ وقوله ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ﴾ وقوله ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ فإنه من المستحيل أن نقول إن الوقف في هذه المواضع لا يؤثر على المعنى، بل يؤدي إلى الشرك والعياذ بالله وخصوصاً مع قصد الوقف ؛ وبدون حاجة ماسة، ومنها أيضاً قوله تعالى ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ﴾ وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾ وقوله سبحانه قائلاً عليماً ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ فكل هذه بلا شك تسبب في تغيير معنى القرآن الكريم الذي نزل من عند رب العالمين.

ومن وقف في موضع لا يجوز له الوقوف فيه، سواء كان ذلك عمداً أو جهلاً، أو كان ذلك بغير قصد لأنه لم يعلم بحكمه، فإنه يجب عليه أن يستأنف قراءته ولا يبقى في ذلك الموضع، وأن يتوب إلى الله تعالى بصدق وإخلاص، فقال الخليلي: ومثل هذا من عمدته أو جهله، أو وقوف في موضع غير مشروع له، أو جاء به في موضع غير معتاد له لعدم نيته؛ فالحكم واحد في جميع هذه الحالات في استئنافه لتساويه في خروجه عن الشرع، ولا بد من التوبة الصادقة لمن عمد إلى ما لا يجوز له في حالته.

الابتداء: ومن بما أن قارئ القرآن يضطر أو يختار أن يوقف قراءته في بعض الأحيان، فإنه يجب عليه أن يعلم كيف يبدأ أو يستأنف القراءة بشكل صحيح، خاصة إذا كان موقفه على كلام لا يكتمل معناه، أو هو مرتبط بما يليه من حيث اللفظ والمعنى. من هذا المنطلق، نقسم حكم الابتداء إلى نوعين:

١. **الابتداء المحمود:** وهو الابتداء بقراءة القرآن بكلام متصل بما سبقه من حيث

المعنى واللفظ عند استئناف القراءة بعد التوقف، أو يكون كلاماً يتناسب مع معاني القرآن الكريم إذا كان هذا هو بداية قراءته، وهذا ما يحصل عادة عند التوقف الكامل والوافي، وحكمه أنه جائز إذا شاء القارئ ذلك.

٢. **الابتداء المذموم:** وهو الابتداء بكلام يغير المعنى المقصود في القرآن الكريم، وهو

كالتوقف في ذلك، وحكمه أنه لا يجوز الابتداء به؛ وقد يصبح حراماً إذا كان يشير إلى شرك أو كفر، ومثال على ذلك الابتداء بقوله تعالى أَيْ هَبْ وَتَبْ (أو

قوله وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ) أو قوله لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي) وقد يزداد قبح هذا الابتداء مثل قوله تعالى ﴿عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ﴾ أو ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ أو قوله ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ أو قوله ﴿إِنِّي إِلَهُ مِنْ دُونِهِ﴾ فإن هذا من الشرك والكفر حسبي الله. والمحقق الخليلي في هذا الموضوع موافق لما ذهب إليه العلماء أنه لا يجوز الابتداء بما يفسد المعنى، وينبغي للقارئ أن يرجع إلى الموضوع الذي يكمل المعنى المقصود^{٢٣}، كما في قوله: أن يرجع إلى ما انقطع عنه من الكلام حتى يصل إلى بدايته التي تحقق التمام، بما يتناسب مع صحة المعنى وقد أشار الخليلي إلى رأي العلماء بأنه واجب على قارئ القرآن أن يتعلم ويفهم أحكام الوقف والابتداء ليحصل على ثواب الله تعالى ورضوانه، وليصعد بالقرآن إلى أعلى درجات.

وأنه لا يوجد إجماع على تحريم الخلاف في هذه المسألة.

الثاني: أن الفصل والوصل يستويان، لأنه لا يوجد شيء يرجح أحدهما على الآخر من حيث المعنى. وهذا يحصل في نهاية الكلام، أو في معان مستقلة لا تتأثر بغيرها من الأحكام. مثل قوله تعالى: ﴿مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ﴾، أو ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، أو ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾. ولا شك عند أهل العقول والفطنة، أن هذه الحالة تشمل بعض الألفاظ غير الفواصل التي تشابهها.

الوقف الاضطراري: هو الوقف الذي يحدث للقارئ بسبب حالة طارئة تمنعه من مواصلة القراءة مثل العطاس، أو البكاء، أو النسيان، أو غيرها من الأسباب التي تعذره عن القراءة. هذا الوقف جائز لأن الله تعالى قال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾. ويجب على القارئ إذا أراد أن يستأنف القراءة أن يبدأ من موضع يصح فيه الابتداء دون أن يغير المعنى سواء كان ذلك بنفس الكلمة التي وقف عليها أو بما قبلها أو بما بعدها. وأفاد المحقق الخليلي في هذا الموضوع: ومن اضطر إلى ما به يعذر إلى وقف على شيء مما يكره الوقوف عليه أو يحجر، فيؤمر في هذا وجوباً وفي الأول مندوباً مع القدرة على

^{٢٣} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ١، ص ١٩٨.

أن يستأنف ما قطعه من الكلام حتى يأتي من أوله على التمام، بحيث ما له في صحة المعنى في الإحكام، ليخرج من قبح فصله إلى ما أمر به من وصله^{٢٤}

ووضح المحقق الخليلي أهمية استئناف القراءة بالجزء السابق عند الوقف الاضطراري، لتحقيق المعنى المراد ووصل السياق ببعضه، وإظهار أحكام القرآن، ولتكون الآيات متناسقة بينها كما أنزلت^{٢٥}، ولكي لا يقع القارئ في محظورات شرعية وهو يطلب الثواب بالقراءة، ويدعم المحقق الخليلي رأيه بقوله: "علينا أن ننظر بعين الصواب إلى ما يجب اعتباره، وأن نفكر بدقة في مراعاة أحكام المعاني عند الوقف والفصل خشية من السقوط فيما لا يجوز في الأصل، فمن المؤسف أن يحمل على ظهره حرجاً من حيث يتوقع أجزل الثواب. قد يعتبر بعض الناس أن هذا تحفظ زائد لكن في الحق فيما قاله بلا شك، لما ذلك من أثر في بتر المعاني وتحريف المفاهيم، ولا يجوز التساهل في معرفة قراءة القرآن الكريم الذي أمرنا الله تعالى بتلاوته، وشروط وقواعد تلاوة القرآن وضعها علماء القراءات حفظاً لكتاب الله من العبث، فعلينا أن نلتزم بما حدده علماء القراءات لنا وخصوصاً عند تلاوة القرآن الكريم^{٢٦}."

يقول المحقق الخليلي رابطاً الوقف بسلامة دلالة السياق أو فساده: وبلاستقراء يتبين أنه يوجد في القرآن أكثر من ستة عشر ألف موضع لا يجوز الوقوف عليها إلا لضرورة توجب أن يبدأ فيها الوقف بما قبلها مما يتم الكلام به، لكن تختلف الأحكام فيها في الوقف وما يبلغ به ذلك على العمد من تكريه أو تأثيم أو كفر بحسب ما يؤول إليه المعنى، وفي فاتحة الكتاب من هذا الباب من أخف الوجوه ما يصل إلى أربعة عشر موضعاً، ولكن ليس فيها ما يبلغ بصاحبه إلى كفر ولا تأثيم إلا إذا تعمد إفساد معاني القرآن والإخلال بنظمه وحقل عقود تراكيبه وتبديل أساليبه^{٢٧}.

^{٢٤} انظر: أبو عبد الرحمن جمال بن إبراهيم، البيان في زاد المقرئين أثناء تلاوة الكتاب المبين، (الرياض: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٠م)، ج ٢، ص ٤٤.

^{٢٥} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ١، ص ٢١٣.

^{٢٦} انظر: العبري، سعيد بن خلفان الخليلي وآراؤه في علوم القرآن، ٩٣.

^{٢٧} انظر: الخليلي، المرجع نفسه، ج ١، ص ١٩٩؛ وانظر: خالد بن عبد الله الخروصي، المراسلات الفقهية بين الشيخين خميس بن أبي نيهان الخروصي وسعيد بن خلفان الخليلي، (مسقط: ذاكرة عمان، ط ١، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م)، ص ١٢٥.

نتيجة المبحث:

عمد المحقق سعيد الخليلي لتحديد نوع الوقف بين الآيات القرآنية في استشهاده إلى مراعاة السياق اللغوي، والذي يتأثر بالألفاظ التي تسبقه وتليه.

كما أنه يُلاحظ ما إذا كان هناك رابط لفظي بين المفردات القرآنية أم لا.

وبالتالي، فإن هناك ثلاثة عوامل تؤثر في تحديد الوقف

١. المعنى المستقل لكل لفظ قرآني.
٢. الروابط اللفظية بين المفردات القرآنية.
٣. السياق اللغوي الذي تدخل فيه الألفاظ القرآنية، وحسب توافر بعضها أو جميعها يتم تحديد نوع الوقف، فإذا كان اللفظ القرآني له معنى كامل بذاته، ولا يحتاج إلى اللاحق من الألفاظ لإكمال معناه، وإذا كانت الألفاظ القرآنية اللاحقة تفتتح موضوعاً وسياقاً جديداً، دون أن يكون هناك رابط لفظي بينهما، فهذا هو التام. أما إذا كان السياق مستمراً بين الألفاظ القرآنية، دون رابط لفظي، فهذا هو الكافي. وإذا كان هناك رابط لفظي ومعنوي وسياقي بين الكلمات القرآنية، لكن العبارة الأولى تشكل معنى مفيداً بذاتها، فهذا هو الحسن. أم إذا كانت كل الألفاظ تحتاج إلى الأخرى لإكمال معناها، فالوقف بينهم قبيح. ولا يمكن إصدار حكم على أي وقف بأنه حسن أو قبيح أو تام، إلا بعد دراسة دلالية شاملة لمعاني المفردات القرآنية وسياقها التي هي فيه^{٢٨}.

وهكذا نخلص أن المحقق الخليلي حرص كل الحرص على عدم اللحن في اللفظ القرآني ومراعاة الوقف والابتداء والسكت في مواضعه حفاظاً على السياق القرآني من التلاعب

^{٢٨} انظر: بلجيلالي الهواري، "جهود علماء الوقف والابتداء حتى القرن الخامس الهجري في علم الدلالة"، الجزائر: جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، مجلة الشهاب، المجلد ٤، العدد ٣، (٢٠١٨م)، ص ٥٤.

واستنباط معاني من الآيات القرآنية توافق ما توهمت العقول من معاني منحرفة نتيجة الخطأ في القراءة والوقوف في المواضع المحجورة القبيحة. فيختل المعنى وينبتر السياق القرآني.

المبحث الثاني: القراءات عند المحقق الخليلي وعلاقتها بالسياق في استدلالاته

في هذا المبحث سوف نفصل قول المحقق الخليلي في الأحرف السبعة التي نزلت على رسول ﷺ ونقتصر فقط على بيان أثر استدلالاته بالقراءات الشاذة على السياق القرآني دون المتواترة.

المطلب الأول: الأحرف السبعة وصلتها بالقراءات:

قبل الحديث عن القراءات وأثرها على السياق عند المحقق الخليلي لا بد من العروج على بيان الأحرف السبعة حيث اعتبرها المحقق الخليلي من ضمن القراءات القرآنية. وهي من المسائل العلمية التي أشغلت العلماء وأثارت اختلافهم هي مسألة الأحرف السبعة التي أنزل الله بها القرآن. وقد تنوعت الأقوال في تفسير هذه المسألة، وبلغ عددها نحو أربعين قولاً. وقد استغل بعض المخالفين هذه المسألة ليطعنوا في القرآن ويشككوا فيه. فكان من واجب العلماء أن يردوا على شبهاتهم ويوضحوا الحقيقة ولم يكن لهذه المسألة دليل نصي قاطع، فاستند العلماء إلى اجتهاداتهم واستدلالاتهم لتبيان المراد من الأحرف السبعة، وإغلاق الباب أمام المشككين^{٢٩}. ويرى المحقق الخليلي أن معنى أن القرآن نزل على سبعة أحرف، أي سبعة طرق للقراءة، وليس بالضرورة أن تكون كلمة واحدة تجمع بينها. فالقرآن جاء بلغات قریش وقيم وغيرهما، وهذه اللغات تختلف في القراءة في القرآن كله، ولو لم توجد كلمة تضم جميع اللغات فيها. وهذا هو المعنى الأقرب لسياق الحديث الذي جاء بعد خلاف بين بعض الصحابة في القراءة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسر منه. وقيل:

^{٢٩} انظر: سعيد بن راشد الصواني، علوم القرآن عند الإمام ابن بركة من خلال كتاب الجامع، (بركاء: مكتبة خزائن الآثار، ط ١، ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م)، ص ٣١.

إن السبعة أحرف تدل على سبعة أقسام من الموضوعات في القرآن، مثل الأمر والنهي والوعد والوعيد والناسخ، والمنسوخ، والقصص، والأمثال. وهذا هو المعنى الأبعد عن الحديث^{٣٠}.

ولا يختلف العلماء في أن القراءات السبع التي تعود إلى الصحابة ليست هي نفسها الأحرف السبعة التي أشار إليها رسول الله في بعض الأحاديث، وقد اتفق جماهير العلماء على أن القراءات السبع أو العشر المتواترة التي نقرأ بها القرآن الكريم في هذا الزمان هي ضمن مجموعة الأحرف السبعة التي أنزل بها القرآن، وهذه القراءات المتواترة مطابقة لما كتب في المصاحف العثمانية التي أجمع عليها الصحابة وأرسلها عثمان بن عفان إلى المدائن^{٣١}. ومن بين آراء العلماء في معنى الأحرف السبعة أنها تدل على اختلافات في اللفظ والإعراب والتلاوة^{٣٢} وبالتالي فإن القول بأن القراءات المتواترة سبع فقط وأنها هي نفسها الأحرف السبعة هو قول باطل، لأن تاريخ نشوء هذه القراءات وانتشارها يدل على أنها لم تكن موجودة في عهد الصحابة وإنما كانت بعد ذلك بفترة^{٣٣}.

الحكمة من تنزيل القرآن بسبعة أحرف مختلفة: إذا نظرنا إلى الأحاديث السابقة وغيرها وجدنا أن جميعها تشير إلى مبدأ التسهيل والتبسيط والترخيص للأمة الإسلامية، وعدم إبعاد الناس عن هذا الدين الجديد في بدايته، ولهذا قرأنا عبارات مثل: [فكان يزيدني وأزيدة] وقوله: « فرجعت إليه فأخفف على أمتي، وذلك في الحرف، وفي الحرفين، ومبدأ التبسيط جاء لضعف الناس وعجزهم عن حفظ الحرف الواحد، حتى إلى ستة أحرف^{٣٤} »

وقد ذكر ابن الجوزي أن سبب نزول القرآن على سبعة أحرف هو ليسهل على هذه الأمة حفظه وتلاوته، وليكون فيها تيسير ورحمة وشرف وفضيلة، ويستجاب لطلب نبيها ﷺ، وكانت العرب التي أنزل القرآن بلسانها، متفاوتة في لغاتها وألسنتها، وكان من الصعب على

^{٣٠} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ٣، ص ١١.

^{٣١} انظر: نوح مصطفى الفقير، إضاءات في التفريق بين الأحرف السبعة والسبع القراءات، (الأردن: دار المأمون، ط ٢، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ص ٣٣.

^{٣٢} انظر: مناع القطان، نزول القرآن على سبعة أحرف، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط ١، ١٩٩١م)، ص ٤٩.

^{٣٣} انظر: العبري، سعيد بن خلفان الخليلي وآراؤه في علوم القرآن، ص ١١٧.

^{٣٤} انظر: محمد إبراهيم محمد مصطفى، حديث نزول القرآن على سبعة أحرف، (القاهرة: دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠١٢م)، ص ١٧.

بعضهم أن يغير لغته أو حرفه، حتى لو تعلم أو تداوى، خصوصاً الشيخ والمرأة، ومن لم يدرس كتاباً، فلو أجبروا على ترك لغاتهم، والانتقال إلى أخرى، لكان هذا تكليفاً بما لا يطاق.^{٣٥}

وتؤيد الباحثة أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات أو لهجات عربية، فنزل القرآن ببعض الكلمات والحروف التي تختلف عن لغة قريش، وهذا يسهل على العرب قراءة القرآن وفهمه، فنزل القرآن بألفاظ وتشكيلات مختلفة، وهذا يعطي القرآن مزيداً من الجمال والبيان والتنوع.

المطلب الثاني: التعريف بالقراءة الشاذة وحكمها

يتناول هذا المطلب بيان مدى تأثير دلالة السياق القرآني بالقراءة الشاذة ومدى توافقها مع القراءة المتواترة أو معارضتها، والقراءة الشاذة لا تعد من القرآن، ولا يجوز نسبتها إليه، وإنما تنقل كدليل أو مرجح في بعض المسائل الفقهية والتفسيرية. وهذه القراءات لا يجوز قراءتها في الصلاة أو غيرها، ولكن يجوز سندها وتعلمها وتعليمها والاحتجاج بها إذا كانت موافقة لمعنى القراءة المتواترة، أو يمكن الجمع بينهما. أما إذا كانت مخالفة لمعنى القراءة المتواترة، ولم يمكن الجمع بينهما، فهي مردودة ولا تصلح للحجة أو الترجيح، ويمكن ردها بالاستناد إلى السياق القرآني.^{٣٦} كما يتطرق هذا المبحث للأحرف السبعة وصلتها بالقراءات وتعرض لها المحقق الخليلي في تمهيده.

١. معنى القراءة الشاذة:

الشاذ لغة: يعني المفارقة والانفراد ويقال: الشين والذال، يدلان على المفارقة والانفراد، وشذَّ يشذ شذاً وشذوذاً: إذا انفرد به عن الجمهور، وشذاذ الناس: الذين يكونون في قوم ليسوا من قبائلهم ولا منازلهم.^{٣٧}

^{٣٥} انظر: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، فنون الأفيان في عيون علوم القرآن، تحقيق: محمد حسن محمد حسن، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠١م)، ص ١٧.

^{٣٦} انظر: عائشة بنت عبد الله الطوالة، أثر السياق القرآني في القراءات القرآنية، (طنطا: مجلة الشريعة والقانون، العدد الخامس والثلاثون، المجلد ٢، ٢٠٢٠م)، ص ٢٦٤.

^{٣٧} أحمد بن فارس الرازي، معجم مقاييس اللغة، (بيروت: دار الفكر، ط ١، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م)، ج ٣، ص ١٨٠.

وفي الاصطلاح: هو ما خالف المشهور أو خالف الراجح، أي لم يصدر عن جماعة، وهو الذي لم يكثر قائله^{٣٨}

والقراءة الشاذة هي مصطلح يستخدم في علم القراءات للدلالة على القراءات التي لا تستوفي شروط القراءة الصحيحة أو المتواترة. وهذه الشروط هي

١. موافقة القراءة للغة العربية وأصولها، ولو بوجه من وجوهها

٢. موافقة القراءة لرسم المصاحف العثمانية، أو أحدها على الأقل

٣. صحة سند القراءة، وتواتر نقلها عن رسول الله ﷺ

إذن، القراءة الشاذة هي التي تفقد أحد هذه الأركان أو أكثر منها. وقد اختلف العلماء في تعريفها وتصنيفها وحكمها^{٣٩}

الاحتجاج بالقراءة الشاذة

الفقهاء والأصوليون رحمهم الله تعالى اختلفوا في مسألة الاستدلال بالقراءة الشاذة على الأحكام الشرعية على رأيين:

الرأي الأول: أنه لا يجوز الاستناد إلى القراءة الشاذة في الأحكام. وهذا هو المذهب المالكي ظاهراً، وقول بعض أتباع الشافعي، وابن حزم من الظاهرية. ودليلهم على ذلك أن من روى هذه القراءة كان مفرداً، فإن قال إنها من القرآن فقد أخطأ بلا شك وإن لم يقل إنها من القرآن، فقد احتتمل أن يكون نقلاً عن النبي ﷺ أو أن يكون رأياً له، فلا تكون دليلاً. قال ابن

^{٣٨} عبد الله بن محمد معصر، تقريب معجم مصطلحات الفقه المالكي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٧م)، ص ٧٧.

^{٣٩} انظر: خالد بن علي أبا الخليل وآخرون، موسوعة المصطلحات الإسلامية، (الرياض: مؤسسة رواد الترجمة، ط ٣، ١٤٤١هـ)، ج ١، ص ٥٧.

العربي المالكي^{٤٠}: لا يثبت حكم بالقراءة الشاذة، ولا تدخل في باب القياس، فكيف بخبر الآحاد؛ فإذا سقط أصلها، فأولى أن يسقط حكمها^{٤١}.

وقال الإمام النووي الشافعي: مذهبن أن القراءة الشاذة لا يحتج بها، ولا يكون لها حكم الخبر عن رسول الله ﷺ، لأن ناقلها لم ينقلها إلا على أنها قرآن، والقرآن لا يثبت إلا بالتواتر بالإجماع، وإذا لم يثبت قرآنًا لم يثبت خبرًا

القول الثاني: أن القراءة الشاذة حجة في الأحكام تنزيلاً لها بمنزلة خبر الآحاد. وهو مذهب الجمهور: أبي حنيفة وقول للإمام مالك، والشافعي في رواية - وهي الأصح -، والإمام أحمد وهو القول الراجح^{٤٢}.

قال ابن النجار: وما صح مما لم يتواتر حجة عند أحمد، وأبي حنيفة، والشافعي. وقد استدلو بأن المنقول بطريق الآحاد؛ إما أن يكون قرآنًا، أو خبرًا، وكلاهما موجب للعمل؛ لأنه لا يخرج عن كونه مسموعاً من النبي ﷺ ومروياً عنه، فيكون حجة كيفما كان. قال ابن عبد البر: وفيه جواز الاحتجاج بالقراءات بما ليس في مصحف عثمان مالم يكن في مصحف عثمان ما يدفعها وهو جائز عند جمهور العلماء وهو عندهم يجري مجرى الخبر الواحد في الاحتجاج للعمل بما يقتضيه معناه^{٤٣}

وقد قال الإمام السالمي في كتابه طلعة الشمس^{٤٤}: «ما خالف السبعة فهو شاذ». والسبعة هم نافع، وأبو عمرو، والكسائي وابن كثير، وابن عامر، وعاصم، وحمزة. أما الإباضية فيرون أن القراءات العشر صحيحة وجائزة لأنها متوافقة مع المصحف الإمام المشهور بالمصحف

^{٤٠} انظر: مصطفى إبراهيم المشني، ابن عربي المالكي الإشبيلي وتفسيره أحكام القرآن، (الأردن: دار عمار، ط ١، ١٩٩٠م)،

^{٤١} انظر: مصطفى بو عقل، إجماعات الأصوليين جمع ودراسة، (بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر، ط ١، ٢٠١٠م)، ص ٨٢.

^{٤٢} انظر: فواز إسماعيل محمد المشهداني، حجية القراءات وأثرها في الفقه، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠١٤م)، ص ٢٠١.

^{٤٣} انظر: عبد الله بن حماد القرشي، القراءات الشاذة وأثرها في التفسير، (مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد السابع، ١٤٣٠هـ)، ص ٣٢.

^{٤٤} نور الدين السالمي، طلعة الشمس شرح شمس الأصول، (الإسكندرية: دار الكتاب المصري، ط ١، ٢٠١٠م)، ص ٤٩.

العثماني والثلاثة الباقون من العشرة هم أبو جعفر، ويعقوب وخلف. ويضعون الشاذ من القراءات في مكانة خبر الآحاد؛ لأنه نقل عن النبي مثله وخبر الآحاد يستوجب عليهم العمل، دون أن يشترط فيه التواتر، فهكذا هو حال الشاذ من القراءات أيضاً^{٤٥}

والاحتجاج بالقراءة الشاذة في التفسير جاء مستنداً إلى رأي جمهور علماء التفسير منذ عصر الصحابة والتابعين وما بعدهم، وكان من أشهر المتبعين لهذا التفسير كبار المفسرين مثل: الطبري، وابن عطية، وأبو حيان، وابن جزي الكلبي، وغيرهم. فقد عمد علماء التفسير على استخدام ما ليس في مصحف عثمان كتفسير للقرآن وهم يفعلون ذلك مع المجلد في القرآن والمستغلق في مصحف عثمان، وهذا لا يعني أنهم يجزمون بأن هذا من كتاب الله، بل حالها كحال أحاديث الآحاد الواردة بنقل العدول، وموجز القول أن القراءة الشاذة إذا لم تكن تفسيراً للقرآن بالقرآن، لأنه لا يمكن الجزم بأنها قرآنية فيما أن تكون تفسيراً للقرآن بالسنة إذا نسبها الصحابي إلى الرسول ﷺ، أو أن تكون تفسيراً للقرآن بأقوال الصحابة أو التابعين.^{٤٦}

المطلب الثاني: فوائد القراءة الشاذة:

أولاً: من مزايا القراءة الشاذة أنها توضح القراءة المتواترة وتبين معناها، وتستخدم لفهم مقصد الله تعالى. قال أبو عبيد في فضائل القرآن^{٤٧}: إن الغرض من القراءة الشاذة هو تفسير القراءة المعروفة وإيضاح معانيها، ومن ذلك مثل قراءة عائشة وحفصة: ﴿حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى صلاة العصر﴾ [البقرة: ٥٣٨]، ومثل قراءة ابن مسعود: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيماهما﴾ [المائدة: ٣٨]، وكذلك قرأ ابن عباس: ﴿لا جناح عليكم أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج﴾ [البقرة: ١٩٨]، فهذه الألفاظ وأشباهاها قد أصبحت مفسرة للقرآن، وكان ينقل هذا النوع من التابعين في التفسير فيحسن ذلك، فما بالك إذا نقل عن

^{٤٥} لجنة البحث العلمي بجمعية التراث، معجم مصطلحات الإباضية، (الجزائر: دار الوعي، ط ٢، ٢٠١٢م)، ص ٥٣٥.

^{٤٦} انظر: القرشي، المرجع نفسه، ص ٣٣.

^{٤٧} أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، فضائل القرآن، تحقيق: وهي سليمان غاوجي، (بيروت: دار صادر، ط ١، ٢٠٠٥م)، ص ١٨٥.

كبار الصحابة، ثمَّ كان في نفس القراءة، فهو يكون أفضل من التفسير وأشد؛ فأقل ما يستخرج من هذه الألفاظ معرفة صحة التأويل^{٤٨}

ثانياً: توضيح بعض المعاني الدقيقة في القرآن، وإبراز بعض الجوانب البلاغية والفقهية والتفسيرية

ثالثاً: تثبيت حفظ القرآن وتنويع طرق التلاوة، وزيادة التدبر والتأمل في كلام الله
رابعاً: تحصيل بعض الفضائل والثواب من قراءة القرآن بأكثر من طريقة ما دامت القراءة مأخوذة عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أو صحابته الكرام
خامساً: تعلم بعض أحكام التجويد والإملاء والإعراب وفهم بعض خصائص اللغة العربية وأساليبها^{٤٩}.

سادساً: تحقيق بعض المقاصد الشرعية، مثل التسهيل على المسلمين في حفظ وتلاوة القرآن، والتناسب مع مختلف الأزمان والأمكنة والأشخاص^{٥٠}.

المطلب الثالث: تطبيقات المحقق الخليلي في الحكم على القراءات الشاذة بالسياق

١. استبعد المحقق الخليلي قراءة أبو عبيد بنصب فعدة^{٥١}، ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ واعتمد الضم مستشهداً بالآية الكريمة قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾. مستنداً بالسياق اللغوي للآية،

^{٤٨} انظر: صالحه يعقوب محمد أمنان، القراءات الشاذة وموقفها عند المسلمين دراسة قرآنية تحليلية، (مجلة اللغة العربية للأبحاث التخصصية، المجلد ١، العدد ٤، ٢٠١٥م)، ص ٩٥.

^{٤٩} انظر: الطاهر بن محمد الجزائري، الميسر المفيد في فن التلاوة والتجويد من قراءة نافع المدني، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠١٩م)، ص ٣٠.

^{٥٠} انظر: محمود توفيق سعد، دلالة الألفاظ على المعاني عند الأصوليين دراسة منهجية تحليلية، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط ١، ٢٠٠٩م)، ص ١٢٨.

^{٥١} انظر: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تفسير القرآن العظيم للطبراني، تحقيق: هشام بن عبد الكريم البدراني، (الأردن: دار الكتاب الثقافي، ط ٢، د.ت)، ج ٢، ص ٩٠.

لأن من خواص الفاء العاطفة أنها قد تعطف على محذوف معها، فتقديره فأفطر، كما في تقدير الآية الثانية فخلق^{٥٢}.

٢. استدل المحقق الخليلي بقراءة الجر في الرحمن (وهي قراءة شاذة للقارئ جناح بن حبيش عن بعضهم)^{٥٣} في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، حيث قال أن القراءة برفع الرحمن في أشهر القراءات دليلاً على أنها في الأحكام من مستأنف الكلام، وفي القراءة بالجر كذلك؛ لأنها صفة لمن خلق أو عطف بيان أو بدل منه، ولا لبس هنالك في هذا^{٥٤}.

وقد اختلف العلماء في حكم هذه القراءة، فمنهم من رفضها واعتبرها خلافاً للإجماع والرواية، ومنهم من قبلها وبررها بأنها تعبر عن جلالة الله وعظمة ملكه^{٥٥} ومن الممكن أن يكون لهذه القراءة أثر دلالي على معنى الآية، فإذا قرأ الرحمن بالخفض فإنه يدل على أنه بدل أو صفة من الذي خلق، فيكون المعنى: تنزيلاً من خالق الأرض والسموات الرحمن^{٥٦}، وهذا يزيد في التأكيد والتوقير، وإذا رفعت الرحمن فإنه يجوز أن يكون خبر لمبتدأ محذوف أي هو الرحمن، وهذا يزيد في التفصيل والبيان وبهذا التفسير يكون جمع بين معاني الملك والرحمة.

^{٥٢} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ٢، ص ٢٤٨، أبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي، (بيروت: دار الفكر: د.ط، ٢٠١٩م)، ص ٩٠.

^{٥٣} أبي عبد الله الحسين بن خالويه، مُجدول في القراءات الشاذة، (الأردن: دار الخليج للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٢٢م)، ص ٢٤٦.

^{٥٤} الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ١، ص ١٩٥.

^{٥٥} انظر: أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠١٠م)، ص ٤٠١.

^{٥٦} انظر: أبي إسحاق إبراهيم بن محمد السري، معاني القرآن وإعرابه المسمى المختصر في إعراب القرآن ومعانيه، تحقيق: أحمد فتحي عبد الرحمن، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٧م)، ص ١٧٣.

٣. استشهد المحقق الخليلي على معنى الإنطاء بالقراءة الشاذة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا

أُنطِينَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ بالنون بعد الهمزة بدلاً من عين مهملة على أنها لغة فصيحة

في الإعطاء وردت شاذة في قراءة ضعيفة^{٥٧}

ومن ناحية تأثير هذه القراءة على السياق، فإنها لا تؤثر على المعنى، كما ذكر ابن الرفعة

وغيره^{٥٨}. وتسمى الاستنطاء وهو إبدال العين الساكنة إلى نون إذا تجاوزت مع الطاء وهي لغة

اليمن، والأزد والانصار، وسعد بن بكر، وقيس، وهذيل^{٥٩}

ويرى البحث أن أثر القلب أو الإبدال في الحرف على السياق هو أنه يغير شكل

الكلمة وقد يغير معناها أو يضيف لها دلالة أوسع، فكلمة أعطيناك ابدالها إلى أنطيناك، حيث

أبدل حرف العين بحرف طاء، جعل الكلمة تصبح أكثر قوة وتأکیداً في المعنى، فأنطيناك تدل

على أن المتكلم قد أعطى المخاطب شيئاً بعزم وحزم، وليس بتردد أو تساهل وهذا ما يسمى

بالإبدال الصوتي الذي يؤثر في المعنى.

٤. ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هُرُوتَ وَمُرُوتَ﴾ [

البقرة: ١٠٢]، جمع الشيخ ناصر بن أبي نبهان في تفسير آية هاروت وماروت

بين القراءة الشاذة في ملكين بكسر اللام، والقراءة المشهورة بفتحها وأيده في

ذلك المحقق الخليلي حيث أفاد الآتي: وردت القراءتان في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلَ

عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هُرُوتَ وَمَارُوتَ﴾ بكسر اللام أو بفتحها، والمعنى أنهما إما

من ملوك الإنس أو من الملائكة. وهذا التأويل غير صحيح، لأنه يفضي إلى شك

في معنى الآية، وإذا كان كذلك لم يجز الصلاة بها، خشية أن تكون مخالفة للحق.

^{٥٧} انظر: سعيد بن خلفان الخليلي، لطايف الحكم في صدقات النعم، تحقيق: سلطان خميس الناعبي، (مسقط: مكتبة

الجيل الواعد، ط ١، ٢٠٠٣م)، ص ٩٠. وانظر: أبو القاسم النويري، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، (مصر:

مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، ط ١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م)، ج ١، ص ٨٣.

^{٥٨} انظر: أبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد ابن حجر المكي، فتح الجواد بشرح الإرشاد، تحقيق: عبد اللطيف

حسن، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠١١م)، ج ١، ص ١٨٦.

^{٥٩} انظر: نسرین عبد الله عطوات، أثر اللهجات العربية في توجيه المعنى النحوي، (بيروت: دار الكتب، ط ١،

٢٠١٨م)، ص ٥٠. وانظر: إبراهيم محمد أبو سكين، دراسات لغوية في أمهات كتب اللغة، (مصر: الأزهر الشريف،

د.ط، د.ت)، ص ٩٤.

وهذا محال، لأن القرآن محفوظ من التحريف والاختلاف كما قال تعالى: (لَوْ جَدُّوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَلَمْ نَسْمَعْ بِأَحَدٍ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ حَرَمَ الصَّلَاةَ بَآيَةً مِنَ الْقُرْآنِ لَشَكَّ فِي مَعْنَاهَا. فَالْصَّوَابُ أَنَّهُمَا مَلَكَانِ فِي النِّسْبِ بِكَسْرِ اللَّامِ يَعْنِي أَنَّهُمَا مِنْ سَادَاتِ بَابِلَ، وَأَنَّهُمَا مَلَكَانِ الصِّفَةِ بَفَتْحِ اللَّامِ، يَعْنِي أَنَّهُمَا مُتَصِفَانِ بِصِفَاتِ الْمَلَائِكَةِ لَمَا كَانَ لهُمَا مِنَ الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ وَالْأَفْعَالِ الْعَجِيبَةِ، كَانَ تَسْمِيَتُهُمَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ خَبَرًا مِنَ اللَّهِ عَنْ مَدْحِهِمْ وَتَقْدِيرِهِمْ، وَعَنْ تَوْلِيهِمُ الرُّوحَانِيَّةَ وَالْعُلُومَ الْغَامِضَةَ، وَكَانَ تَعْلِيمُهُمَا النَّاسَ السَّحَرِ ابْتِلَاءً مِنَ اللَّهِ لِأَهْلِ بَابِلَ، لِيَخْتَارُوا بَيْنَ طَاعَتِهِ أَوْ مَعْصِيَتِهِ. وَبِهَذَا التَّأْوِيلِ يَصِحُّ أَنْ يَقْرَأَ الْقَارِئُ بِأَيِّ قِرَاءَةٍ شَاءَ، فَإِنَّهُ سَيَكُونُ مُوَافِقًا لِلْحَقِّ.

والدليل على أنهما من البشر هو قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فلو كانا من الملائكة لقال: وما أنزل به الملكان. وقال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾ [الأنعام: ٩]، وفي سورة فصلت: ﴿لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمَشُّونَ مَطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٥]، فحرف «لو» يدل على أن المسألة محالة، وإلا لم يكن هذا الحرف^{٦٠}.

أشار المحقق الخليلي في تمهيده^{٦١} إلى القراءة الشاذة بكسر لام ملكين وهي قراءة الحسن بن علي وابن عباس رضي الله عنهما^{٦٢}، وأيد المحقق الخليلي كلام شيخه ناصر بن أبي نبهان. لكن في قوله أنه إذا كان في الآية وجهان، مختلفان فلا يصح الصلاة بها، لأنه يدخل الشك في معناها. هذا ليس لازماً. فمثلاً، لو قلنا أن هاروت وماروت ملكان من الملائكة، أو ملكان من البشر، وكانوا يعملون عمل الملائكة، فهذا مدح لهم وثناء عليهم. ولا يخالف ذلك المعنى، ولا يجعله مبهماً أو مشكوكاً. فلا يضر بصحة الآية أو الصلاة بها.

٥. أشار المحقق الخليلي إلى القراءة الشاذة في ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ بضم لام الجر التي تدخل على اسم الجلالة الشريف، وذكر مبرراً لغويّاً لها حيث أنها تتجانس مع رفعة الدال

^{٦٠} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ١، ص ٣٠٦.

^{٦١} الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ١، ص ٣٠٥.

^{٦٢} انظر: ابن خالويه، مجدول في القراءات الشاذة، ص ٥١.

التي تسبقها، أي من باب التوافق والتناسب في اللغة. ولكن هذا التأويل يحتاج إلى قوة في الإثبات، لأنه يخالف المشهور من القراءات القرآنية^{٦٣}. وهذه القراءة هي لإبراهيم بن أبي عبله وهي موافقة للغة بني ربيعة^{٦٤}، وإذا تتبعنا أثر هذه القراءة على سياق الآية في المعنى فإن الدلالة اللفظية للرفع تعطي معنى الثبوت والاستقرار، لأنها من باب المصادر التي أصلها النيابة عن أفعالها^{٦٥}. ويرى البحث أن معنى هذه القراءة يتوافق مع معنى القراءة المشهورة في أن الحمد لله تعالى لا يزول ولا يتغير، فهو محمود في جميع أحواله وأفعاله، وليس كالخلق الذين يحمدون على حسب أحوالهم وأفعالهم، فإن كانوا محسنين حمدوا، وإن كانوا مسيئين ذُثموا. فحمد الله تعالى لا يتأثر بأحوال الحامدين، بل هو مستحق للثناء دائماً وأبداً، لذا وإن كانت هذه القراءة ليست قرآناً قطعاً ولا تصح بها الصلاة إلا أنها يستشهد بها في تأكيد المعنى والدلالة اللفظية.

من خلال تطبيقات المحقق الخليلي آفة الذكر يتبين لنا مدى إعمال المحقق الخليلي للقراءات الشاذة في استدلالاته لأجل الوصول إلى دلالة السياق القرآني، فقد اتخذها كأداة تعيين على فهم النص القرآني.

المبحث الثالث: الناسخ والمنسوخ عند المحقق الخليلي وعلاقته بالسياق القرآني في استدلالاته

استدل المحقق الخليلي في كتابه التمهيد بكثير من الآيات القرآنية على أنواع الناسخ والمنسوخ في القرآن واستشهد بالسياق القرآني على ترجيح آرائه في كثير منها. نتطرق في هذا المبحث لبعض من تطبيقاته بعد التعرف على علم الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم.

^{٦٣} انظر: الخليلي، المرجع نفسه، ج ١، ص ٢٠٨.

^{٦٤} انظر: محمد عبد الكريم رافع، التوجيهات النحوية واللغوية في قرائتي عاصم وحمة، (بيروت: دار الباروزي العلمية للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٢٠م)، ص ١٢٨؛ وانظر: محمد بن محمد أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠١٠م)، ص ٥٣.

^{٦٥} انظر: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي النعماني، الباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م)، ج ١، ص ١٧٢.

المطلب الأول: معنى النسخ في القرآن لغة واصطلاحاً

اهتم كثير من المؤلفين في علوم القرآن بشرح معاني النسخ لغوياً قبل أن يتطرقوا إلى جزئيات موضوع النسخ في القرآن. فمثلاً، ذكر المحقق الخليلي هذه المعاني في معرض جوابه على سؤال حول قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦]

فقد بدأ الجواب على السائل بتوضيح ما يعنيه النسخ في اللغة، لأنه يدرك أهمية هذا الموضوع في القرآن الكريم. وفيما يلي مفاد ما أورده:

للسخ في اللغة معان متعددة منها:

١. النقل والتحويل، كما في قولنا: نسخ الكتاب، أي حوله من كتاب إلى آخر. وفي هذا المعنى، يسمى الكتاب الأصلي منسوخاً، والكتاب المنقول عنه مستنسخاً. وكل شيء خلف شيء فقد استنسخه. وعلى هذا الوجه يعتبر كل القرآن منسوخاً لأنه نُسخ من اللوح المحفوظ

٢. الإزالة والغيرة والإبطال والإقامة، أي إزالة شيء وإثبات غيره مكانه. وفي هذا المعنى، يسمى الشيء المزال منسوخاً، والشيء المثبت مكانه ناسخاً. وقيل: هو رفع أمر كان يعمل به من قبل، ثم يُنسخُ بحادث غيره. ومن هذا المعنى استنسخت الشمس الظل والشيب الشباب وتناسخ الورثة، وتناسخ الأزمنة والقرون^{٦٦}. فعلى هذا الوجه يكون بعض القرآن ناسخاً وبعضه منسوخاً.

والنسخ في المصطلح شرعي يعني: رفع حكم شرعي بحكم شرعي آخر. وقد اتفق الأصوليون على هذا التعريف، وقالوا: "النسخ هو رفع حكم شرعي بعد ثبوته بحكم شرعي آخر. ولهذا التعريف ثلاثة قيود:

^{٦٦} انظر: محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبه، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، (بيروت: دار الفكر العربي، د. ط، ٢٠٠٦م)، ص ٤٦٠.

• **القيد الأول:** أن يكون الحكم المنسوخ مباحاً في الأصل، ثم يطرأ عليه حكم شرعي يجب أو يحرم أو يكره أو يستحب. فإذا كان الحكم المنسوخ مجبوراً أو محظوراً في الأصل، فلا يسمى نسخاً، بل تغييراً أو تبديلاً يسمى، بل تغييراً أو تبديلاً.

• **القيد الثاني:** أن يكون الحكم المنسوخ قد ثبت واستقر، ثم يرفع بحكم متأخر. فإذا كان الحكم المنسوخ مشروطاً أو مقيداً بشروط أو قيود، فلا نسخاً، بل تخصيصاً أو تقييداً.

• **القيد الثالث:** أن يكون رفع الحكم المنسوخ بسبب حكم شرعي جديد، وليس بسبب عارض من عوارض الأحوال كالحيض والجنابة والجنون، والمرض، والموت. ولقد اختار معظم العلماء المعاصرين هذا التعريف لأنه جامع للمقصود من النسخ^{٦٧}، ولا يشمل ما لا يدخل فيه. وأما المحقق الخليلي، فإنه لم يذكر التعريف الشرعي للنسخ، بل اكتفى بالتعريف اللغوي، ربما رأى أنه كاف لإجابة السائل وفهم المطلوب.

شروط النسخ

ولكي يتحقق النسخ في القرآن الكريم، فلا بد من توافر بعض الشروط والقواعد الأساسية، وهي كالتالي:

- أن يكون المنسوخ حكماً ثبت بالشرع، ومن هنا فإن إبطال عادات الجاهلية وما أشبهها لا يسمى نسخاً
- أن يكون النسخ حكماً شرعياً أيضاً، سواء كان من القرآن أو من السنة
- أن يكون النسخ متأخراً عن المنسوخ نزولاً، أو تاريخاً، أو سبباً
- أن يكون هناك تعارض بين الحكم النسخ والحكم المنسوخ بحيث يتعذر الجمع بينهما، أما إذا أمكن الجمع بينهما فلا نسخ

^{٦٧} انظر: محمد عبد العظيم الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠١٣م)،

- أن يكون النسخ خاصاً في الأمر والنهي وخاصة. في الأحكام، أما الأخبار - سواء كانت قصص، أو أخلاق، أو مواعظ، أو عقائد، فأكثر الأقوال أن ليس فيها نسخ، لأنها لا تتضمن رفع حكم شرعي.

إذًا، فالبحث يعتبر هذه الشروط هي المحددات للفهم الصحيح للحكمة القرآنية المسماة بالنسخ والمنسوخ، وفي كتب اللغة، فإن كلمة ننسها تأتي من جذر نسي، وتعني ترك الإنسان ضبط ما استودع، أو جعل الشيء منسياً أو متروكاً. وقد ذكر ابن منظور في لسان العرب: تقول العرب إذا ارتحلوا من المنزل: انظروا أنساءكم، تريد الأشياء الحقيمة التي ليست عندهم ببال، مثل العصا والقدر والشظايا أي اعتبروها لئلا تنسوها في المنزل^{٦٨}

وقد بين المحقق الخليلي الفرق بين النسخ والإنساء فيما يتعلق بالآيات القرآنية، فالنسخ هو إبطال حكم آية واستبداله بحكم آخر، والإنساء هو إبطال حكم آية دون استبداله بشيء آخر. وعلى هذا الأساس، فإن الآية المنسوخة تظل قائمة في المصحف ولا يزال لها تلاوة، ولكن لا يعمل بها حكماً. أما الآية المنسية فإنها تُحذف من المصحف ولا تُتلى ولا تُعمل بها^{٦٩}. وقد قيل أن الآية المنسية لم تُحذف من اللوح المحفوظ، وهذا ما يشير إليه قول ابن عباس - رضي الله عنهما -: نتركها لا ننسخها أراد ننسها وبالتالي، يمكن التوفيق بين النسخ والإنساء في أنهما يشتركان في إبطال حكم آية، ويتباينان في بقاء الآية في المصحف أو رفعها منه^{٧٠}. وعلى هذا فالأمر الذي اختاره المحقق الخليلي أن النسخ يشمل فقط اللفظ ويستبدل الحكم السابق بحكم آخر، ولكن الإنساء يؤدي إلى إزالة اللفظ والمعنى.

المطلب الثاني: أنواع النسخ في القرآن الكريم

ذكر المحقق الخليلي عدة أنواع للنسخ في القرآن، ولكن نقتصر هنا على الأنواع التي لها صلة بالدلالة السياقية فحسب. ومن الأنواع التي أشار إليها الخليلي في جوابه، والتي قال بها جمهور العلماء هي كالتالي:

^{٦٨} ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص٣٤٠.

^{٦٩} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج١، ص٣٠٩.

^{٧٠} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج١، ص٣١٠.

النوع الأول: ثبوت التلاوة ونسخ الحكم ويقام غيره مقامه

ذكر المحقق الخليلي قوله الذي يقول فيه: "أن يثبت الخط وينسخ الحكم ويقام غيره مقامه"، وأيضاً قيل: هو نسخ الحكم دون التلاوة. ومن الأمثلة التي ذكرها الخليلي على هذا النوع من النسخ:

نسخ القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة في مكة المكرمة، وهذا هو أشرف بقاع الله تعالى في أرضه. وفي هذا السياق هناك قولان: القول الأول يشير إلى الآية التي تحدثت عن هذه القضية والتي تقول: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عَمَلَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤١-١٤٣]، والآية الناسخة لها قوله تعالى ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤]

هذا على قول من قال أن تحويل القبلة لبيت المقدس من باب نسخ القرآن للقرآن. أما الرأي الثاني فيقول أن هذه الآيات القرآنية هي ناسخة للسنة وليست للقرآن. وهذا يعني أن استقبال بيت المقدس كان سنة، ويتبنى هذا القول العديد من العلماء وعلماء المذهب الإباضي. وهناك من عارض هذا الرأي واعترض بقول أن القرآن أوجب استقبال بيت المقدس من خلال آية قرآنية تشير إلى ذلك، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، فأجابوه بأن هذا إخبار عما كان يفعله حين نسخ ذلك، وأنه لم يثبت في القرآن نص أو دليل على أمره باستقبال

هناك جدل بين علماء القرآن والأصوليين حول مسألة نسخ الوصية بالميراث للأقارب
تتناول هذه الجدليات إمكانية نسخ القرآن بالقرآن أو بالسنة. هناك عدة آراء في هذا السياق:
القول الأول: وفقاً لأصحاب هذا الرأي الآية المنسوخة هي قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا
حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى
الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠] ويرون أن هذه الآية قد تم نسخها بآية الميراث في سورة النساء:
﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا
تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ
وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ الشُّدُسُ مِنْ
بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِّنْ
اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١]

٧١ انظر: شهاب الدين أبي العباس أحمد، الآيات البينات على شرح جمع الجوامع، تحقيق: زكريا عميرات، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠١٢م)، ج ٣، ص ١٩٥.

الشافعي وجمهور المالكية وطائفة من أهل العلم. وقد اتبع هذا القول الإمام جابر بن زيد رضي الله^{٧٢}.

القول الثاني: أن آية الوصية لم تنسخ بآية المواريث، بل نُسخت بحديث رسول الله ﷺ: "لا وصية لوارث". قيل: إن هذا الحديث نسخ فقط الوصية للوارث، وهذا هو قول أصحاب هذا المذهب. ودليلهم أنهم قالوا: "إن هذا الحديث رغم أنه أحادي، إلا أن المسلمين اتفقوا على عدم جواز الوصية للوارث فظهر أن الوصية للوارثين الأقارب منسوخة بالسنة.

القول الثالث: يذهب أصحاب هذا القول إلى أن آية الوصية للأقربين نسخت بآية الميراث في سورة النساء وبالحديث "لا وصية لوارث"، سواء كان الحديث نفسه ناسخاً للآية أم كان موضحاً ومبيناً لها. أي أن النسخ يكون بآية المواريث مع ضم الحديث إليها للتبيين، حيث تُعتبر الآية ناسخة والحديث مبيّنًا. والرأي الأكثر اتباعاً بين العلماء هو أن آية الوصية نسخت بالحديث "لا وصية لوارث"، وأن آية الميراث هي لتوضيح نصاب كل شخص له حق في الميراث. القول الرابع: لم تنسخ آية الوصية للأقربين بآية الميراث في سورة النساء لأنها متوافقة معها وتؤكد لها وليس هناك دليل على أنها نزلت بعدها، أو أن الحديث ينسخ القرآن فهي آية محكمة وحكمها قائم، ويمكن أن تفسر بأنها خاصة بمن لا يرث من الوالدين والأقربين - كما ذكر بعض الصحابة - أو أن تترك عامة وهذا الذي ذكره محمد رشيد رضا في مناره^{٧٣}.

وهكذا يرى البحث بعد عرض الأقوال الأربعة وتتبع الدلالة السياقية في آية المواريث وآية الوصية أن آية الوصية هي آية من سورة البقرة، تنص على أنه يجب على المسلم إذا حضره الموت أن يوصي بخير لوالديه وأقربائه بالمعروف، وأن هذا حق على المتقين، وأن آية المواريث من سورة النساء، تحدد نصيب كل وارث من أولاد المتوفى وزوجاته وإخوانه وآبائه، وتشترط أن يكون الإرث من بعد وفاء الدين والوصية، فالعلاقة السياقية بين هاتين الآيتين هي أنهما

^{٧٢} انظر: أبي الحسن علي بن محمد الماوردي، الحاوي الكبير في فقه الإمام الشافعي، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد الموجود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠١٧م)، ج ٨، ص ١٨٦؛ وانظر: محمد بن يوسف وهي، هيمان الزاد إلى دار المعاد، (سلطنة عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ط ١، ١٩٨٠م)، ج ٢، ص ٤٩٨.

^{٧٣} انظر: محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ط، ٢٠١١م)، ج ٢، ص ١١١.

تتكاملان وهو ما يعرف بالتكامل السياقي^{٧٤} في تنظيم أحكام الميراث في الإسلام فالأولى تحدد حق المستحقين من غير الورثة والثانية تحدد حق الورثة من المال المتروك وبعض العلماء قالوا إن آية الوصية لم تنسخ، بل بقيت سارية لمن لا يرث من الأقرباء أو لمن يجب عن الميراث بسبب مانع شرعي، فهؤلاء يستحقون الوصية في حدود الثلث من التركة

أورد المحقق الخليلي أن عدة الوفاة بحول نسخت إلى أربعة أشهر: قال الله تعالى في سورة البقرة عن عدة الوفاة بالحول: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٠]، وهذه الآية تضمنت حكيم حكم الوصية وحكم المتعة. وقد نسخ هذان الحكمان بآيتين أخيرين في سورة النساء فأما حكم الوصية فقد نسخ بآية الميراث التي قال فيها تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٌ﴾ [النساء: ١٢]، أما حكم المتعة فقد نسخه الله تعالى بآية أخرى في سورة البقرة، حيث جعل عدة الأرمال أربعة أشهر وعشرة أيام فقط، وأعطاهن حقهن من الميراث بحسب نصيبهن، وأباح لهن الخروج من بيوتهن بالمعروف، وذلك في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمِ تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٤]. وقد شهد على هذا التغير في الحكم كثير من الصحابة رضي الله عنهم.

والذي نذهب إليه من التأمل السياقي في الآيتين: أن آية الحول لم تُنسخ، وإنما يدل سياقها على وصية من الله تعالى للزوجات أن يسكن في بيوت أزواجهن بعد وفاتهن حولاً كاملاً إن شئن. وهذا القول رواه الطبري عن عطاء ومجاهد في تفسيره^{٧٥}

^{٧٤} انظر: عبد الوهاب رشيد صالح أبو صفية، التكامل السياقي دلالة وتفسير، (عمان: دار عمار، ط ١، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م)، ص ١٠.

^{٧٥} انظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (مصر: مصطفى البابي الحلبي، د. ط، د. ت)، ج ٥، ص ٢٥٨. رقم الحديث ٥٥٨٦. حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [سورة البقرة: ٢٣٤]، قال: كانت هذه للمعتدة، تعتد عند أهل زوجها، واجباً ذلك عليها، فأُنزل الله: " والذين يتوفون

النوع الثاني: ثبوت التلاوة ونسخ الحكم ولا يقام غيره مقامه

هذا هو القول الذي اختاره المحقق الخليلي وأكثر الأصوليين، والدليل على صحة هذا القول ما جاء في الكتاب والسنة من أمثلة على ذلك، ومنها قوله تعالى في امتحان المؤمنات المهاجرات ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتَوْهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسَلُّوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ أَلَا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [المتحنة: ١٠]، و المحقق الخليلي حين استشهد بهذا المثال أراد أنه من هؤلاء الذين يرون أن الآية نسخت ما كان رسول الله ﷺ قد عقده مع قريش في شأن النساء أي نسخ السنة بالقرآن.

يتضح أثر السياق المقامي في آية امتحان المهاجرات وهي للمصلحة، ومن السبب الذي يجعل الحكم يناسب الواقع، ويحقق المصلحة المرادة منه. فإذا زال السبب زال معه الحكم، لأنه لم يعد مطابقاً للواقع، ولم يعد محققاً له. وكذلك الحكم في المهادنة بين المسلمين والمشركون، فإذا انتهت المهادنة، أو أخل المشركون بشروطها، زال الحكم مع زوال علته. وهذا يدل على أن الشريعة الإسلامية تأخذ بالظروف والأحوال، وتراعي المصالح والمفاسد، وتجعل كل شيء في موضعه، أيضاً إذا رجعنا إلى السياق العام لسورة المتحنة فإن الغرض العام لها هو بيان حدود الولاء والبراء بين المؤمنين والكافرين، وتحديد أحكام تخص زواج المؤمنات من المشركون وإثبات صدق إيمان المؤمنات المهاجرات، وإبراز قدوة إبراهيم عليه السلام في التوحيد، فجاءت تعليمات الله تعالى فيها متناسبة مع ما يحقق هذا الهدف الأسمى.

النوع الثالث: رفع التلاوة وبقاء الحكم

منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج"، إلى قوله: "من معروف". قال: جعل الله لهم تمام السنة، سبعة أشهر وعشرين ليلة، وصية: إن شاءت سكنت في وصيتها، وإن شاءت خرجت، وهو قول الله تعالى ذكره: "غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم"، قال: والعدة كما هي واجبة.

ولقد أورد المحقق الخليلي من تطبيقات هذا النوع آية الرجم، وأفاد أنه لم يثبت أنه يجوز التعبد بالآية المنسوخة تلاوة، ومما قاله: وأما ما روي عن آية الرجم أنها من المنسوخات تلاوة، ولكن حكمها باق، فهذا ليس ببعيد، والأرجح أن حكمها الآن من السنة؛ لأنه لم يثبت جزمًا أن المنسوخات من الآيات يجوز التعبد بها تلاوة، ولم تقم بها حجة قط، وهذا هو قول معظم علماء المسلمين.

وقد نفى الخليلي أن يكون هذا اللفظ من القرآن الكريم واعتبره غير مناسب للمعنى والسياق وغير مطابق لبلاغة القرآن، وذكر ثلاثة معانٍ لذلك.

الأول: أن الله سبحانه يمحو من قلوب عباده ما شاء من هذا النوع، فلا يمكن لأحد أن يحفظه، وإلا فليس بممحو، وإذا كان محفوظاً فلا يجوز أن يقرأ في غير موضعه.

الثاني: أنه لا يثبت بأي دليل أن هذا اللفظ من كتاب الله العزيز.

الثالث: أنه يقرر حكم الرجم بالشيخ والشيخة في حالة الزنا، وهذا يخالف ما جاء في القرآن من تفريق بين المحصن والمحصنة والغير محصنين، كما هو واضح.

فقد أظهر الخليلي باللفظ والمعنى عدم صحة هذه الرواية التي نسبت إلى عمر وعائشة رضي الله عنهما. وهذا قريب من ما قاله صاحب المنهاج، حيث قال: «إن هذه الرواية التي ذكرناها عن عمر وعائشة لم نأت بها إلا كأمثلة لبيان نسخ التلاوة دون الحكم أو نسخهما معاً، فلم نقطع بصحتها، إلى أن قال: ولكن في هذه الرواية عيب من جهة لفظها، فإنه يخالف لفظ القرآن في الفصاحة والبلاغة،

وقال: والأولى أن تكون غير منزلة من الله تعالى.

ومجمل القول أن علم الناسخ والمنسوخ له أثر في استدلالات المحقق الخليلي بالآيات القرآنية، وأنه يعترف بوقوعه في القرآن ما كان متوافقاً مع سياقه وينفي وقوع ما كان معارضاً وغير متوافق مع آيات الكتاب الحكيم.

المبحث الرابع: أسباب النزول عند المحقق الخليلي وعلاقته بالسياق في استدلالاته

سبب النزول هو الحدث أو السؤال أو الظرف الذي أنزل فيه القرآن أو بعض آياته، وهو من الموضوعات المهمة في علم التفسير والاستدلال، لأنه يساعد على فهم المعنى والمقصد من النص

القرآني. وقد اهتم المحقق الخليلي، بدراسة سبب النزول وعلاقته بالسياق في استدلالاته، وأظهر كيف يمكن استخدام هذا المفهوم لتحديد مدى عمومية أو خصوصية الآيات، ولتفسير بعض المشكلات والاختلافات في تفسير القرآن. وفي هذا المبحث سنتعرض لتعريف سبب النزول وأهميته، ولبعض تطبيقات المحقق الخليلي له في كتابه تمهيد قواعد الإيمان.

المطلب الأول: تعريف سبب النزول وصيغته وأهميته

السبب لغةً: هو الحبل وكل شيء يتوصل به إلى غيره^{٧٦}، والوسيلة واعتلاق قرابة، وجمعه أسباب. وأسباب السماء مراقيها أو نواحيها أو أبوابها^{٧٧}. والسبب الذي يعنيه العلماء هو السبب الخاص، وليس العام، وهو ما يتعلق بالمناسبة والموضوع والمقصود من نزول القرآن.

العلم الذي يهتم بدراسة الظروف والمواقف التي كانت محركاً لإنزال القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتي تشمل أحداثاً وأسئلة ومشكلات وقعت في زمان الوحي، وجاء القرآن لبيانها أو حلها أو توضيح حكمها. وقد عرفه محمد ماء العينين في كتابه علوم القرآن الكريم بأنه العلم الذي نزلت الآيات بسببه مبينه لحكمه، أو متضمنه له، أو مجيبه عنه^{٧٨}، وذكره الدكتور خالد فائق العبيدي في كتابه القرآن منهل العلوم على أنه ما نزل القرآن بشأنه وقت وقوعه كسؤال أو حادثة^{٧٩}

ومن هذه التعريفات نستطيع أن نفهم أن سبب النزول ما حدث في عصر التشريع الإسلامي، وأثر في إنزال بعض آيات القرآن ولا يشمل سبب النزول ما دُكر في القرآن من قصص الأمم الماضية، فإن ذلك ليس من حوادث زمن الوحي، بل هو من إخبار القرآن عن تاريخ المستضعفين والمستكبرين. ولذلك فإن قول الواحد في سورة الفيل أن سبب نزولها قدوم

^{٧٦} انظر: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنفي الرازي، **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، (بيروت: المكتبة العصرية، ط ٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م)، ص ٤٠.

^{٧٧} انظر: مجد الدين أبو طاهر محمد الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، تحقيق بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٨، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م)، ص ٩٦.

^{٧٨} انظر: محمد ماء العينين، **علوم القرآن الكريم**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠١٠م)، ص ٣١.

^{٧٩} انظر: خالد فائق العبيدي، **القرآن منهل العلوم**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٧م)، ص ١٥٤.

أبرهة من الحبشة لهدم الكعبة خطأ، كما نفى ذلك السيوطي في كتابه الإتيقان في علوم القرآن^{٨٠}، فإن قصة قدوم أبرهة كانت قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تعد أسباب نزول آية من آيات القرآن. وكذلك قوله في سورة النساء: واتخذ الله إبراهيم خليلاً، فإن اتخاذ إبراهيم خليلاً لله كان قبل نزول هذه الآية، ولا يدخل في مفهوم سبب نزول من بعض الباحثين قاموا بالتمييز بين مصطلح السبب النازل ومصطلح الشأن النازل للقرآن الكريم. فالسبب النازل هو المقصود والدافع والموجب لإنزال آية أو سورة قرآنية تتعلق بذلك السبب. وهذا أدق من قولهم: شأن «النازل لأن الشأن أشمل وأعم من السبب في تعريفهم، إذ يدل الشأن على الحالة أو الموقف الذي أنزلت فيه آية أو سورة قرآنية لتوضحه أو تفسره أو تعطيه اهتماماً في موضع يستحقه، كما هو الحال في معظم قصص الماضين والأخبار عن الأمم السابقة أو عن حالات الأنبياء والصالحين التي كانت محرفة أو مخدوشة أو تضر بكرامتهم أو تحفض من قدسياتهم، فأنزل القرآن ليصحح هذا الجانب ويبين الحق من قصة حياتهم والواقع من سيرتهم بما يزيل التشكيك والغموض. وعلى هذا فالسبب والشأن هما مصطلحان يدلان على نوعين من المشكلات التي تحتاج إلى حلول، فالسبب هو مشكلة تنشأ بسبب حدث معين في الزمان الحاضر، والشأن هو مشكلة تتعلق بالواقع الموجود سابقاً أو حالياً. هذا هو المعنى الاصطلاحي لهذين المصطلحين ولا خلاف فيه. ولأن القرآن الكريم هو كتاب يهدي الناس إلى الحق، فإنه يقدم الحلول المناسبة للمشاكلات التي كانت تواجه الدعوة الإسلامية في مراحلها المختلفة، ويحيب على التساؤلات التي كان يتلقاها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ويعلق على بعض الأحداث والظروف التي كانت تحصل في حياة الناس ليعين موقف الإسلام منها. لذلك نزلت بعض الآيات القرآنية رداً على أسباب محددة حصلت في عهد النبوة وكانت تستدعي نزول القرآن لحلها أو شرحها أو تفسيرها^{٨١}

^{٨٠} انظر: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد سالم هشام، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠١٧م)، ص ٥٢.

^{٨١} انظر: باب العياط نور الدين، النص القرآني دراسة بنيوية، (رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة وهران: كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، ٢٠١٥م)، ص ٣٧.

صيغة سبب النزول:

العلماء اختلفوا في صيغة سبب النزول، وفرقوا بين نوعين:

- أ. الصيغة التي لا تدل على السببية بشكل واضح، وتمكن من فهمها بأن الآية شاملة للحكم أو غيره من المعاني. فإذا قال الصحابي: نزلت هذه الآية كذا؛ فيمكن أن يراد به نزلت في موضوعه، دون أن يكون هو سبباً في نزولها
- ب. الصيغة التي تعبر عن السببية بشكل صريح وجلي. وهي الصيغة التي تقول بأن الآية نزلت لهذا السبب، فإن كانت صحيحة من حيث السند، فتعتبر كقول الرسول ﷺ؛ لأنها ليست من جهة الاجتهاد^{٨٢}

أهمية سبب النزول:

- سبب النزول هو ما يبين الحالة التي نزلت فيها الآية وهو ما يساعد على فهم كتاب الله تعالى. ويقول الزركشي: وقد أولوا اهتماماً بذلك المفسرون في كتبهم وألفوا فيه كتباً، وأخطأ من زعم أنه لا فائدة منه لأنه يشبه التاريخ، وليس هذا صحيحاً، بل له فوائد منها
- معرفة الحكمة التي دعت إلى تشريع الحكم، ومنها الإدراك لمعاني الكتاب الكريم، وهو أمر تحصل للصحابة بقرائن تتعلق بالمسائل.
 - وقال ابن تيمية ومعرفة سبب النزول تفيد في فهم الآية؛ فإن العلم بالسبب يؤدي إلى العلم بالمسبب؛ ولذلك كان أصح قول الفقهاء أنه إذا لم يعرف ما نواه الحالف رجع إلى سبب يمينه وما حركها وآثارها^{٨٣}
 - أن أسباب النزول هي من القرائن السياقية المقالية، وهي تعبر عن الحالة التاريخية التي نزلت فيها الآية، وتشمل الأحداث والمواقف والأسئلة، والمشكلات التي كانت سبباً في نزول الآية.

^{٨٢} انظر: مناع بن خليل القطان، مباحث في علوم القرآن، (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط ٣، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ص ٨٥.

^{٨٣} انظر: مصطفى ديب البغا ومحبي الدين ديب مستو، الواضح في علوم القرآن، (دمشق: دار العلوم الإنسانية، ط ٢، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، ص ٦٠.

• أن أسباب النزول تحدد المقصود من الآية، وتوضح مدى عمومها أو خصوصها، وتفرق بين المطلق والمقيد، وتبين مكانة الآية في بناء السورة، وتربط بين الآيات المتشابهة، وتحل بعض المشكلات التفسيرية^{٨٤}

• ومن الأمور التي تساعد على فهم الآية واستخراج معانيها وأسرارها هو معرفة سبب نزولها، لأن الله تعالى يخاطب الناس بحكمة ورحمة، وينزل القرآن بما يتناسب مع حالاتهم وحاجاتهم. فالآية التي تنزل بسبب معين تكون صياغتها وأسلوبها مرتبطة بهذا السبب، وإذا لم يتم التعرف عليه، قد يفوت بعض دلالات الآية وجمالياتها. ومثال على ذلك ما جاء في صحيح البخاري حدثنا أبو اليمان: أخبرنا شعيب عن الزهري: قال عروة: سألت عائشة رضي الله عنها فقلت لها: أ رأيت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨] فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفاء والمروة، قالت: بئس ما قلت يا ابن أخي، إن هذه لو كانت كما أولتها عليه كانت لا جناح عليه أن لا يتطوف بهما، ولكنها أنزلت في الأنصار، كانوا قبل أن يسلموا، يهلون لمناة الطاغية، التي كانوا يعبدونها عند المشلل، فكان من أهل يتخرج أن يطوف بالصفاء والمروة، فلما أسلموا، سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، قالوا: يا رسول الله، إنا كنا نتخرج أن نطوف بين الصفا والمروة، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ الْآيَةَ. قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَقَدْ سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الطَّوْفَ بَيْنَهُمَا، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتْرَكَ الطَّوْفَ بَيْنَهُمَا^{٨٥}.

فحيث كان الناس في الجاهلية يسعون بينهما تقرباً إلى الله تعالى، فلما أتى الإسلام سأل بعض الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حكم ذلك، والآية أوضحت أن السعي بين الصفا والمروة ليس بعمل جاهلي، بل هو من شعائر الله التي يحبها ويرضاها، وأن من حج أو اعتمر لا يؤثم إذا سعى بهما، بل يثاب على ذلك. والسبب في أن الآية لم تذكر

^{٨٤} علي بن مصطفى خلوف، صحيح أسباب النزول، (الرياض: مكتبة وفنون، ط ١، ٢٠١٢م)، ص ٤.

^{٨٥} انظر: أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: محمود محمد حسن نصار، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠١٩م)، ج ١، ص ٢٤٨.

وجوب السعي، هو أن ذلك مفهوم من السياق والسنة، وأن المقصود من الآية هو تصحيح المفهوم الخاطئ عند بعض الصحابة، وتأكيد أن الصفا والمروة من شعائر الله التي لا يجوز تركها أو استخفاف بها. فالسبب في نزول الآية كشف عن دقة التعبير القرآني وجماله^{٨٦}

المطلب الثاني: أثر السياق القرآني على أسباب النزول

تعتبر أسباب التنزيل من العوامل المهمة في فهم السياق، وخاصة فيما يتعلق بالنص القرآني. وهي بمعنى أوسع من مجرد نقل آثار السنة في كتب التفسير، بل تشمل كل ما يرتبط بظروف نزول الآيات والأحاديث والمسائل والوقائع، سواء كانت تتعلق بالمكان أو الزمان الذي شهد نزول النص الشرعي من قرآن أو سنة. وجعل الشاطبي معرفة أسباب التنزيل من المقاييس التي يعتمد عليها في الفهم، فقال: لا بد لمن أراد علم القرآن من معرفة أسباب التنزيل^{٨٧}، لا شك أن القرآن الكريم نزل على مراحل خلال ثلاثة وعشرين عاماً، وكانت كل آية أو مجموعة من الآيات تستجيب لحدث معين أو تجيب على سؤال أو تواجه تحدياً واجهه المسلمون. لذلك، فإن الطريقة الصحيحة لفهم القرآن هي أن نربط آياته بأسباب نزولها ونفهمها على ضوء السياق الذي نزلت فيه. وهناك فرق بين فهم النص الشرعي وتطبيقه. فالنص الشرعي له مستوى علوي هو مستوى التنزيل، ومستوى سفلي هو مستوى الفهم. وليس كل حكم شرعي يمكن تطبيقه في كل زمان ومكان، بل يجب أن يتوافق مع الواقع. لذلك، يجب أن نتبع أسساً محددة لفهم النص الشرعي بشكل صحيح، وأسساً أخرى لتطبيقه بشكل صحيح. ومن هذه الأسس أسباب النزول، وهي تعني الظروف التي تجعل الحكم الشرعي يزول أو يعمل به، هذه الأسباب تساعدنا على فهم المقصود من النص الشرعي، وتحديد حدوده وشروطه، وتجنب الخطأ في تطبيقه. كما تساعدنا على تكييف النص الشرعي مع التغيرات التي تحدث في الحياة الإنسانية، وتجعلنا نرى حكمة الشرع في تنظيم شؤوننا، ولكن في هذا الزمان حصل خلط بين فهم النص

^{٨٦} انظر: باب العياض نور الدين، النص القرآني دراسة بنيوية، (جامعة وهران: كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، رسالة دكتوراة غير منشورة، ٢٠١٥م)، ص ٣٨.

^{٨٧} انظر: مساعد بن سليمان الطيار، المحرر في علوم القرآن، (الرياض: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، ط ٣، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م)، ص ١٣٢.

الشرعي وتطبيقه عند بعض الناس، فظنوا أن كل فهم لا يتفق مع واقعهم هو فهم خاطئ، وأن كل حكم لا يمكن تطبيقه في زمانهم هو حكم باطل وهذا خطأ كبير، لأن الفهم لا يتغير بتغير الزمان والمكان، بل يتغير بتغير المستوى المتعلق بالتنزيل، والحكمة من ذلك أن الشرع يراعي جميع المصالح والضرورات للبشرية في كل زمان ومكان^{٨٨}

والقاعدة الأصولية: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، تفيد أن الآية لا تقتصر على السبب الذي أنزلت به، بل تشمل كل ما يدخل في معناها العام، وهو ما يوافق غرضها وحكمها، فالسبب المخصوص يدل على المراد من الآية، ولكنه لا يحد من حكمها. والسبب المخصوص هو أصل في دخول المعنى، واللفظ العام هو أصل في امتداد الحكم^{٨٩}.

ويعني أن الحكم الشرعي الذي ينزل في آية قرآنية لا يقتصر على السبب أو المناسبة التي نزلت بها الآية، بل يشمل كل ما يدخل تحت عموم اللفظ الذي ورد في الآية، إلا إذا كان هناك دليل آخر يقيّد الحكم أو يخصّصه. وهذه قاعدة مهمة في فهم القرآن وتطبيقه على مختلف الأحوال والأزمنة. والمقصود بالسبب هو الموقف أو الحادثة التي كانت سببا لنزول الآية، والمقصود باللفظ هو الكلام أو التعبير الذي استخدمته الآية لإيصال المعنى. والفرق بين السبب واللفظ هو أن السبب خاص بحالة معينة، واللفظ عام بحسب صيغته ومعناه.

ومن الأمثلة على هذه القاعدة ما يلي:

١. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]، فهذه الآية نزلت في قضية خاصة بين رجل من المهاجرين وآخر من الأنصار فأحيلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهما، فأُنزل الله هذه الآية ليأمر رسوله وأُمَّته بالحكم بالعدل في كل قضية تقع بين الناس، فالحكم عام لا

^{٨٨} انظر: ريجانة اليندوزي، أهمية اعتبار أسباب النزول في الخطاب الشرعي من حيث الفهم والتطبيق، (المغرب: الرابطة المحمدية لعلماء المغرب، بحوث مؤتمر ندوة أهمية اعتبار السياق في المجالات التشريعية وصلته بسلامة العمل بالأحكام، ٢٠٠٧م)، ص ٤١٠.

^{٨٩} انظر: جمال سند السويدي، السراب، (الإمارات: زاوية المعرفة، ط ١، ٢٠١٥م)، ص ٤٢٠.

يختص بتلك القضية فقط^{٩٠}. والآية وإن وردت على سبب خاص فعمومها معتبر بقريظة الجمع^{٩١}

٢. قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٩]، فهذه الآية سبب نزولها أن الرسول ﷺ لما حثهم على غزو الروم تناقلوا فنزلت، وفيها حث للمسلمين على المشاركة في غزوة تبوك، فأخبر الله أولئك المسلمين بأنه إذا تخلفوا عن الجهاد في سبيله فسيُعَذِّبهم عذاباً أليماً ويستبدلهم بقوم آخرين، فالتحذير عام لا يختص بتلك الغزوة^{٩٢}

٣. قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَاضِعِينَ﴾ [التوبة: ٣٤]، فأنزل الله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ.. الآية﴾، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اصنعوا كل شيء إلا النكاح^{٩٣}. فجاء الحكم بلفظ عام مع أنه نزل في حادثة خاصة.

٩٠. نزلت لما أخذ مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة الحنظلي سادتها قسراً لما قدم النبي ﷺ مكة عام الفتح ومنعه وقال لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه فأمر رسول الله ﷺ برده إليه وقال هاك خالدة تالدة فعجب من ذلك فقرأ له علي الآية فأسلم وأعطاه عند موته لأخيه شيبه فبقي في ولده.

٩١. جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجمال الدين عبد الرحمن السيوطي، تفسير الجلالين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠١٧م)، ص ٦٨.

٩٢. انظر: أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٢٢هـ)، ج ٢، ص ٢٥٩.

٩٣. عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، تحقيق: أحمد عبد الشافي، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت)، ص ٣٢.

المطلب الثالث: تطبيقات على إعمال المحقق الخليلي للسياق في بيان أسباب النزول

أولاً: سبب نزول سورة الإخلاص وعلاقته بسياقها

ذكر المحقق الخليلي أنها نزلت جواباً على سؤال أريد بن ربيعة الذي كان ممن أضلهم الله بسبب تكذيبهم وتعنتهم، فسأل عن رب محمد ﷺ بطريقة استهزائية، فأجابه الله تعالى بوصف ذاته وأسمائه، ولكنه لم يقبل الحق، فأرسل الله عليه سحابة تضربه ببرق فأحرقتة، وفي هذا تحقق قول الله تعالى. ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمَحَالِ﴾ [الرعد: ١٣] ٩٤

وقيل نزلت في الرد على بعض المشركين أو اليهود سألوا النبي محمد ﷺ عن ذات ربه وصفاته، فأنزل الله تعالى هذه السورة ليبين أنه أحد، لا شريك له ولا ولد، وأنه الصمد الذي يصمد إليه كل شيء، وأنه لا مثيل له ولا نظير ٩٥ ومع أن الروایتين فيهما نظر من حيث الصحة إلا أن المحقق الخليلي أشار بعد أن ذكر روايتي سبب النزول أن المعنى في ذلك واحد، فهي رد على الجاحدين المنكرين لله، وبالرجوع إلى دلالة سياق سورة الإخلاص الذي يؤكد أنها نزلت رداً على الجاحدين فإننا نجد الآتي:

١. أنه من الواضح والجلي أنها نزلت رداً وجواباً لأنها بدأت بكلمة "قل" ومن دلالات قل

أ. كلمة قل هي أمر من الله تعالى إلى نبيه محمد ﷺ بأن يبلغ الناس عن توحيد الله وصفاته العظيمة

ب. تدل على أن هذه السورة هي جواب على سؤال المشركين عن نسب الله ومن خلقه، فأمر الله نبيه بأن يقول لهم بوضوح وجزم أن الله الإله هو الواحد الأحد.

٩٤ انظر: الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (بيروت: دار إحياء التراث

العربي، ط ١، ١٤٢٠هـ)، ص ٣٢٩، رقم الحديث ٢٤٢٤ مكرر.

٩٥ انظر: روى أبو سعد هذا عن أبي جعفر الرّازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالبيّة عن أبي بن كعب قال المُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انسب لنا ربك فنزلت قل هو الله أحد أو كما قال فاستغربه حتى وجدناه عن أبي جعفر عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل. محمد بن إسماعيل البخاري، التاريخ الأوسط، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، (دار الوعي: القاهرة، ط ١، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، ج ٢، ص ٢٨٠، رقم: ٢٦٠٤. سعيد بن خلفان الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ١، ص ٤٥٢.

- ج. تدل على أن هذه السورة هي تجريد لتوحيد الله من كل ما يشابهه أو يضاهيه من المخلوقات فلا والد له ولا ولد، ولا شريك له ولا نظير
- د. تدل على أن هذه السورة هي إخلاص لعبادة الله وحده، ولا يعبد غيره من مخلوقاته فلا يشرك به أحد من خالقيه
- هـ. تدل على أن هذه السورة هي براءة الشرك والكفر، ونجاة من العذاب والنار، وولاية للمؤمنين والصالحين

٢. سياق سورة الإخلاص يدل على أنها سورة مكية نزلت رداً على سؤال عن صفات رب النبي ﷺ وهو أمر يتعلق بالتوحيد ومن خصائصها^{٩٦}:

- أ. تتميز بقصر آياتها وإيجاز عباراتها
- ب. تؤكد على توحيد الله وعبادته وحده دون شريك أو وسيط
- ج. تخاطب المشركين وتدعوهم إلى الإسلام وتدحض شبهاتهم وضلالاتهم وهكذا نخلص أن دلالة سياق سورة الإخلاص منسجم ومتآلف تماماً مع سبب نزولها وهذا بدوره يعزز من معناها وفق سياقها الداخلي والخارجي.
- ثانياً: سبب نزول آية ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (١٧٣) فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿ [آل عمران: ١٧٣-١٧٤] ذكر المحقق الخليلي أن هذه الآيات نزلت على الرسول الله ﷺ في غزوة بدر الصغرى لما واعدته قريش لقاءه في الموسم بالعام القابل من غزوة أحد فخرج رسول الله ﷺ لهم بطائفة من أصحابه وتحلفت قريش لقائه، وقد أذاعوا الخبر بأنهم يلاقونه في جموع عظيمة وعدة كثيرة، فقال: والله لأخرجن إليهم ولو بنفسى فأنزل الله هذه الآيات^{٩٧}

^{٩٦} انظر: محمد الناصر لدين الله الزمزمي، فيسات من علوم القرآن الكريم وشرح المختار من آي الذكر الحكيم،

تحقيق: عادل أبو العلى، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠١٥م)، ص ٦٧.

^{٩٧} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ١٣، ص ٢٥٨.

وأورد أيضا أن بعض المفسرين زعم أنها قد أنزلت لما أصيب من أصحاب رسول الله وانصرف أبو سفيان وأصحابه من أحد فبلغوا الروحاء ندموا على انصرافهم وقالوا: لا محمداً قتلتم ولا الكواعب أردفتهم ارجعوا فاستأصلوهم، فبلغ ذلك الخبر النبي فاستنفر أصحابه وقال: ألا لا يخرجن معنا إلا من حضر يومنا بالأمس، فخرج في سبعين رجلاً حتى إذا بلغ إلى حمراء الأسد وهي على ثمانية أميال من المدينة، وإنما خرج لسمع عدوه بأنه في قوة وإن ما أصاب أصحابه من قتل أو جراح غير موهن لهم ولا كاسر لشوكتهم ولا خاذل عن لقاء عدوهم وفيهم أنزلت الآيات الشريفة^{٩٨}

وأورد الواحدي في كتابه أسباب نزول القرآن سبب نزولها فقال: أخبرنا أبو إسحاق الثعالبي، أخبرنا أبو صالح شعيب بن محمد، أخبرنا أبو حاتم التميمي، أخبرنا أحمد بن الأزهر، حدثنا روح بن عبادة، حدثنا قتادة، قال: سعيد عن ذاك يوم أحد بعد القتل والجراحة وبعدما انصرف المشركون أبو سفيان وأصحابه، قال نبي الله لأصحابه: ألا عصابة تشدد لأمر الله فتطلب عدوها، فإنه أنكى للعدو، وأبعد للسمع؟ فانطلق عصابة على ما يعلم الله تعالى من الجهد، حتى إذا كانوا بذي الحليفة جعل الأعراب والناس يأتون عليهم فيقولون: هذا أبو سفيان مائل عليكم بالناس، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، فأنزل الله تعالى فيهم قوله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾^{٩٩}. وقد عقب المحقق الخليلي على اختلاف الروايتين في سبب النزول أنه لا يهم إذا كان النزول في أحد الخروجين أو الاثنين معاً، لأن هذا لا يغير من حقيقة القراءة التي نحتاج لأن أصل القصة باقٍ بعينه وإن هناك اختلاف في النزول باختلاف الرواة، وهي تدل على أنه يجوز الخروج لإظهار قوة المسلمين وإرهاب العدو ويعد من أعظم الجهاد وله حكمة عظيمة^{١٠٠}

^{٩٨} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ١٣، ص ٢٥٩؛ وانظر أيضاً: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٢٠هـ)، ج ١، ص ٥٤١.

^{٩٩} أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، أسباب نزول القرآن، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠١٦م)، ص ١٣٥.

^{١٠٠} انظر: الخليلي، المرجع نفسه، ج ١٣، ص ٢٦٠.

وبالرجوع إلى دلالة سياق الآيات الكريمة نجد أن سياق الآيات يتحدث منذ الآية ١٥٢ عن غزوة أحد وحتى الآية ١٧٢ والتي هي قبل الآية محور الحديث مباشرة، إذا فسباق الآيات متسلسل حول غزوة أحد وما تلاها من أحداث، وهذا يؤيد الرواية الثانية من أسباب النزول.

ثم سياق المقطع من سورة آل عمران الذي يحوي الآيات محور الحديث يتحدث عن حادثة أحد وما وقع فيها من محنة وابتلاء للمسلمين، وكيف أن الله تعالى صدقهم وعده بالنصر في بداية الغزوة، ثم انقلبت الأحوال عليهم بسبب مخالفة بعضهم أمر ﷺ في الثبات على مواقعهم، وطمعهم في الغنائم وتفرقهم وتنازعهم في الأمر. الله تعالى حكمته في ذلك، وأنه ابتلاهم ليميز الصادقين من الكاذبين، والصابرين من المستكبرين، والشاكرين من الجزعين. ويذكر الله تعالى نعمته عليهم بأن عفا عن ذنوبهم، وأنزل عليهم السكينة، وأثابهم بالغفران والجنة. وقد شرح سيد قطب رحمه الله هذا المقطع في كتابه "في ظلال القرآن" بأسلوب رائع وعميق، يبرز مضامين الآيات ودروسها وآثارها في حياة المسلمين^{١١}.

ويحسن بنا أن نورد ملخص مقطع هذه الآيات كما ذكره سعيد حوى في كتابه

الأساس:

- يبدأ المقطع بذكر نعمة الله على المؤمنين بأن أصابهم من رحمته ما أصابهم، وأنه لولا تدبيره لما انتصروا على الكفار، وأنه ألقى في قلوبهم السكينة والثبات، وأيدهم بجنود لم يروها، وجزى الكفار بما كسبوا من الظلم والعدوان.
- ثم يذكر الله تعالى حال المؤمنين في غزوة أحد، وكيف أن بعضهم كان يطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعضهم كان يخالف أمره، وكيف أن هذا التخالف كان سبباً في هزيمتهم وإصابتهم بالقتل والجراح.
- ثم يبين الله تعالى أن هذا التخالف لم يكن خروجاً عن الإيمان، بل كان اختباراً من الله ليميز المؤمنين من المنافقين، وليغفر للمؤمنين ذنوبهم، وليزيدهم درجات في الجنة.

^{١١} انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، (القاهرة: دار الشروق، ط ١، ٢٠١٠م)، ج ٣، ص ١٤٦٥.

- ثم يحث الله تعالى المؤمنين على التوبة والإصلاح، وعلى التثبت في الجهاد، وعلى التوكل على الله، وعلى عدم التراجع عن دينهم، وعلى عدم التشاؤم بالرسول صلى الله عليه وسلم أو بأنفسهم، وعلى عدم التفرق أو التخاصم بينهم.
 - ثم يخبر الله تعالى المؤمنين بأن ما أصابهم من مصائب في غزوة أحد كان بإذن الله، وأن لا يحزنوا على ما فاتهم من فرصة قتال الكفار، فإن الله سيجعل لهم مخرجاً آخر، وأن يستعدوا لقاء عدوهم بالصبر والصلاح.
 - ثم يذكر الله تعالى حال المنافقين في غزوة أحد، وكيف كانوا يتظاهرون بالإسلام، ويتحايلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتركون المجاهدين في سبيل الله، ويشكون في نصرة الله لدينه، ويتولون إلى الشيطان.
 - ثم يخبر الله تعالى المؤمنين بأسرار نفوس المنافقين، وبأحاديثهم التي تظهر حقدهم على المؤمنين، وبأفعالهم التي تدل على خذلانهم لدين الله، وبأحوالهم التي تكشف عن ضعف إيمانهم ورغبتهم في الدنيا^{١٠٢}.
 - ثم ينهى الله تعالى المؤمنين عن موالاة المنافقين أو الاستماع إلى كلامهم، ويأمرهم بالتمسك بالقرآن والسنة، وبالتعاون على البر والتقوى، وبالتحذير من الفتن التي تزلزل الإيمان، وبالثقة بوعده الله وحكمته.
- وعلى هذا الأمر فإن دلالة السياق القرآني ترجح أن سبب النزول هي الرواية الثانية. وهذا من فوائد السياق القرآني الذي يزيل اللبس والإشكال فإذا اختلفت الروايات نستطيع ترجيح أحدهما بالرجوع للسياق.
- يمكن أن نجمل ما توصلنا إليه من هذا الفصل في الآتي:
- المحقق الخليلي يعتمد على أمهات الكتب في دراسة علوم القرآن، ويستشهد بأقوال السلف والعلماء المعبرين في تفسير الآيات وبيان معانيها.
 - المحقق الخليلي يهتم بدراسة مخارج وصفات الحروف والقراءات، ويوضح أهمية هذا العلم في حفظ القرآن من التحريف والتغيير، ويبين أن هذا العلم يساعد على فهم المعاني الدقيقة للكلمات والآيات.

^{١٠٢} انظر: سعيد حوى، الأساس في التفسير، (القاهرة: دار السلام، ط٦، ١٤٢٤هـ)، ج٢، ص٩٣٦.

- المحقق الخليلي يتناول مسألة النسخ والمنسوخ، ويبحث في أسباب النزول وأحكام التعامل مع المنسوخ، ويذكر أمثلة على آيات نسخت بأخرى، ونسخ القرآن للسنّة
- المحقق الخليلي يبرز قيمة علوم القرآن في فهم كتاب الله تعالى، ويدعو إلى تعظيم هذا الكتاب وتدبر معانيه، ويحث على نشر هذا العلم بين المسلمين.



الفصل الخامس

نماذج تطبيقية على دلالة السياق القرآني في التفسير عند المحقق الخليلي

التفسير بالسياق القرآني هو أحد المناهج التي تهدف إلى فهم القرآن الكريم بما يتوافق مع نظامه الداخلي وترابطه البنائي وتناسقه المعنوي. وقد اهتم بهذا المنهج عدد من المفسرين والباحثين في علوم القرآن منهم المحقق سعيد بن خلفان الخليلي، الذي قدم مساهمات قيمة في هذا المجال. وفي هذا الفصل سنتعرف على مفهوم التفسير بالسياق القرآني عند المحقق الخليلي، وأصوله وضوابطه وأهمية تطبيقه في فهم كتاب الله تعالى من خلال استعراض بعض النماذج التطبيقية من تفسيرانه التي تبرز دقة ملاحظته وعمق تحليله السياقي للآيات القرآنية.

المبحث الأول: دلالة السياق القرآني في تفسير الفاتحة عند المحقق الخليلي

اهتم المحقق سعيد بن خلفان الخليلي بدراسة دلالة السياق القرآني في تفسيره لسورة الفاتحة، والتي أول سورة في المصحف وأهمها، فهي تشتمل على خلاصة مضامين القرآن كله. وفي هذا المبحث نسعى لإظهار كيف أن المحقق سعيد بن خلفان الخليلي في تفسيره لسورة الفاتحة استشهد بأدلة لغوية وبلاغية وعقلية، واستخدم منهجاً علمياً وموضوعياً لإبراز دور السياق القرآني في معاني ألفاظ وآيات الفاتحة، وفي تحديد نوع الخطاب والمخاطب، وفي استخراج الأحكام والمعارف، وفي فهم الغاية منها. من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: تعريف التفسير لغة واصطلاحاً

التفسير لغة: هو مصدر فسر، ويعني الكشف أو الإبانة أو الظهور، يقال فسر الشيء وضح^١. أي أن التفسير يعني بيان ما يحتويه القرآن من معاني وحكم وأحكام.

^١ انظر: نخبة من اللغويين بجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، (القاهرة: مجمع اللغة العربية، ط ٢، ١٩٧٢م)، ج ٢،

اصطلاحاً، التفسير هو علم يبحث فيه عن دلالة القرآن على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية. أي أن التفسير يعني استخراج المعاني الحقيقية والمجازية والظاهرة والباطنة للآيات القرآنية^٢ بالاستناد إلى المصادر الشرعية واللغوية والعقلية.

هناك أنواع مختلفة من التفسير، منها:

التفسير بالمأثور: وهو التفسير الذي يعتمد على نقل الروايات والأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين في شرح الآيات^٣، مثل تفسير ابن جرير الطبري وتفسير ابن كثير.

التفسير بالرأي: وهو التفسير الذي يعتمد على الاجتهاد والقياس والاستدلال في فهم المعاني، مع مراعاة أصول الدين وأدلة الشرع، مثل تفسير الزمخشري وتفسير ابن تيمية. التفسير بالإشارة: وهو التفسير الذي يعتمد على استخلاص المعاني المجازية والباطنية والإشارات الروحانية للآيات^٤، مع احترام حدود المأثور، مثل تفسير الغزالي وتفسير ابن عربي. أما المفسرون من الصحابة، فأشهرهم هم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وابن عباس رضي الله عنهما، وابن مسعود رضي الله عنه، وأبو بن كعب رضي الله عنه^٥. فكانوا يتمتعون بمعرفة عميقة باللغة العربية وأساليبها، وكانوا قريين من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذوا منه شرح الآيات، كما كانوا يعرفون أحداث نزولها وظروفها.

^٢ انظر: أحمد عبد الغفار، التفسير ومناهجه والنص وتفسيره، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٠م)، ص ١٩

^٣ انظر: أيوب آدم رسول البرزنجي، أقوال الأكثرية في التفسير بالمأثور في القرنين الرابع والخامس هجري، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠١٩م)، ص ٣٩.

^٤ انظر: مشعان سعود العيساوي، التفسير الإشاري ماهيته وضوابطه، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠١٣م)، ص ٢٠١٧.

^٥ انظر: شمس الدين محمد بن علي بن أحمد/الداوودي، طبقات المفسرين، تحقيق: عبد السلام عبد المعين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٠م)، ص ٤.

المطلب الثاني: السياق الكلي لسورة الفاتحة عند المحقق الخليلي

جاء في الإتقان في علوم القرآن^٦ قاعدة معرفة السياق الكلي للسورة: أنك تنظر إلى الغرض الذي سيقته له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذكر الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام أو اللوازم التابعة له. فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، فإذا عقلته تبين لك وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية وفي كل سورة وسورة.

وبالنظر فيما أورده المحقق الخليلي في تفسير الفاتحة، نجد أنه جعل محور السورة هو تعلم الأدب في الطلب من الرب الهداية والنعمة حيث قال: "حث لهم على الاجتهاد في الدعاء الذي هو رأس العبادة بمراعاة شروطه وتشويق بأن يكونوا داخلين في زمرة وفده الراجين"^٧. وقال في موضع آخر: "وسر الأدب فيها يأتي من الدعاء، فإنه لم ينطق بطلب الشيء إلا بعدما استنصر والتجأ وتضرع وصرح بالعبودية وأظهر الاستكانة، وفيه إظهار لسر قدرة الربوبية"^٨ وهو مناسب لأحد أسمائها، سورة تعليم المسألة: لأن فيها آداب السؤال^٩. وقد قررت هذا السياق وأيدته سمر محمد^{١٠} فقالت: "وبالنظر إلى مكونات هذا السياق نجد أنه ينقسم إلى قسمين: الأول: بيان استحقاق الله تعالى للكمال المطلق، وهو متعلق بالله تعالى. الثاني: بيان اختصاصه تعالى بالعبودية والسؤال، وهو متعلق بالعبد من حيث إنه دال على سبيل كمال العبد بإخلاص العبودية والسؤال لله.

والذي يؤكد لنا هذا السياق ويجليه الحديث الصحيح الذي قسم الله تعالى فيه السورة بينه وبين عبده وسمّاها بالصلاة، كما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

^٦ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ط، ٢٠١٧م)، ص ٤٧٣.

^٧ سعيد بن خلفان الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، تحقيق: حارث بن شامس البطاشي، (القاهرة: دار الهلال العالمية، ط ١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، ج ١٣، ص ٤٨٦.

^٨ المرجع نفسه، ج ١٣، ص ٤٨٥-٤٨٦.

^٩ السيوطي، المرجع نفسه، ج ١، ص ٥٣.

^{١٠} سمر محمد حاووط، أول الغيث في تفسير سورة الفاتحة والجزء الأول من سورة البقرة، راجعه: أحمد سليمان الرقب، (الأردن: دار المأمون للنشر، ط ١، ٢٠٠٨م)، ص ٢٢/٢٣.

قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبي ما سأل، فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين"، قال الله تعالى: حمدي عبدي. وإذا قال: ﴿الرحمن الرحيم﴾، قال الله تعالى: أثني علي عبدي وإذا قال: مالك يوم الدين، قال: مجدي عبدي. وقال مرة: فوض إلي عبدي. فإذا قال: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾، قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبي ما سأل. فإذا قال: ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾، قال: هذا لعبدي ولعبي ما سأل^{١١}. فأما تسميته لها بالصلاة فلأنها ركن في الصلاة في كل ركعة منها، وهذا يؤكد ما بينهما من علاقة، وذلك لأن مقصدهما واحد وهو أنه يتمثل فيهما جميعاً كمال التوجه إلى الله تعالى، فبذلك تظهر العلاقة بينهما لاجتماعهما في الغرض والمقصود، فكأن الله تعالى يقول العلاقة بيني وبين عبدي نصفين تضمنتهما هذه السورة وهذه الصلاة.

فهي بذلك مقسمة إلى نصفين، النصف الأول ثناء على الله، والنصف الثاني دعاء إليه. تعلم العباد الأدب مع ربهم، ومدار ذلك كله مراقبة العباد لربهم، لإفراده بالعبادة، فهو مقصود الفاتحة بالذات وغيره وسائل إليه، وهو مقصود القرآن كله الذي تضمنته الفاتحة.

المطلب الثالث: السياق القرآني في مقطع آيات الربوبية لسورة الفاتحة عند المحقق الخليلي
قال المحقق الخليلي في تفسير ﴿الحمد لله رب﴾: إشارة إلى ما عداه فهو عبد^{١٢}، فالحمد محصور لله وحده^{١٣}، لأنه هو المستحق للحمد في كل حال، سواء في الرخاء أو الشدة، في السراء أو الضراء، في المنع أو العطاء. فلا يوجد أحد غير الله يستحق الحمد بلا شرط ولا قيد، بل كل ما يُحمد من المخلوقين فهو بفضل من الله وإنعام منه، فالحمد لله هو المنبع والمصدر لكل خير. ورب تدل على كمال غناه، وتمازى فقر العالمين إليه، بكل وجه واعتبار^{١٤} ﴿العالمين﴾: فيه مدح

^{١١} انظر: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م)، ج ١، ص ٢٩٦، رقم الحديث ٣٩٥.

^{١٢} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ١٣، ص ٤٨٤.

^{١٣} انظر: محمد متولي الشعراوي، أسئلة حرجة وأجوبة صريحة، (بيروت: دار العودة، ط ١، ١٩٨٢ م)، ص ١١٢.

^{١٤} انظر: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٨٨ م)، ص ٣٩.

لأهل العقول إذ من عليهم على من سواهم، ولم يقل العوالم^{١٥}. الطبطبائي ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾: التعريف للعهد لأن رحمته قديمة، أو للحصر أي من فعل ذلك غيره رحمة إيجاد تعم الجميع، رحمة إمداد تخص المؤمنين بدلالة التكرير والمضاعفة.

﴿ملك يوم﴾: إشارة إلى أنه لم يبق هنالك ملك سواه وأن الخلق كلهم ضعفاء تحت حكمه، يفعل فيهم بقدرته ما يريد، وفي هذا الخبر ذم الحياة الدنيا، إذ لم يجعلها الله شيئاً حتى كأنها لحقارتها لم يرض أن يمتدح بملكها، وتعظيم لذلك اليوم، وذكره دع ما وراءه يوم فيه تهويل للموقف إذ جميع تلك العظام والأهوال، والزلازل التي تبرز في يوم واحد.

﴿الدين﴾: إشارة إلى العدل، فمن يعمل ومن لم يعمل كما تدين تدان، وفيه تخويف وتحذير من موبقات الأعمال، وفيه تبشير بقاء العمل الصالح ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: هذه من مقابلة ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وصف ربه بالربوبية وهنا وصف نفسه بالعبودية، وتعلق بين يديه أن جعل نفسه من عبيده رجاء أن يكفله ما أهله وانقطاعه لمولاه لأن من عادة المولى كفاية عبيده، وأن لا يهملهم سدى للشياطين، ولا سيما إن كان بضعفهم عارفاً، وفيها سر إخلاص العبادة له، وفيها سر تحقيق العبودية الموجبة للخدمة في مقام الربوبية المدهشة لعظمتها، فلا غرو أن يقول: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: هذه من مقابلات ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ بواو العطف لسر الجمع، أي نستعين بك مع القيام بالعبادة، لا مع إهمال المقام الأول، وفيها سر الإخلاص للتصريح بلفظة إياك نستعين، أي لا نستعين بسواك قطعاً، وسر الرجاء الجازم لأن السؤال غير متردد، وسر الإقرار بالعجز من العبد عن القيام بحق الرب، فإنه لا يستعين إلا من ظهر عجزه فتبين له حزمًا، وسر الأدب فيما سيأتي من الدعاء، فإنه لم ينطق بطلب لشيء إلا بعد ما استعان واستنصر، والتجأ وتضرع، وصرح بالعبودية وأظهر الاستكانة، وفيه^{١٦}.

وتفسير المحقق الخليلي يتوافق مع ما ذهب إليه ابن تيمية حيث قال إن: هاتان الكلمتان تجمعان معاني الكتب المنزلة من السماء^{١٧}

^{١٥} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ١٣، ص ٤٨٥.

^{١٦} المرجع نفسه، ج ١٣، ص ٤٨٥.

^{١٧} محمد السيد جليند، دقائق التفسير الجامع للإمام ابن تيمية، (مكة المكرمة: دار القبلة للثقافة الإسلامية، ط ١، ١٩٨٦م)، ج ١، ص ٢٢٦.

فهي عماد السورة، وإليها يرجع مضمون السورة كلها. إذ أنها واردة لغرض عظيم وهو تقرير استحقاقه تعالى واختصاصه بالعبودية والاستعانة.

ونخلص مما سبق أن المحقق الخليلي راعى السياق اللغوي للآيات وفي الوقت ذاته سلك مسلك التفسير الإشاري في تفسير المقطع الأول من سورة الفاتحة كالآتي:

١. السياق اللغوي الذي اعتمد عليه المحقق الخليلي في تفسير القسم الأول من الفاتحة

الآية	الروابط السياقية	نوع السياق
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾	مقابلة مع آية سابقة	سياق سابق
﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	مقابلة مع آية سابقة	سياق سابق
إياك نعبد وإياك نستعين	واو العطف	سياق الآية نفسها

وهذا من أثر السياق على الألفاظ في السورة فوجه الجمع بين الرحمن والرحيم. الجمع بينهما مناسب للسياق من جهة تحقيق اختصاصه تعالى بالكمال المطلق، بين الله تعالى هذه الصفة بكمالها وهي جمعه بين الوصف المتعلق بذاته، والفعل المتعلق بالمخلوقين، ولا يتحقق هذا الكمال إلا بهذا المعنى في اقتران الوصفين. والجمع بين الالتمين على هذا المعنى مناسب لما تضمنته السورة من تقسيمها إلى قسمين، قسم متعلق بالله، وقسم متعلق بالعبد. وأيضاً فإن ذلك مناسب لكون السورة هي السبع المثاني التي يذكر فيها الشيء ومقابله^{١٨}.

^{١٨} انظر: ابن القيم الجوزية، الضوء المنير على التفسير، تحقيق: علي الحمد الصالحي، (الرياض: مؤسسة النور للطباعة، ط ١، ١٩٩٤م)، ج ١، ص ١٣٤.

٢. مضمون اللطائف أو الأسرار التي استرشدها المحقق الخليلي من القسم الأول من الفاتحة.

- | "إِيَّاكَ نَعْبُدُ": وصف نفسه بالعبودية والاستكانة.
 - | "وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ": زيادة في الخضوع والاستنجاد بالمساعدة.
 - | بواو العطف لسر الجمع، أي نستعين بك مع القيام بالعبادة، لا مع إهمال المقام الأول: طلب العون مع الاستمرار في العبادة.
 - | سر الإخلاص للتصريح بلفظة إياك نستعين: التصريح بالاستعانة بالله وحده.
 - | سر الرجاء الجازم: الرجاء القوي والثقة.
 - | سر الإقرار بالعجز من العبد عن القيام بحق الرب
 - | سر الأدب في الدعاء: توجيهه للانتباه للجزء المقبل من الآيات
- وفي حقيقة الأمر أن للتفسير الإشاري دوراً في السياق القرآني، وهو إبراز بعض المعاني والحكم والدروس التي تتعلق بالموقف الذي نزلت فيه الآية أو بالغرض الذي ترمي إليه، وهذه المعاني قد تكون خفية عن الناظر المتعلق بالدلالة المباشرة للألفاظ، ولكنها تظهر لمن يتأمل ويتدبر القرآن بعمق وبصيرة، وهذا النوع من التفسير يحتاج إلى معرفة باللغة والبلاغة والشريعة والتاريخ والسيرة، وإلى رصانة علمية ودينية^{١٩}، وإلى اتباع ضوابط محددة لتجنب الانحرافات والمبالغات من ضوابط التفسير الإشاري أن لا يخالف الظاهر المتواتر من القرآن والسنة، وأن لا يكون محمولاً على مذهب أو فرقة أو رأي معين، وأن لا يكون مبنياً على خواطر أو أحاسيس أو تجارب شخصية، وأن يكون مستنداً إلى دليل شرعي أو لغوي أو عقلي^{٢٠}، و أن يكون التفسير الإشاري المستنبط متوافقاً مع السياق والمقام والمقصد، وأن لا يكون مجرد تأويل أو تلميح لا يراد به إلا إثبات رأي.

^{١٩} انظر: هادي نور توفيق، المدخل في علوم القرآن، (أندونيسيا: الجامعة المحمدية مالانج، ط ١، ٢٠٢٢م)، ص ٢٤٧.

^{٢٠} انظر: مساعد بن سليمان الطيار، مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، (الرياض: مركز التفسير للدراسات القرآنية، ط ١، ٢٠٢٠م)، ج ٢، ص ٢٠٤.

المطلب الرابع: السياق القرآني في مقطع آيات طلب الهداية من سورة الفاتحة عند المحقق الخليلي

يقول المحقق الخليلي في قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: فألهمهم طريق الخلاص والإنقاذ باستعانة ثانية، وهي طلب مجرد الهداية التي لا يقدر عليها إلا به، ولا ترجأ إلا منه فقالوا: اهْدِنَا علما بأنه لا هادي إلا هو وبمئته ورحمته هداهم إلى الطريق الواضح، وهذا هو الطريق الذي يقودنا إلى الله، يبدأ بمعرفة الله والإيمان به كرب يخضع له العباد، ثم نتلقى منه رحمت متتابعة تجعلنا نشعر بتواضعنا وانكسارنا وخضوعنا وخشوعنا أمامه، فإذا فعلنا ذلك نرى منه عظمة وجلالة وقدرة تدفعنا إلى الطلب منه بخضوع، وهذا الطريق لا يمكن أن نعرفه بأنفسنا، بل نحتاج إلى نور من الله يبين لنا ما هو خير لنا. هذا الطريق هو طريق الحق الذي لا يمكن أن نفهمه بعقولنا فقط، بل نحتاج إلى توفيق من الله يفتح لنا عيون قلوبنا. فإذا فتح الله لنا عيون قلوبنا، سنرى الحق كما هو، ولو كان دقيقاً جداً، مثل سيف رفيع أو شعرة رقيقة^{٢١}

نرى أن المحقق في تفسيره لآية طلب الهداية للصراط المستقيم يربطها بسباق الآية حيث الإستعانة الأولى في قوله إياك نستعين ويبرز أهمية وشرف هذا الطلب، ويوضح أنه لا يمكن للإنسان أن يصل إلى صراط الله المستقيم إلا بفضل الله وإستعانت به. وإلى هذا المعنى ذهب ابن القيم في قال ابن القيم: لما كان سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم من أجل المطالب لنيل بها أشرف المواهب علم الله تعالى عباده كيفية سؤاله، وأمرهم أن يقدموا بين يدي الدعاء حمده سبحانه وتعالى، والثناء عليه، وتمجيده^{٢٢}

مقامات أنعمت عليهم:

يرى المحقق الخليلي أن سلوك الإنسان وتدرجه في العمل بأوامر الله تعالى هو يجعله أكثر قرباً من رضاه. فالعبادة والطاعة لله تكون في ثلاث مقامات:

٢١ انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ١٣، ص ٤٨٨.

٢٢ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي ابن قيم، تهذيب مدارج السالكين، تحقيق: عبد المنعم العزي، (مصر: دار النشر للجامعات، ط ١، ٢٠١٠م)، ص ٢٦.

١. الإسلام: يُفهم من قوله تعالى ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ وَآمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ

قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤] أن الإسلام هو القيام بالأعمال الظاهرة كالصلاة والزكاة والصيام والحج، مع فعل المأمورات واجتناب المحظورات من يفعل هذه الأركان فقط يُطلق عليه اسم مسلم.

٢. الإيمان إلى جانب أركان الإسلام، يجب على المؤمن أن يؤمن بقلبه بالله تعالى

وبرسوله، وأن يكون مستشعرًا لحضور الله في حياته هذا هو مقام الإيمان

٣. الإحسان: هذه هي المرتبة الأعلى هذا المقام يشير إلى مرحلة تواصل مستمر مع

الله، كأنه يراه، والتزام المؤمن بفضائل الخير والإحسان إلى ناسه سواءً في كلامه أو علاقاته. إذا كان المؤمن يتحلى بهذه المروءات، فإن ذلك يجعله قريباً من رضا الله^{٢٣}. ومقام الإحسان هذا درجات أولها درجة الحب واستشهد لهذه الدرجة بالحديث القدسي (لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه^{٢٤})، ثم درجة التمكين ثم الاستغراق.

مع أن تفسير المحقق هنا إشاري إلا أنه استخدم روابط سياقية داخلية وخارجية للاستدلال على قوله منها:

أ. ربط الآية القرآنية بآية أخرى في نفس الموضوع من باب تفسير القرآن بالقرآن حينما تحدث عن مقام الإسلام، ثم استشهاده في نفس المقام بحديث أركان الإسلام وهذا سياق خارجي

^{٢٣} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ١٣، ص ٤٩١.

^{٢٤} تنمة الحديث: (فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته)، والحديث من رواية أبي هريرة رضي الله عنه وفي الباب عن ميمونة وأبي أمامة وأنس وعائشة رضي الله عنهم. أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الرقاق باب قول النبي ﷺ ألا بعثت أنا والساعة كهاتين (٥/ ٣٣٨٤، رقم ٦١٣٨)، والإمام مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب الحث على ذكر الله تعالى (٤/ ٢٠٦١، رقم ٢٦٧٥)، والإمام أحمد في مسنده (٦/ ٢٥٦، رقم ٢٦٢٣٦)، وابن حبان في صحيحه كتاب البر والإحسان باب ما جاء في الطاعات وثوابها (٢/ ٥٨)، رقم ٣٤٧ والشهاب القضاعي مسنده (٢/ ٣٢٧)، رقم (١٤٥٦)، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٢٠٦)، رقم (٧٨٣٣)، والبيهقي في السنن الكبرى كتاب صلاة الاستسقاء باب الخروج من المظالم والتقرب إلى الله تعالى بالصدقة ونوافل الخير رجاء الإجابة (٣/ ٣٤٦)، رقم (٦١٨٨).

ب. ومن ضمن استشهاده بالسياق الخارجي حديث الإحسان (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك)^{٢٥}، ثم بالحديث القدسي لبيان درجة الحب التي هي فرع من مقام الإحسان.

كما أن الآية ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أيضًا تعني أنه يشمل فئات مختلفة من الأشخاص، مثل النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين. وكل من هذه الفئات تسلك صراطًا مختلفًا، وفقًا لمرتبتهم، ودرجة إيمانهم، وإحسانهم.

التحليل السياقي:

ومن أنواع السياق التي استخدمها المحقق الخليلي في هذه الآية أيضا اللفظة القرآنية وأثرها على السياق القرآني، حيث بين أثر لفظتي أنعمت وعليهم على سياق الآية:

أ. أما بالنسبة للتعبير "أنعمت"، فهذا يشير إلى نعمة الله وفضله على هؤلاء الأشخاص. النعمة تأتي من الله من خلال تطهير وتهذيب العبد. والآية تدل على أن هذه النعمة لا يمكن للإنسان فهمها تمامًا بالكلمات، بل تُدرك عن طريق الروح والقلب، وقد يكون بعض الأشخاص محظوظين بالشعور بها بشكل خاص.

ب. يقول المحقق الخليلي موضحاً أثر اللفظ على السياق أتى بلفظة (عَلَيْهِمْ) مبالغة في شمول النعمة لهم، فكأنها قد أطبقت عليهم من الجوانب كلها، لأن الاستعلاء على الشيء تمكن منه، وفيه إشارة لطيفة إلا أنهم مع وصول هذه الدرجة لا سبيل عليهم لشيء لأن نعمته محيطة بهم متمكنة منهم فهم في ظلها يسرحون، وفي كنفها يمسون ويصبحون، فتبارك الله رب العالمين^{٢٦}.

^{٢٥} أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب قول إن الله عنده علم الساعة رقم ٤٧٧٧، ومسلم في كتاب الإيمان باب الإيمان ما هو وبيان خصاله رقم ٩٧، والنسائي في كتاب الإيمان باب صفة الإيمان والإسلام رقم ٥٠٠٦، وابن ماجه في كتاب السنة باب في الإيمان رقم ٦٤ من طريق أبي هريرة، ورواه الإمام الربيع في مسنده باب الإيمان والإسلام والشرائع ٥٦ من طريق أبي عبيدة عن جابر بن زيد عن أنس بن مالك مرفوعاً: (الإحسان أن تعمل الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

^{٢٦} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ١٣، ص ٤٩٧.

ج. استشهد المحقق الخليلي بآثار الصحابة، لتوضيح المفاهيم التي يتحدث عنها، ومن ذلك القصة التي أوردها عن علي رضي الله عنه مع السائل في سياق بيان مقامات الذين أنعم الله عليهم وتضمنت:

١. الحوار بين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه والسائل: تناولت القصة حوارًا بين الإمام علي بن أبي طالب وشخص يسأله عن سر القدر. يسأله الشخص إن شاء الله للأشياء حسب مشيئته أم حسب مشيئة الإنسان، وكذلك عن رزق الإنسان. يقوم الإمام بالإجابة على هذه الأسئلة وتوضيح الفهم الصحيح للقدر والمشيئة.^{٢٧}

٢. معنى لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم: يشرح الإمام علي كرم الله وجهه معنى هذه العبارة، حيث إنها تعبر عن الاعتماد على الله وبالله في كل أمور الحياة، سواءً للابتعاد عن معصية الله أو للالتزام بطاعته. تشير العبارة إلى أن الإنسان بحاجة إلى عصمة الله ليتجنب الخطأ وتوفيق الله ليكون مطيعاً له.

٣. السكينة وثلج اليقين: يتحدث الإمام عن حالة السكينة والثقة العميقة في الإيمان، وكيف أن الإيمان القوي يقوي القلب ويزيل الشكوك. ويتساءل إن كانت هذه الحالة قد وصلت إلى السائل، وبالإيجاب يشجعه على تحية أخاه الإنسان ودعوته للإسلام.

^{٢٧} انظر: المرجع نفسه، ج ١٣، ص ٤٩٢. وانظر أيضاً: محمد السيد تيجاني، الفوز والنجاة في الهجرة إلى الله، تحقيق: زكريا عميرات، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٠م)، ص ٣٥. وذلك لما سئل علي بن أبي طالب عن سر القدر قال للسائل: سر خفي فلا تنظره قال: بينه لي. قال: خلقت كما تشاء أم كما يشاء؟ قال: كما يشاء، قال: وكل الأشياء قسها عليه. قال: زدني بياناً. قال: رزقك كما تشاء أم كما يشاء. قال: كما يشاء. قال: وكل الأشياء قسها عليه. قال: زدني بياناً. قال: إن جعلت مشيئتك مع مشيئته فقد أشركته، وليس لله شريك وإن قلت دون مشيئته فقد غالبته. ثم قال: أتقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم؟ قال: نعم. أتدري ما معناها؟ قال معناها لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله، ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيق الله. ثم قال أوقعت على قلبك السكينة وثلج اليقين؟ قال: نعم. قال: فصافحوا أخاكم فقد أسلم إسلاماً جديداً.

ثلج اليقين هو تعبير يستخدم في اللغة العربية للإشارة إلى درجة عالية من اليقين والتصديق. يعبر عن الثقة والإيمان القوي بالأمر والمعتقدات دون أدنى شك في السياق الديني، يُستخدم هذا التعبير لوصف الإيمان القوي والثابت بالله والأمر الروحية والدينية بشكل عام. يمكن تصويره كأنه جليد اليقين، أي أنه قوي وبارد كالثلج، مما يعني أنه لا يمكن أن يتزعزع بسهولة.

وخلاصة القول أن المحقق سعيد بن خلفان في تفسيره لسورة الفاتحة اعتنى بجانب الدلالة السياقية للآيات مقترنا بالتفسير الإشاري، ويظهر ذلك جلياً في توظيفه أنواع السياق المختلفة مثل تركيزه على السياق الكلي لسورة الفاتحة ومحورها، بما في ذلك موضوعها ومكانتها في القرآن، ومن ثم يركز على السياق القرآني في مقطع آيات الربوبية وكيف يظهر مفهوم ربوبية الله فيها. كما أبرز المحقق الخليلي أيضاً السياق القرآني في مقطع آيات الهداية وكيف يتجلى طلب الصراط المستقيم فيه. وأشار المحقق الخليلي كذلك إلى أثر اللفظة القرآنية على سياق التفسير في لفظتي أنعمت وعليهم، واستعرض أحاديث نبوية وآثار الصحابة كجزء من استدلاله الخارجي بما يؤيد قوله. وهكذا، تظهر براعة المحقق الخليلي في الجمع بين السياق اللغوي بأنواعه وبين إظهار التفسير التأويلي والإشاري بشكل متزن بدون شطط أو انحراف في تفسير سورة الفاتحة.

المبحث الثاني: دلالة السياق القرآني في استحضار مشهد من يوم القيامة في سورة الحديد عند المحقق الخليلي

يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خُلِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ • يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهَرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ • يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [الحديد: ١٢-١٤]

فسر المحقق الخليلي هذا المقطع الحي المهيّب من يوم القيامة تفسيراً سياقياً دقيقاً مترابطاً وفق تسلسل الآيات فيه، وسوف يعرض المبحث تفسيره من خلال ثلاثة مطالب ابتداء من مرحلة المسير وانتهاء بالجزاء الأبدي كما سيأتي:

المطلب الأول: مرحلة مسير أصحاب النور وأصحاب الظلمة يوم القيام

وهذه المرحلة كما في المقطع بها عدة وقفات كالتالي:

الوقفات السياقية الأولى: طريقة سعيهم:

يتجلى في الآيات السابقة إكرام الله للمؤمنين، وإبعاد النصب والتعب والمهانة عنهم، فهي تصف مشهداً من مشاهد يوم القيامة^{٢٨}، وذلك حين يقف المؤمنون على أرض المحشر، وقد وهبهم الله أنواراً عظيمة تسعى بهم في ذلك اليوم المشهود.

يقول المحقق الخليلي أن المؤمنين يجتازون يوم القيامة بأنوارهم ركبناً على نجائبهم كالبرق الخاطف في سرعتهم^{٢٩} ويدل على أنهم ركبناً أمور من السياق الداخلي منها:

أ. قال تعالى: ﴿يسعى نورهم﴾، ولم يقل يمشي نورهم؛ للدلالة على الإسراع بهم إلى الجنة، وهو من الإكرام لهم، فإن الإبطاء إلى السعادة يحمل نوعاً من التنغيص، ففي الإسراع ما فيه من الإكرام والتكريم.

ب. بنى المولى عز وجل الفعل للمعلوم (يسعى)، ولم يقل يسعى بهم بالبناء للمجهول، وأسند سبحانه وتعالى فعل السعي إلى النور؛ للإشارة إلى أن النور الذي وهبهم إياه يسعى بهم، ويرافقهم ويلازمهم أينما توجهوا وحيثما حلوا حتى يصلوا إلى الجنة. ولم يوجه الفعل للمؤمنين، فلم يقل (يسعون)؛ لأن سعيهم قد يتسبب في إجهادهم، ولم يقل إنهم يمشون لأن المشي قد يؤدي إلى التباطؤ. ونسب الله النور لهم فقال تعالى: "نورهم" مما يظهر اختصاصه بهم وحدهم، ولم يجعله عامّاً يستفيد

^{٢٨} خالد بن محمد العبدلي، مصير الإنسان في اليوم الآخر بين القرآن الكريم والعهدين القديم والجديد، (سلطنة

عمان: مكتبة خزائن الآثار، ط١، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م)، ص ١٥٢.

^{٢٩} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ١، ص ٣٥٥.

منه المنافقون والكافرون، فكل مؤمن لديه نوره الذي يستنير به وحده دلالة على أن نور المؤمن يتناسب مع أعماله. فمنهم من يكون نوره مشرقاً كالنخلة في العظم، ومنهم من يكون نوره أقل تألقاً، وهذا يعتمد على جهده في الطاعة. وفي الآية إكراماً للمؤمنين وإظهاراً لحسرة المنافقين^{٣٠}.

دلالة السياق الخارجي: هناك عدة روايات تناولت هذا القول عن الإمام علي بن أبي

طالب منها:

عن النعمان بن سعد: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ عَلِيٍّ فَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ يَوْمَ نَخْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا قَالَ لَا وَاللَّهِ مَا عَلَى أَرْجُلِهِمْ يُخْشَرُونَ وَلَا يُخْشَرُ الْوَفْدُ عَلَى أَرْجُلِهِمْ، وَلَكِنْ يُؤْتَوْنَ بِنُوقٍ لَمْ تَرَ الْخَلَائِقُ مِثْلَهَا عَلَيْهَا رَحَائِلُ مِنْ ذَهَبٍ يَرْكَبُونَ عَلَيْهَا حَتَّى يَضْرِبُوا أَبْوَابَ الْجَنَّةِ^{٣١}.

أورد المحقق الخليلي في تفسيره لهذا المقطع أن النور حسي^{٣٢} ولهذا القول يذهب البحث للاعتبارات التالية:

ج. دليل من السياق القرآني على أن النور حسي وليس مجازياً من باب تفسير القرآن بالقرآن، وهذا النور على الحقيقة، وليس استعارة أو كناية عن الهدى، وهذه الحالة من الأنوار يلبسها المولى سبحانه السعداء، مسوقين إلى أرض فيها نور؛ إكراماً لهم، يقول الله وَجَلَّ: (وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا) [الزمر: ٦٩]، وهي أرض الآخرة المبدلة، قال سبحانه: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، وما فيهما ؛ لذلك قال الله: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ١٩] فلا شمس ولا قمر، فقد ذهباً، ولا أثر لهما، يقول سبحانه: ﴿وَحَسَفَ الْقَمَرُ. وَجَمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٨-١٩]، ويقول تعالى أيضاً: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١]، وهذا يدل على أن النور ليس مكتسباً

^{٣٠} انظر: محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، (تونس: دار التونسية للنشر، ط ١، ١٩٨٤م)، ج ٢٧/٢٨، ص ٣٧٩.

^{٣١} انظر: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، جمع الجوامع الجامع الكبير في الحديث والجامع الصغير وزوائده، تحقيق: خالد عبد الفتاح شبل، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠١٦م)، ص ١٢٠.

^{٣٢} انظر: سعيد بن خلفان الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ١، ص ٣٥٤.

من الشمس؛ لعدم وجودها أصلاً^{٣٣}، وهذا ما أفاده السعدي أيضاً في تفسيره:
أن الأنوار الموجودة تذهب يوم القيامة وتضمحل وفقاً لما أخبر الله به أن الشمس
تُكْوَر، والقمر يُخْسَف^{٣٤}

الوقفة السياقية الثانية: جهة سعي نور المؤمن يوم القيامة

علل المحقق الخليلي في تفسيره لجهة سعي النور بين يدي المؤمنين وعن أيماهم يستضيئون به في
ظلمات يوم القيامة، بأنها الجهة التي يأخذون منها صحائفهم، كما أن المنافقين والكافرين
يؤتونها عن شمالهم، وتحول وجوههم عن هيئتها إلى قفائهم، فيأخذونها من وراء ظهورهم والعياذ
بالله تعالى^{٣٥}، إذا هي من باب المقابلة السياقية، ووافق هذا القول ما ذهب إليه الزمخشري في
الكشاف^{٣٦} حيث قال "لأن السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين". وذهب إلى
القول نفسه البيضاوي في تفسيره^{٣٧}، وأبو حيان الأندلسي في البحر المحيط^{٣٨}، والخازن البغدادي
في لباب التأويل^{٣٩}، أما عن جهة أخذ المؤمن كتابه بيمينه فهي واضحة في قوله تعالى ﴿فَأَمَّا
مَنْ أُوِّيَ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابَهُ﴾ [الحاقة: ١٩]، وقوله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوِّيَ
كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨.٧]. وأما إيتاء الكتاب من

^{٣٣} خالد بن محمد العبدلي، مصير الإنسان في اليوم الآخر بين القرآن الكريم والعهدين القديم والجديد، (سلطنة
عمان: مكتبة خزائن الآثار، ط ١، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م)، ص ١٥٢.

^{٣٤} انظر: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١،
١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ص ٧٢٩.

^{٣٥} الخليلي، تهديد قواعد الإيمان، ج ١، ص ٣٥٤.

^{٣٦} انظر: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التفسير، (بيروت: دار الكتاب
العربي، ط ٣، ١٤٠٧هـ)، ج ٤، ص ٤٧٥.

^{٣٧} انظر: ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل مع تخريج أحاديث البيضاوي،
تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤١٨هـ)، ج ٥، ص ١٨٧.

^{٣٨} أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، (بيروت: دار الفكر، د. ط،
١٤٢٠هـ)، ج ٥، ص ٢١.

^{٣٩} انظر: علاء الدين علي بن محمد الخازن البغدادي، لباب التأويل في معاني التنزيل، (بيروت: دار الكتب العلمية،
ط ١، ١٤١٥هـ)، ج ٤، ص ٢٤٨.

الأمم فهو من باب المقابلة، فكما يؤتى الكافر بشماله من وراء ظهره، إذن المؤمن يؤتى من أمامه وعن يمينه بخلاف الشقي.

إضافة "نور" إلى ضمير "هم" وجعل بعده المكاني ﴿يَبْنَ أَيْدِيَهُمْ وَيَأْمَنُهُمْ﴾ ليبين أنه نور لدوائهم أكرموا به، أي أن هذا النور اختصاص بهم في ذلك اليوم بحيث يميزه الناس من الأنوار يومئذ.

قال - تعالى - يَسْعَى نُورُهُمْ: يسعى النور: امتداده وانتشاره فقد شبه ذلك باشتداد مشي الماشي وذلك أنه يحف بهم حيثما انتقلوا، وفي هذا التعبير ما لا يخفى من التنويه بشأنهم. وقال ﴿يَبْنَ أَيْدِيَهُمْ وَيَأْمَنُهُمْ﴾ خص بالذكر من الجهات (الأمم) و (اليمن) لأن النور إذا كان بين أيديهم تمتعوا بمشاهدته وشعروا بأنه كرامة لهم، ولأن الأيدي هي التي تمسك بها الأمور النفيسة وبها بايعوا النبي على الإيمان والنصر، وهذا نور حقيقي يجعله الله للمؤمنين يوم القيامة.

الباء في "بأيمانهم"، يجوز أن تكون بمعنى "عن" واقتصر على ذكر الإيمان تشريفاً لها وهو من الاكتفاء أي وبجانبيهم ويجوز أن تكون "الباء" للملابسة ويكون النور "الملابس لليمن نور كتاب الحسنات كما قال تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ يَمِينَهُ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق ٨٧]. فإن كتاب الحسنات هدى، وبعبارة موجزة نقول إن لفظ "النور" قد استعمل في معنياه الحقيقي، والمجازي وهو (الهدى) والبركة^{٤٠}.

يقول الزمخشري: وإنما قال تعالى: ﴿يَبْنَ أَيْدِيَهُمْ وَيَأْمَنُهُمْ﴾ لأن السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين كما أن الأشقياء يؤتونها من شمائلهم ومن وراء ظهورهم، فيجعل النور في الجهتين شعارا لهم وآية^{٤١}

وخص تعالى بين الأيدي بالذكر لأنه موضع حاجة الإنسان إلى النور، واختلف في قوله تعالى: (وبأيمانهم فقال بعض المتأولين: المعنى وعن إيمانهم فكأنه خص ذكر جهة اليمن تشريفاً،

^{٤٠} طالب محمد إسماعيل، أساليب المحاور في القرآن الكريم، تحقيق: عمران إسماعيل فيكتور، (الأردن: دار زهران للنشر

والتوزيع، ط ١، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م)، ص ١٢٤.

^{٤١} انظر: الزمخشري، الكشف عن حقائق غوامض التفسير، ج ٤، ص ٤٧٥.

وناب ذلك مناب أن يقول وفي جميع جهاتهم، وقال جمهور المفسرين: المعنى يسعى نورهم بين أيديهم يريد الضوء المنبسط من أصل النور وبإيمانهم أصله والشيء الذي هو متقد فيه^{٤٢}

الوقفه السياقية الثالثة: نور المؤمن حسي

ذهب المحقق الخليلي بأن نور المؤمن حسي، ويعضد هذا القول السياق الداخلي والخارجي بالرجوع لآيات النور المذكورة في القرآن.

وهذا النور^{٤٣} على الحقيقة وليس استعارة أو كناية عن الهدى، وهذه الحالة من الأنوار يلبسها المولى سبحانه السعداء، مسوقين إلى أرض فيها نور؛ إكراما لهم، يقول الله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ١٩]، وهي أرض الآخرة المبدلة، قال سبحانه: ﴿يَوْمَ تُبَدِّلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، وما فيهما؛ لذلك قال الله: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩]، فلا شمس ولا قمر، فقد ذهباً، ولا أثر لهما، يقول سبحانه: ﴿وَحَسَفَ الْقَمَرُ﴾ [٨] ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٩-٨]، ويقول تعالى أيضاً: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١]، وهذا معناه أن النور ليس مكتسباً من الشمس؛ لعدم وجودها أصلاً، قال السعدي: «عَلِمَ من هذا أن الأنوار الموجودة تذهب يوم القيامة وتضمحل، وهو كذلك، فإن الله أخبر أن الشمس تُكْوَرُ، والقمر يُحْسَفُ، فمن روائع القرآن في وصف أهل السعادة والإيمان أن يُجمع بين أصحاب النور في أرض فيها نور.

وننظر من ناحية التناسق الفني في عرض المشهد، فنجد لاختيار مشهد النور في هذا الموضع بالذات حكمة خاصة^{٤٤}. إن الحديث هنا عن المنافقين والمنافقات.. والمنافقون والمنافقات يخفون باطنهم ويتظاهرون بغير ما في الضمير المكنون، ويعيشون في ظلام من النفاق والفساد والوقية. والنور يكشف المخبوء ويفضح المستور. كما أنه الصفحة المقابلة للوضيعة

^{٤٢} أبو محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠١٦م)، ج٥، ص٢٦١.

^{٤٣} خالد بن محمد بن سالم العبدلي، مصير الإنسان في اليوم الآخر بين القرآن الكريم والعهد القديم والجديد، (سلطنة عمان: مكتبة خزائن الآثار، ط١، ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م)، ص١٥٢.

^{٤٤} سيد قطب، في ظلال القرآن، (القاهرة: دار الشروق، ط٣٤، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م)، ص٣٤٨٦.

لصفحة النفاق المظلمة المطموسة. فهو أليق شيء بأن تطلق أشعته على المشهد الكبير وبأن ينير بين أيدي المؤمنين والمؤمنات وبأيمانهم، بينما المنافقون في الظلام الذي يناسب ظلمات الضمير وظلمات الخفاء المستور^{٤٥}.

الوقفه السياقية الرابعة: مقدار النور

من كان مستنيراً بربه في حياته الدنيوية، فسيحظى بنور يهديه في حياته الأخروية، بمقدار ما اتبع من الحق. والحق هو النور الذي لا يخالطه ظلام في الدنيا ولا في الآخرة، والباطل هو الظلام الذي لا يخالطه نور، وهو سبب الهلاك إلا إذا تركه المرء وتجنبه. والمتبع للباطل هو أعمى يضل في حياته الدنيوية والأخروية، والظاهر من تفسير المحقق الخليلي أنه استند في تفسير مقدار نور المؤمن يوم القيامة على سياق خارجي، وهو الحديث الشريف الذي روي في هذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "الظلم ظلمات يوم القيامة"^{٤٦}، حيث قال المحقق الخليلي: فمن كان على نور من ربه في دنياه، فله بقدره هنالك نور يستضيء به في أخراه، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور^{٤٧}

وقال الفخر قال قتادة: ما من عبد إلا وينادي يوم القيامة يا فلان هذا نورك يا فلان لا نور لك نعوذ بالله من ذلك^{٤٨}.

وفي رواية أخرى حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت أبي يذكر عن المنهال، عن عمرو، عن قيس ابن سكين، عن عبد الله قال: «يُؤْتَوْنَ نُورَهُمْ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ،

^{٤٥} المرجع نفسه.

^{٤٦} أبي الطيب صديق بن حسن البخاري، عون الباري لحل أدلة صحيح البخاري، تحقيق: محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، (بيروت: دار الكتاب، ط ١، ٢٠٠٨م)، ج ٤، ص ٨٨، رقم الحديث: ١١١٧.

^{٤٧} الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ١، ص ٣٥٥.

^{٤٨} انظر: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، المنتخب في النوب، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ط، ٢٠١٢م)، ص ٢٢٢.

فَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْتَى نُورُهُ كَالنَّحْلَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْتَى نُورُهُ كَالرَّجُلِ الْقَائِمِ، وَأَدْنَاهُمْ نُورًا عَلَى إِيْهَامِهِ يُطْفَأُ مَرَّةً وَيَقْدَرُ مَرَّةً^{٤٩}.

واعلم أن العلم الذي هو نور البصيرة أولى بكونه نوراً من نور البصر، وإذا كان كذلك ظهر أن معرفة الله تعالى هي النور في القيامة، فمقادير الأنوار يوم القيامة على حسب مقادير المعارف في الدنيا.

المطلب الثاني: مرحلة البشرى وضرب السور والمحاورة بين الفريقين:

سياق استقبال الملائكة لهم: الملائكة معهم تلقوهم وبشرتهم وصحبته؛ غير أن الوفود المكرمة تتقلب في حسن الاستقبال والضيافة بما لا يخطر على بال بشر.

وبعد أن قدم سياق الآيات الكريمة صورة حية لأهل الجنة، أعقبها بذكر المحاورة التي استهلها بقول الذين يتلقوهم من الملائكة، ﴿بُشْرَاكُمْ الْيَوْمَ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ والبشرى: اسم مصدر وهي الإخبار بخبر يسر المخبر أي الذي تبشرون به هو: إعلام بدخول الجنة، فكأن في السياق الكريم حذف مضافين دل عليهما قوله تعالى ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أما جملة ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ فيحتمل أن تكون من بقية الكلام المحكي بالقول المبشر به، ويحتمل أن تكون من الحكاية التي حكيت في القرآن. وعلى الاحتمالين، فالجملة تذييل تدل على مجموع محاسن ما وقعت به البشرى. كما أن لفظ "ذلك" : أفاد الدلالة على التنبيه والتعظيم وحقق ضمير الفصل "هو" تقوية الخبر^{٥٠}، ونحس أن المحاورة تتفرع بدون أداة عطف في الآية الآتية ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣].

فالآية الكريمة تحرص على التذكير بأن زمن هذه المحاورة هو عين اليوم المعرف في الآية السابقة ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ فجاء بدلاً مطابقاً منه.

^{٤٩} محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، (مكة المكرمة: دار التربية والتراث، د.ط، د.ت)، ج ٢٣،

ص ١٧٩.

^{٥٠} طالب محمد إسماعيل، أساليب المحاورة في القرآن الكريم، ص ١٢٤.

سياق الاقتباس من النور: يجوز أن يكون معنى "انظرونا": انتظرونا فإنهم يسرع بهم إلى الجنة كالبرق الخاطف أي تريثوا في سيركم حتى نلحق بكم فنستضيء بالنور الذي بين أيديكم وبجانبيكم، وهذا يقتضي أن الله - تعالى - يأذن للمؤمنين الأولين بالسير إلى الجنة فوجاً ويجعل المنافقين سائرين وراءهم، أما معنى قوله "نقتبس" فالأقتباس: حقيقته أخذ القبس وهو الجذوة من الجمر، فيجوز أن يكون إطلاق نقتبس حقيقة بأن يكونوا ظنوا أن النور الذي كان مع المؤمنين نور شعلة، وحسبوا أنهم يستطيعون أن يأخذوا قبساً منه، يلقى ذلك في ظنهم لتكون خبيثتهم أشد حسرة عليهم. ويصح أن يستعار "الأقتباس" لانتفاع أحد بضوء آخر، لأنه يشبه الاقتباس في الانتفاع بالضوء بدون علاج، فمعنى ﴿نَقْتَبِسُ مِنْ نُورِكُمْ﴾ نصب منه وتلتحق به فيستنيروا به^{٥١}. فحيثما تتوجه أنظار المؤمنين والمؤمنات يشع ذلك النور المهيّب، ولكن أني للمنافقين أن يقتبسوا من هذا النور وقد عاشوا حياتهم كلها في الظلام! فيأتي صوت يناديهم: ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ أنه صوت للتهكم، والتذكير بما كان منهم في الدنيا من نفاق ودس في الظلام ارجعوا وراءكم إلى الدنيا. إلى ما كنتم تعملون، ارجعوا فالنور يلتمس من هناك، وهذا يسمى في اللغة أسلوب تهكم لاستخفافه بالمخاطب، ويدل على أن المخاطب لا يستحق النور ولا يمكنه الحصول عليه، وأن طلبه للنور من المؤمنين هو طلب باطل ومستحيل. وقد استخدم الله هذا الأسلوب لبيان حال المنافقين يوم القيامة، وكيف أنهم خسروا الدنيا والآخرة، وأنهم لا يجدون نصيراً. وقد أثر هذا الأسلوب البلاغي على السياق بأنه جعله أكثر قوة وتأثيراً في النفوس، وأظهر حقارة المنافقين وعظمة المؤمنين، وأبرز فضل الإيمان وشر النفاق، وأشعر بالخوف من عقاب الله والرجاء في رحمته.

أما بالنسبة للسرور فقد ذهب المحقق الخليلي كما أورد في تفسيره لهذه الآيات^{٥٢} وطائفة من المفسرون على أنه حاجز يكون يوم القيامة بين المنافقين والمؤمنين، وهذا ما يشهد له السياق القرآني، فالآية التي قبل هذه الآية قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّتُ بَحْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خُلِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

^{٥١} طالب محمد إسماعيل، أساليب المحاور في القرآن الكريم، ص ١٢٦.

^{٥٢} الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ١، ص ٣٥٦.

والآيتان اللتان بعدها قوله تعالى: ﴿يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾

فالسباق يسوق حال أهل الجنة وأهل النار يوم القيامة^{٥٣}، وأنه سيضرب بينهم بسور وهو حائط متين، يمنع المنافقين عن المؤمنين، ولا شيء يصرف الآية عن هذا المعنى^{٥٤}

ويرى المحقق الخليلي أن هذا السور هو المسمى بالأعراف المذكور في الآية: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ فقال: الأعراف اسم سور بين الجنة والنار، وهو المراد بقوله: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ سُورًا لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ﴾.

وذهب ابن عاشور^{٥٥} أن هذا السور حيث أفاد أنه لعل ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ سُورًا لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ﴾ المقصود به التمثيل، فالغرض بضرب السور بين المؤمنين والمنافقين الخيبة بعد الطمع الذي يؤدي إلى الحسرة وضرب السور بينهم، وجعل العذاب بظاهره والنعيم بباطنه قصد منه التمثيل لهم بأن الفاصل بين النعيم والعذاب هو الأعمال في الدنيا، وأن الأعمال التي يعملها الناس في الدنيا منها ما يفضي بعامله إلى النعيم ومنها ما يفضي بصاحبه إلى العذاب، فأحد طرفي السور مثال لأحد العملين^{٥٦} وطرفه الآخر مثال لخصمه. أي أنه فن بلاغي، وهو المقابلة، فقد طابق بين باطنه وظاهره وبين الرحمة والعذاب. حيث باطن ذلك السور الرحمة وهي الجنة، وظاهره أي خارج ذلك السور، من قبله أي من قبل ذلك الظاهر العذاب وهو النار.

إلا أنه وجدت في كتب التفسير إسرائيلييات متصادمة مع السياق القرآني، يرفضها صريح العقل وصحيح النقل والدوق السليم، وهذا جلي وواضح في جميع الإسرائيليات التي يحشرها الحاشرون في تفسير كتاب الله تعالى، وقد بلغت مصادمتها للسياق أنها قد ردت دلالاته

^{٥٣} المثني عبد الفتاح، نظرية السياق القرآني، ص ٣١٠.

^{٥٤} انظر: المرجع نفسه، ص ٣١٢.

^{٥٥} انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (بيروت: دار الكتاب، ط ١، ١٩٨٨م)، ج ٢٧، ص ٨٣.

^{٥٦} مرتضى قائمي وآخرون، "أسلوبية الانزياح في سورة الحديد المباركة"، إيران: جامعة آزاد الإسلامية، مجلة إضاءات نقدية بالأدبين العربي والفارسي، السنة ٦، العدد ٢٤، (٢٠١٦م)، ص ٥٥.

وصادمت معناه، فمن ذلك ما جاء في تفسير السور في هذه الآيات مما أورده شيخ المفسرين من روايات تخبر بأن المقصود من السور الوارد في الآية هو سور في بيت المقدس الشرقي، فقال: "حدثني علي، قال: ثنا الحسن بن بلال قال: ثنا حماد قال: أخبرنا أبو سنان، قال: كنت مع علي بن عبد الله بن عباس عند وادي جهنم، فحدث عن أبيه أنه قال: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ فقال: هذا موضع السور عند وادي جهنم^{٥٧}. وأورد أبو حيان في البحر المحيط^{٥٨} هذا القول حين قال: وَيَبْعُدُ قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّ هَذَا السُّورَ هُوَ الْجِدَارُ الشَّرْقِيُّ مِنْ مَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَهُوَ مَرْوِيُّ عَنْ عَبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَكَعْبُ الْأَحْبَارِ، وَلَعَلَّهُ لَا يَصِحُّ عَنْهُمْ.

وقد حاول ابن كثير أن يلطف حال هذه الروايات بمحاولة يائسة فقال: "وهذا محمول منهم على أنهم أرادوا بهذا تقريب المعنى ومثالاً لذلك، لا أن الذي أريد من القرآن هذا الجدار المعين ونفس المسجد وما وراءه من الوادي المعروف بوادي جهنم، فإن الجنة في السماوات في أعلى عليين والنار في الدركات أسفل سافلين".

لا يسعنا سوى رد هذه الروايات جملة وتفصيلاً؛ لمصادمتها للسياق القرآني وتقطع أوصاله وانتظامه لتقرر أمراً لا يصح.^{٥٩}

المطلب الثالث: مرحلة الجزء من جنس العمل والمناداة الأخيرة:

واستهل المنافقون محاورتهم المؤمنين بجملة إنشائية بأسلوب الاستفهام التقريري ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ الاستفهام كناية عن رغبة في طلب اللحاق بالمؤمنين والمؤمنات والانضمام إليهم كما كانوا معهم في أعمال الدنيا، فالسور المضروب يمنع الرؤية، ولكنه لا يمنع الصوت. فها هم أولاء المنافقون ينادون المؤمنين: ما بالنا نفترق عنكم؟ ألم نكن معكم في الدنيا نعيش في صعيد واحد؟ وقد بعثنا معكم هنا في صعيد واحد؟ ﴿قالوا: بلى، ولكنكم فتنتم أنفسكم﴾. في هذا

^{٥٧} ابن جرير الطبري، جامع البيان، ج ٢٣، ص ١٨٣.

^{٥٨} محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل،

(بيروت: دار الفكر، د. ط، ١٤٢٠هـ)، ج ١٠، ص ١٠٦.

^{٥٩} انظر: المثني عبد الفتاح، نظرية السياق القرآني، ص ٣١٠.

المقطع من الآيات الكريمة يخبرنا الله تعالى بالحوار بين المؤمنين والمنافقين، الذين يتهمون المؤمنين بالانفصال عنهم ويقولون إنهم كانوا يعيشون سوياً في الدنيا، ولكنهم في الحقيقة هم قد فتنوا أنفسهم وأصروا على خطأهم

فلم يكن لديهم إصرار حقيقي ولم يختاروا السبيل الصحيح، وبالتالي فإنهم لم يكن لديهم يقين حول قراراتهم. تأثروا بالأمانى الزائفة والتردد، وظلوا يتذبذبون بين مواقف مختلفة دون أن يتخذوا قراراً حاسماً، فمقطع الآيات يعطي درساً في المال الأخروي لمن يستمر على النفاق وعدم الثبات، وكيف يمكن أن تؤثر الأمانى والتردد في توجيه الأفراد. بعيداً عن الهدى والقيم الإيمانية الحقيقية.

والإجابة بـ "بلى" تعني إقراراً بأن المنافقون والمنافقات كانوا يتظاهرون بالإيمان ويشاركون المؤمنين في أفعالهم، ولكنهم لم يكونوا صادقين في قولهم ولا في قلبهم^{٦٠}.
﴿فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا، مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير﴾^{٦١} أم لعلها كلمة الملاء الأعلى، أو نطق الله الكريم.

﴿وغرّكم الأمانى﴾ طول الآمال والطمع في امتداد العمر بكثرة الإمهال، ﴿حتى جاء أمر الله﴾، يعني الموت وأطلق عليه المحقق الخليلي مغاصفة الحمام^{٦٢} لدلالة على شدة وقع الموت، وغرّكم بالله الغرور يعني الشيطان^{٦٣} قال قتادة: ما زالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله في النار.

فحوى سياق المحاورة: المحاورة تخلص إلى بيان الأصول المتفرعة على النفاق، وهي أربعة كما أرشدت إليه الآيات الكريمة:

١. الفتنة: ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾، أي: عدم قرار ضمائرهم على الإسلام، فهم في ريبهم يترددون فكأن الاضطراب وعدم الاستقرار خلق لهم، فإذا خطرت في

^{٦٠} انظر: إبراهيم حسين الشاربي سيد قطب، في ظلال القرآن، (بيروت: دار الشروق، ط ١٧، ١٤١٢ هـ)، ص ٤٨٦.

^{٦١} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ١، ص ٣٥٦.

^{٦٢} علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن والحسين بن مسعود الفراء البغوي، لباب التأويل في معاني التنزيل ومعه معالم التنزيل، تحقيق: عبد السلام محمد شاهين الشيخ، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٢١ م)، ج ٦، ص ١٢٠.

أنفسهم خواطر خير من إيمان ومحبة للمؤمنين نقضوها بخواطر الكفر والبغضاء، وهذا من صنع أنفسهم وإسناد الفتن إليهم إسناد حقيقي، وكذلك الحال في أعمالهم من صلاة وصدقة، وهذا ينشأ عنه الكذب

٢. والخذاع والاستهزاء والطعن في المسلمين.

٣. التربص: ﴿وَتَرَبَّصْتُ﴾: أي: تربصتم بالمؤمنين الدوائر وقد حذف مفعوله، ومتعلقه

- هنا - ليشمل عدة أمور ينتظرها المنافقون في شأن المؤمنين وهي كثيرة مرجعها إلى أذى المسلمين والإضرار بهم.

٤. الارتياب: ﴿وَارْتَبْتُ﴾: الارتياب هو الشك والإثم في الدين.

٥. الأماي: ﴿وَعَرَّيْتُكُمْ الْأَمَائِيَّ﴾: الأماي جمع أمنية وهي الآمال، والمراد بها ما كانوا

يمنون به أنفسهم من أنهم على الحق، وأن انتصار المؤمنين زائل وأن الحوادث تجري على رغبتهم وهواهم، ولأنهم لم يكفوا عن غيهم مع طول مدة أعمارهم وتعاقب السنين عليهم ولم يتفكروا في العواقب^{٦٣}

٦. وقد بين المحقق الخليلي العلاقة السببية بين هذه الأمور الأربع والبعد عن الله فقال: فلذلك أسأتم الأعمال، وأهملتم الآخرة كل الإهمال^{٦٤} فهذه هي أصول النفاق التي تؤدي بالمرء إلى فعل المعاصي وإهمال الآخرة.

كما بين المحقق الخليلي أيضاً في نهاية تفسيره لمقطع هذه الآيات الكريمة الغرض منها وهو إيقاظ الغافل، فليتدبر هذه الآيات البينات كل عاقل، وليستفיק من غفلته كل عاص وجاهل، فهناك يوم القيامة يحاسب الله تعالى بالعدل، ولا تفيد الحسرة والندم^{٦٥}، فجاءت ألفاظ هذه الآيات تحمل معاني قوية في توضيح حقائق الأمور وتحذر من عواقبه الأليمة، تتناسب مع غرضها في إيقاظ الغفلة.

ونخلص مما سبق أن المحقق سعيد بن خلفان الخليلي قد أعمل دلالة السياق القرآنية في تفسير مقطع مشهد من مشاهد يوم القيامة كما يتضح في الجدول التالي:

^{٦٣} طالب محمد إسماعيل، أساليب المحاور في القرآن الكريم، ص ١٢٨.

^{٦٤} الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ١، ص ٣٥٧.

^{٦٥} انظر: المرجع نفسه، ج ١، ص ٣٥٧.

الآية القرآنية	﴿يسعى نورهم﴾	﴿يَبْنَ أَيَدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾	﴿فَضْرَبَ بَيْنَهُمْ﴾	﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ﴾
الإعمال السياقي فيها عند المحقق الخليلي	سياق خارجي يحشر المؤمنون ركباً على نجائبهم يوم القيامة المقابلة السياقية بين المؤمنين والمنافقين والاستشهاد بحديث الظلم ظلمات يوم القيامة	التكامل السياقي الاستشهاد بسياق آيات أخرى في نفس الموضوع	التكامل السياقي على أن السور هو المذكور في آية سورة الأعراف	علاقة سببية مرتبطة بالسياق السابق، حيث ذكر في سباق الآية أصول النفاق الأربع المسببة إلى سوء المصير

المبحث الثالث: دلالة السياق القرآني في تخصيص عموم آية التحريم في سورة الأنعام عند المحقق الخليلي

تخصيص آية العموم مفهوم يرتبط بتفسير القرآن الكريم والتأصيل اللغوي وغير اللغوي والمفاهيم الواردة فيه. وقد عني المحقق سعيد بن خلفان الخليلي بفهمه العميق للسياق القرآني بأن الآيات في القرآن تجمع بين العام والمخصص، وذلك بناءً على التفسير اللغوي والسياق القرآني. في هذا المبحث بيان عن كيفية تخصيص آية التحريم في سورة الأنعام عن طريق السياق بأنواعه للألفاظ والآيات القرآنية، كما يؤكد على أهمية دراسة الآية في سياقها الكامل وفهم الأمور التي تحيط بها. حسب المطالب التالية:

المطلب الأول. تعريف تخصيص العموم وأقسامه:

البحث في هذا المصطلح يدعونا إلى بيان معنى العموم، والخصوص، ثم بيان معنى تخصيص العموم.

العام في اللغة: شمول أمر متعدد، سواء أكان الأمر لفظاً أم غيره، ومنه عمهم الخير إذا شملهم وأحاط بهم، فالعام في اللغة: الشامل^{٦٦}.

والعام اصطلاحاً: عرفه الإمام الغزالي في المستصفى: اللفظ الواحد الدال من جهة واحدة على شيئين فصاعداً^{٦٧}. وهو اللفظ الذي يدل بحسب وضعه اللغوي على شموله واستغراقه لجميع الأفراد، التي يصدق عليها معناه من غير حصر في كمية معينة منها^{٦٨}، وإن إخراج واحد من هذه الأفراد هو التخصيص، والمخرج هو المخصص.

وعرف الأصوليون الخاص بأنه: هو اللفظ الدال على شيء بعينه؛ لأنه مقابل العام^{٦٩}، والتخصيص: بيان المراد باللفظ، أو بيان أن بعض مدلول اللفظ غير مراد بالحكم، وجاء في نشر البنود: التخصيص اصطلاحاً هو قصر العام على بعض أفراد^{٧٠}. فتخصيص العام هو: بيان ما لم يرد بلفظ العام.

أقسام التخصيص: ينقسم التخصيص إلى قسمين^{٧١}:

المتصل: وهو ما لا يستقل بنفسه، بل يتعلق معناه باللفظ الذي قبله. وهو: الاستثناء والشرط، والصفة، والغاية، وبديل البعض من الكل.

على سبيل المثال: قد فسر المحقق الخليلي المطعوم الوارد في الآية بكل ما يذاق بالفم على العموم فيدخل فيه ما لا يؤكل ولا يشرب كالتراب والسموم، فإن الطعم هو الذوق بالفم بدليل ثبوته في المشروب كما ثبت في المأكول، إذ سمعنا الله تبارك وتعالى يقول في نهر طالوت

^{٦٦} انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ٣١١٢.

^{٦٧} أبي حامد محمد الغزالي، المستصفى من علم الأصول ومعه فواتح الرحموت، تحقيق: إبراهيم محمد رمضان، (بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر، د.ط، ٢٠١٦م)، ج ١، ص ٣٨١.

^{٦٨} عبد الوهاب خلاف الشيخ، علم أصول الفقه، تحقيق: محمد بشير حلاوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، ٢٠١٦م)، ص ١٤٣.

^{٦٩} سليمان بن عبد الله القوي، شرح مختصر الروضة في أصول الفقه، تحقيق: محمد السيد عثمان، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، ٢٠١٢م)، ج ٢، ص ١٢٩.

^{٧٠} الشنقيطي عبد الله بن إبراهيم العلوي، نشر البنود على مراقبي السعود، تحقيق: ناجي إبراهيم السويد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠١١م)، ص ٢٠٤.

^{٧١} ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر، اختيارات ابن قيم الجوزية الأصولية، (الجزائر: دار ابن باديس، د.ط، ٢٠٠٥م)، ج ٢، ص ٨٥٥.

حكاية عنه إذ قال لقومه عند خروجهم لقتال جالوت: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [البقرة: ٢٩٤] أي ومن لم يذقه فإنه مني، وقال في صفة الجنة: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ [محمد: ١٥]، إلا قرينة الاستثناء المنصوص عليها تدل على إرادة الخصوص^{٧٢}.

والتخصيص المنفصل: وهو ما يستقل بنفسه. وهي التخصيص بالحس، والعقل، والإجماع، والنص، والمعنى، وفعله صلى الله عليه وسلم، وتقريره صلى الله عليه وسلم، والعادة، والقياس، وقول الصحابي^{٧٣}، ولا تخلو بعض هذه المخصصات سواء أكانت متصلة أم منفصلة من خلاف. والقاعدة العامة في جواز التخصيص: أنه لا يصح إلا بدليل صحيح قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: "وقد تقرر في الأصول أنه لا يمكن تخصيص العام إلا بدليل يجب الرجوع إليه، سواء أكان من المخصصات المتصلة أم المنفصلة"^{٧٤}. ومن هنا يجب العمل بالدليل المخصص - إذا صح - في صورة التخصيص وإهدار دلالة العام عليها، ولا يجوز والحالة هذه حمل اللفظ العام وإبقاؤه على عمومته، بل تبقى دلالة العام قاصرة على ما سوى صورة التخصيص.

وقد بين المحقق الخليلي أهمية الخصوص والعموم وشموله لمختلف علوم القرآن بقوله: "ألا وإن علم الخصوص والعموم قد أخذ من مختلف علوم القرآن، فصح أن يكون أنموذجاً لجميعها؛ أما بيان كونه قد أخذ من المحكم والمتشابه فإن الخصوص محكم والعموم متشابه. وأما بيان كونه قد أخذ من الموضح والمبهم فإن الخصوص إيضاح لما في العموم من إبهام، وأما بيان كونه قد أخذ من المطلق والمقيد فإن الخصوص تقييد لما في العموم من إطلاق، وأما بيان كونه قد أخذ من الناسخ والمنسوخ فإن الخصوص نسخ لبعض ما في العموم"^{٧٥}.

^{٧٢} سعيد بن خلفان الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، تحقيق: حارث بن شامس البطاشي، (مسقط: مكتبة الشيخ: محمد

بن شامس البطاشي، ط ١، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م)، ج ٥، ص ٣٧٦.

^{٧٣} محمد خالد منصور، تخصيص العموم بالسياق عند الأصوليين وأثرها في الاستنباط الفقهي، (جامعة آل البيت: مجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد ٣، العدد ٢، ٢٠٠٧م)، ص ١٣.

^{٧٤} محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن

بالقرآن، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م) ج ٤، ص ٣٠٨.

^{٧٥} الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ٥، ص ٣٨٥.

بعد هذا العرض الموجز من تخصيص العام بالسياق القرآني، فإن تعريف البحث لمصطلح تخصيص العموم بالسياق القرآني هو: إخراج أحد أفراد العام بالسياق القرآني سواء أكان السياق مقالي (داخلي) أو مقامي (خارجي) أو كلاهما معاً، وسيأتي الآن عرض أنواع السياق القرآني التي تكون من المخصصات للعام.

المطلب الثاني: السياق الكلي العام لسورة الأنعام

وبما أن سورة الأنعام متعددة المقاطع نورد وقفة الإمام الشاطبي مع سياق السورة ذات المقطع الواحد ومتعددة المقاطع

وقد بين الشاطبي - رحمه الله - هذين النوعين من السياق بشيء من التفصيل، وأصل القول فيها تأصيلاً دقيقاً؛ إذ التأصيل في هذا الموضوع قل التطرق إليه عند المتقدمين، وقد سمي المقطع "قضية" نظراً إلى أصله في المعنى اللغوي، فوضح أولاً أن المقطع جملة واحدة، يرد أوله على آخره، وآخره على أوله، وفي ذلك يقول: "الالتفات إلى أول الكلام وآخره؛ بحسب القضية وما اقتضاه الحال بها، لا ينظر في أولها دون آخرها، ولا في آخرها دون أولها؛ فإن القضية وإن اشتملت على جمل؛ فبعضها متعلق ببعض؛ لأنها قضية واحدة نازلة في شيء واحد؛ فلا محيص للمفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره، وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف؛ فإن فرق النظر في أجزائه فلا يتوصل به إلى مراده". وقد نظر - رحمه الله - إلى السور القرآنية باعتبار سياق المقطع؛ فجعلها في قسمين^{٧٦}:

القسم الأول: أنزل في قضية واحدة مقطع واحد - طالت أم قصرت، وعليه أكثر سور

المفصل.

القسم الثاني: أنزل في قضايا متعددة؛ ثم بين أن القسم الثاني ينظر له باعتبارين:

الأول: من جهة تعدد القضايا - المقاطع -، فتكون كل قضية مختصة بنظرها.

الثاني: من جهة النظم الذي وجدنا عليه السورة؛ (ويقصد ترتيب النزول) فهو ترتيب

بالوحي لا مدخل فيه لآراء الرجال.

^{٧٦} انظر: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق: محمد عبد الله وعبد الله دراز وعبد السلام محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، ٢٠١٩)، ص ٧١٧.

ولا بد أن يكون في كل سورة محور موضوعي ومركز دلالي تنبثق عنه المعاني وتعود إليه. فأياهما متماسكة مع بعضها، والمقاطع مترابطة بإحكام في سورها، فلا تشعر في السورة الواحدة بشق يفصل بين معانيها ومقدماتها، ولا تعلم أنها نزلت منجمة أو جملة واحدة. لأن الأفكار متحدة، والمعاني متلاقية، والبدايات والحلقات في تدرج وثيق. كل هذا يتدفق سلس، ومقدمة لطيفة، واندفاع سياقي محكم، وهنا تظهر المعجزة، ومن الواضح أن انتظام السياق يؤخذ ويتعلم من جانبه، ويتم الوصول إلى كمال التناسب من خلاله^{٧٧}.

أما سياق السورة المتعددة المقاطع فقد عرفت موضوعاتها، وبالتالي فلا موجب لأن يطلب البحث عن الموضوع الرئيس للسورة، لأنه بطبيعة الحال قد تحدد ببيان موضوعات السورة، وقد تختلف الأنظار حول تشخيصه وتحديد معالمه الأساسية في صورته النهائية^{٧٨}.

وبناءً على التأصيل أعلاه واعتبار أن السورة لها وحدة موضوعية خاصة بها تربط بين فقراتها وخطاباتها المتنوعة، وتشكل خطاباً كلياً يتضمن خطابات جزئية متنوعة في أغراضها، ولكنها تصب في تلك الوحدة الموضوعية أو الموضوع العام، الذي يشكل الرباط الذي يربط محاور السورة بعضها ببعض. نستنتج أن سورة الأنعام لها سياق عام هو سياق تقرير العقيدة وترسيخها في النفوس - وهذا يختلف عن سياق التشريع مثلاً - وهذا يلقي بالضوء على دلالات هامة يُقصد إيصاها^{٧٩} إلى نفس السامع. من أهم تلك الدلالات دلالة تحريم أكل الميتة، فمجيء هذا الحكم داخل هذا السياق له دلالاته الخاصة، يوضحها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]، يقول ابن كثير: "أي حيث عدلتم عن أمر الله وشرعه إلى قول غيره، فقدمتم عليه غيره فهذا هو الشرك، كما قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]"^{٨٠}.

٧٧ انظر: قطب الريسوني، النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر، (المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ط ١، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م)، ص ٤٥٠.

٧٨ المثني عبد الفتاح محمود، نظرية السياق القرآني، (الأردن: دار وائل للنشر، ط ١، ٢٠٠٨م)، ص ٩٤-٩٦.
٧٩ هشام محمد فتحي السعيد مشالي، الرد على شبهات المعاصرين حول مبحث الدلالات من علم أصول الفقه، (القاهرة: دار البشير للثقافة والعلوم، ط ١، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م)، ص ٨٢.

٨٠ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ط ١، ١٤١٩هـ) ج ٣، ص ٢٩٥.

إن قضية إفراد الله بالحكم والتشريع قد تم تقريرها والتأكيد عليها وعلى كونها من معاني كلمة التوحيد، بل هي القضية التي قام عليها علم أصول الفقه؛ فالحاكم هو الله. - ومع ذلك فذكر حكم تحريم الميتة في معرض تقرير التوحيد والنهي عن الشرك له دلالاته الخاصة، والتي من أهمها: أن الأكل - وهو من العادات الجبلية التي فطر الله الناس عليها - لله فيه تشريع يجب أن يلتزم وحكم واجب التنفيذ، والعدول عن شرع الله واستبداله بتشريع غيره هو الشرك بعينه حتى لو كان ذلك الحكم وهذا التشريع يتعلق بالأكل، فحكم الله في عبادته لا يقتصر على الشعائر التعبدية من صلاة وصيام وزكاة وحج، بل يتعدى كل ذلك إلى سائر شئون العباد السياسية والاقتصادية والاجتماعية، حتى العادات الله فيها حكم، ولا معقب لحكمه.

المطلب الثالث: الغرض من سياق آية التحريم في سورة الأنعام:

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعُمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، أي أن الله سبحانه قد علم نبيه ﷺ في هذه الآية كيفية المحاجة مع أهل الكتاب في تحريمهم ما لم ينزل بها من سلطان، بأنه لا يجد فيما أوحى إليه محرماً غير ما ذكر، فكأن عدم الوجدان يكفي في التخلص عن تبعات التكليف. وفيه: أولاً: أن عدم الوجدان من مثل النبي ﷺ فيما يوحى إليه يكون دليلاً قاطعاً على عدم التحريم واقعاً، فليس الآية في مقام جعل حكم ظاهري، بل هذا لا يناسب مقام التخاصم مع أهل الكتاب.

وثانياً: أن عدم وجدان النبي ﷺ على أقل تقدير يكون دليلاً قاطعاً على عدم صدور التشريع، فلو فرض دلالتها على البراءة فهي منوطة بعدم الصدور لا الوصول. وثالثاً: يحتمل أن يكون قد لوحظ عدم وجدان الحرمة منضمماً إلى الأدلة الاجتهادية اللفظية الدالة على الحلية في باب المطعومات^{٨١}.

وقال ابن كثير: الغرض من سياق هذه الآية الكريمة الرد على المشركين الذين ابتدعوا ما ابتدعوا من تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ونحو ذلك. فأمر تعالى رسوله أن يخبرهم

^{٨١} السيد محمود الهاشمي، بحوث في علم الأصول، (العراق: مكتب الإعلام الإسلامي، ط ١، د.ت)، ج ٥، ص ٣٤.

أنه لا يجد فيما أوحاه إليه أن ذلك محرم. وأن الذي حرمه هو الميتة وما ذكر معها. وما عدا ذلك فلم يحرم. وإنما هو عفو مسكوت عنه. فكيف تزعمون أنه حرام؟ ومن أين حرمتموه ولم يحرمه تعالى؟ وعلى هذا، فلا ينفي تحريم أشياء أُخر فيما بعد هذا. كما جاء النهي عن لحوم الحمر الأهلية ولحوم السباع وكل ذي مخلب من الطير^{٨٢}. وبالجملية فالآية تدل على أنه صلى الله عليه وسلم لم يجد فيما أوحى إليه إلى تلك الغاية غيره. ولا ينافيه ورود التحريم بعد ذلك في شيء آخر، كالموقوذة والمنخنقة والمتردية والنطيحة وغيرها. وذلك لأن هذه السورة مكية. فما عدا ما ذكر تحريمه فيها مما حرم أيضاً.

أما المحقق فأورد في غرض الآية ثلاثة وجوه:

أحدهما: أن تفسر بالوجه الأعم فيكون العموم في نفي تحريم المطعوم شاملاً لجميع ما يطعم، أي يذاق بالفم من طعام أو شراب أو غيرها حتى السم والتراب، ثم يخرج بالتخصيص ما شمله عموم التحليل من المحرمات، فيكون التقدير في قوله: قل لا أجد فيما أوحى إلى محرماً: أي شيئاً محرماً على طاعم يطعمه: أي ذائق يذوقه^{٨٣}.

وثانيها: أن يعتبر بالمعنى الأخص فيكون نفي وجود التحريم المستفاد من العموم شاملاً للدماء واللحوم، ويكون التقدير في ذلك: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ أي دماً ولحماً محرماً على طاعم يطعمه أي ذائق يذوقه إلا ما استثنى.

ثالثهما: أن تفسر بالوجه المتوسط بين الوجهين وهو أن يكون نفي وجود التحريم شاملاً للطعام وحده^{٨٤}.

والخلاصة من ذلك أن غرض الآية هو الرد على المشركين ودحرا لتخاصمهم حيث لا يوجد محرماً إلا ما حرمه الشارع وحده بنص شرعي منه.

^{٨٢} ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، ج ٣، ص ٣١٨.

^{٨٣} انظر: عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي، مجاز القرآن، تحقيق: مصطفى محمد حسين الذهبي، (لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، د. ط، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ص ٣١٨.

^{٨٤} انظر: الخليلي، تهديد قواعد الإيمان، ج ٥، ص ٣٧٤.

المطلب الرابع: السياق الداخلي لآية التحريم وأقوال العلماء فيها

قال القرطبي: "والآية مكية، ولم يكن في الشريعة في ذلك الوقت محرم غير هذه الأشياء، ثم نزلت سورة المائدة بالمدينة وزيد في المحرمات كالمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وغير ذلك، وحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير، وقد اختلف العلماء في حكم هذه الآية وتأويلها على أقوال: الأول: ما أشرنا إليه من أن هذه الآية مكية وكل محرم حرمه رسول الله أو جاء في الكتاب مضموم إليها، فهو زيادة حكم من الله على لسان نبيه. على هذا أكثر أهل العلم من أهل النظر والفقه والأثر"^{٨٥}. فالآية الكريمة ليس المقصود منها حصر المحرمات في هذه الأربعة وإنما المقصود منها الرد على مزاعم المشركين، وذلك أن الكفار. كما قال الإمام الشافعي - لما حرموا ما أحل الله وأحلوا ما حرمه الله وكانوا على المضادة والمحادثة جاءت الآية مناقضة لغرضهم، فكأنه قال - سبحانه - لا حلال إلا ما حرمتموه ولا حرام إلا ما أحللتموه، والغرض المضادة لا للنفي والإثبات على الحقيقة. فالله سبحانه وتعالى لم يقصد ما وراء الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به، إذ القصد إثبات التحريم لا إثبات الحل. ويقول سيد طنطاوي حول هذه الآية: والآية الكريمة ليس المقصود منها حصر المحرمات في هذه الأربعة وإنما المقصود منها الرد على مزاعم المشركين فيما حرموه بغير علم من البحائر والسوائب وغيرها"^{٨٦}.

ويقول محمد علي المكي: فالمراد إنكار التحريم من أصله، ونفي أن يكون قد حرم شيء مما ذكروا أنه محرم، وذلك أن الكلام وضع على أن يجعل التحريم كأنه قد كان، ثم يقال لهم: أخبرونا عن هذا التحريم الذي زعمتم فيم هو؟ أي هذا أم ذاك أم في الثالث؟ ليتبين بطلان قولهم، ويظهر مكان الفرية منهم على الله تعالى.

فالمراد هنا إنكار الفعل، ولهذا الأسلوب مزايا منها:

١. أن تفترض أن الشيء قد وقع ثم تأخذ في استقصاء المظاهر الضرورية لوقوعه تنفيها واحداً واحداً، وينتهي هذا إلى نفي الفعل بالضرورة، وفي هذا إيناس وإقناع.

^{٨٥} أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن تفسیر القرطبي، (الأردن: دار الفكر، د.ط،

٢٠١٩م)، ج ٤، ص ٨٣.

^{٨٦} محمد السيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (القاهرة: دار المعارف، د.ط، ١٩٩٣م)، ص ١٤٧.

٢. أن مسلك المعنى فيه مسلك الاقتضاء وال لزوم، وهو أبعث لحركة النفس وأكثر إنهاضاً للفكر وتنشيطاً له، لأنه يفيد نفي الفعل بطريق الكتابة. وهكذا تكثر هذه المتولدات التي يشعها السياق ويوحى بها المعنى^{٨٧}.

ورد في هيمان الزاد^{٨٨}: إنما قدرت حيواناً محرماً، وقد قدر غيرى إلا أن يكون طعاماً، لأن معظم الكلام في الحيوان، والكلام المتصل به هو الحيوان ثمانية الأزواج، فلا يشكل ما حرم من غير ذلك فيما بعد وخرج بقولي: الآن ما حرم بعد ذلك. وما ثبت تحريمه بعد نزول الآية لا يشكل، كما علمت أن المعنى: «لا أجد الآن فيما أوحى» الآية، وقد يقال أيضاً: الحصر في الآية إضافي منظور فيه إلى ما حرموه من البحيرة، وما يذكر معها، فالحصر إخراج لها لا لغيرها، ويقوى هذا التأويل قوله في البقرة: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْآيَةَ، ومثله في المائدة، وهما مدينتان، بل المائدة من آخر ما نزل، النحل فمكية، وفيها: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ الآية وقال أيضاً في النحل بآية أخرى على ما في الأنعام، والأظهر التأويل في الكل بأن المراد بالحصر إخراج ما حرموه عن التحريم، والتفويض عليهم بنحو قوله: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ﴾ [النحل: ٦٢]. وبالجمله فهذا العموم إن كان بالنسبة إلى ما يؤكل من الحيوانات كما يدل عليه السياق ويفيده الاستثناء^{٨٩}، فيضم إليه كل ما ورد بعده في الكتاب أو السنة مما يدل على تحريم شيء من الحيوانات، وإن كان هذا العموم هو بالنسبة إلى كل شيء حرمه الله من حيوان وغيره، فإنه يضم إليه كل ما ورد بعده مما فيه تحريم شيء من الأشياء.

التخصيص بسياق المقطع في آية التحريم (سباق الآية):

يأخذ سياق المقطع دوراً مهماً في إبراز وتشخيص الموضوع القرآني^{٩٠}، وخصوصاً في السور الطوال والمئين وبعض المفصل، وقد قل اعتناء المفسرين بدراسة مقاطع ومفاصل السور القرآنية،

^{٨٧} محمد بن علي المكي، وفور الفضل والملنة بشرح منظومة ابن الشحنة، تحقيق: السيد محمد السيد سلام، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، ٢٠١٩)، ص ٢٠٥.

^{٨٨} انظر: محمد بن يوسف الوهي، هيمان الزاد إلى دار المعاد، (سلطنة عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، د.ط، ١٩٨٨م)، ج ٦، القسم ١، ص ٣٠٠.

^{٨٩} محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير، (بيروت: دار المعرفة، ط ٤، ٢٠٠٧م)، ص ٤٤٥.

^{٩٠} المثني عبد الفتاح محمود، نظرية السياق القرآني، (الأردن: دار وائل للنشر، ط ١، ٢٠٠٨م)، ص ٩٥.

إذ كان جل اهتمامهم منصّباً على التفسير الموضوعي لأحاد الآيات، وإذا دققنا النظر تبين لنا أن أمثل طريقة في بيان التناسب والتناسق بين الآيات القرآنية، هو تقسيم السورة إلى مقاطع بعد النظر في جميعها، ومن ثم تحليل سياق المقطع لإبراز موضوعه الأظهر فيه، وعندها يطلب وجه المناسبة بين الآيات.

والأهم من بيان وجه المناسبة بين الآيات، معرفة المعاني التي احتواها المقطع في السورة؛ وذلك لبيان الوجه الراجع من الوجوه المحتملة للألفاظ القرآنية، إذ إن الوجه الراجع لا يتحدد ولا يتبين إلا بعد الفهم التام للموقع الذي جاء فيه، وهو سياق المقطع في السورة.

إعمال المحقق الخليلي بالترجيح الدلالي للمقطع: والترجيح الدلالي أوضح في سياق المقطع منه في سياق السورة، إلا إذا كانت. السورة ذات سياق لا مقاطع فيه فيتساويان في الوضوح؛ وذلك أن المقطع يدور حول موضوع واحد، والمعاني المحتملة فيه لا بد أن تدور حول هذا الموضوع، فإذا شد معنى محتمل منها عن سياقه؛ رجح عليه معنى آخر منسجماً مع السياق، وهذا الأمر بهذا الوضوح يصعب في السورة ذات المقاطع المتعددة، إلا إذا كان هناك معنيان في مقطع من المقاطع؛ فيرجح أحدهما سياق السورة المشتملة على عدة موضوعات، كأن يتكرر ذكر معنى في معظم المقاطع ويكون مراداً، ويرد ذكره محتملاً في أحدها؛ فيحمل المحتمل على المراد؛ لترجيحه سياقياً، وذلك بشرط اتساقه في مقطعه من غير ما خلل.

وهذا ما أعمله المحقق الخليلي في ترجيحه لتفسير التخصيص بالمعنى الأول الأعم، من السورة الحكيمة، قوله تعالى حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ۚ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۚ ذَلِكُمْ اللَّهُ ۚ فَإِنِّي تُوفِّكُونَ﴾ [الأنعام: ٩٥]، ثم قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۚ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩].

دل ذكر فلق الحب والنوى وإخراج الحي من الميت والميت من الحي، وما بعده إلى آخره على ضروب المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح والمركوب، وما عداه من الموهوب من فضل الله على العباد من الأموال والأهل والأولاد، وقد ذكر الله عنهم بعد هذه الآيات الكريمة بعض

ما اتبعوا فيه الشيطان، من خصالهم الذميمة، فقال: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ
أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائُهُمْ لِيَزِدُّوهُمْ وَلْيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا
يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٧] ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حِجْرًا لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بَرَعِمَهُمْ
وَأَنْعَامٌ حَرَّمَتْ طُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ ۖ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا
يَفْتَرُونَ﴾. [الأنعام: ١٣٨]

ثم شهد عليهم في ذلك بالخسران فقال: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ
عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ ۖ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٠]
ثم عاد إلى ما بدأ به من ذكر الفضل عليهم والإنعام فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ
مَّعْرُوشَاتٍ﴾ [الأنعام: ١٤١] فبدأ بذكر الجنات ذوات العرش، وختم بذكر الحمولة والفرش
إلى آخر الاحتجاج عليهم في تحريم ما حرموه من ثمانية الأزواج، ثم قال بعد ذلك كله: ﴿قُلْ
لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾ الآية. فدل نفي وجود التحريم على شموله
لجميع ما ذكرناه من ضروب ما أنعم عليهم على وجه التعميم، ودل قوله: ﴿عَلَى طَاعِمٍ
يَطْعَمُهُ﴾ على خروج ماعدا المطعوم مما شمله هذا العموم، ودخل فيه ما يطعم أي يذاق بالفم
مما ليس بمأكول ومشروب كالتراب والسموم، ثم خرجت منه في جملة المنصوص من المحرمات
بالخصوص، والله أعلم.

سباق المقطع ودلالته على ما رجحه الخليلي:

واستشهد المحقق الخليلي للوجه الأول والآخر بسباق مقطع الآية بما قد تقدم من كلام الله
تبارك تعالى في سورة الأنعام إذ قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ
كُلِّ شَيْءٍ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩]، وقوله بعد ذلك:
﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا ۚ
﴾، وقوله: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا ۚ وَإِنْ
يَكُن مِّثْقَلُهُ فِئَةٍ فِيهِ شُرَكَاءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٣٩] ثم
جاءت بعد ذلك كله آية التحريم، فعم بنفي وجود شيء من محرم جميع ما يذاق بالفم إلا ما
استثنى فيها، وما وقع عليه من غير المستثنى من الكتاب أو السنة أو الإجماع أو الرأي الذي

يجوز فيه الخلاف والنزاع، ويشهد للوجه الأوسط قرينة الاستثناء؛ فإنها دلت بالمعنى على وجود شيء محرم إنما هو في اللحم والدم.

المطلب الخامس: إعمال المحقق الخليلي للسياق الخارجي في آية التحريم بسورة الأنعام:
ومن أنواع السياق الخارجي التي أعملها المحقق الخليلي الآتي:

١. إعمال المحقق لسياق العرف:

ويظهر ذلك جلياً حينما ذكر: فتوجه لي وجهان في تفسير هذا التعميم: أحدهما: أن يفسر بالمعنى الأعم فيكون عاماً في جميع المطعومات من المأكولات والمشروبات إلا ما استثناه من الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فحرمه في حال الاختيار، وأحله في حال الاضطرار، ثم كان المعروف في لغتهم أن الميتة التي تموت حتف أنفها ألحق بها أشياء من المنخقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيت وما ذبح على النصب، من سورة المائدة وما لم يذكر اسم الله عليها.

كما أورد أن تفسر بالوجه المتوسط بين الوجهين وهو أن يكون نفي وجود التحريم شاملاً للطعام وحده (بمعنى دون الشراب) فيكون التقدير في ذلك: قل لا أجد فيما أوحى إلي محرماً أي طعاماً محرماً، ويدخل فيه الدم لأنه من الطعام بالمعنى الذي تفعله به أهل الجاهلية زمان المجاعة فيها روي عنهم^{٩١}.

٢. السياق الزماني والمكاني (المكي والمدني)

إن معرفة سياق السورة المكاني والزماني يؤثر على سياق الآية، وهذا ما اهتم به المحقق الخليلي في تعرضه لآية التحريم، فمن أثر معرفة المكي والمدني على السياق القرآني:

أولاً: أن للسور المكية أغراضاً تختلف عن أغراض السورة المدنية، فمن أغراض المكي التوحيد وأركان الإيمان، ومجادلة المشركين، ومن أغراض السور المدنية بيان وتفصيل أحكام

^{٩١} الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ٥، ص ٣٧٧.

الإسلام وحدوده. وهذا ظاهر الدلالة والأثر في السياق؛ إذ أن معرفة المكّي من المدني يؤكّد سياق السورة ويحدده، ويبيّن الغرض المقصود منها.

ثانياً: أن للآيات المكيّة خصائص أسلوبية ليست للآيات المدنيّة، فمن خصائص الآيات المكيّة أنها متضمنة للوعيد والتهديد غالباً، فتجد مثلاً كلمة "كلاً" الرادعة الزاجرة، وكلمة الصاخة التي تشعر بالوعيد والتهديد، ومن خصائص الآيات المدنيّة أن ألفاظها متضمنة للوعد والترغيب غالباً، ولذا تجد في افتتاحها بندايات الإيمان، وخواتمها بأسماء الرحمن. وهذا يؤثر في معرفة السياق من جهة معرفة غرض الآية وما تتضمنه من الوعد والوعيد، والمخاطب فيها من مؤمن وكافر^{٩٢}.

وحين فرق العلماء بين المكّي والمدني اعتمدوا غالباً على المعيار المكاني، ولما كان مكان تلقي الوحي مرهوناً دائماً بمكان المتلقي الأول للوحي، الذي هاجر من مكة إلى المدينة، ثم عاد إلى مكة فاتحاً، وأخذ يتردد عليها بعد ذلك زائراً أو حاجاً، فقد ذهب بعضهم إلى أن المكّي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة، وفرقوا بين السفري والحضري، والسماوي والأرضي^{٩٣}. وكل هذه التقسيمات تستند إلى معيار المكان دون نظر إلى النص من حيث المضمون أو من حيث الشكل، وثمة معيار آخر للفرقة بين المكّي والمدني هو معيار المخاطبين بالنص^{٩٤} على التّغليب في كل مرحلة من المرحلتين؛ فالمكّي ما وقع خطاباً لأهل مكة، ولو نزل بالمدينة، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة ولو نزل بمكة، وثمة معيار زمني، فما وقع قبل الهجرة يعد مكياً ولو نزل في المدينة، وما وقع بعد الهجرة يعد مدنيّاً ولو نزل في مكة. ولذلك جهد علماء القرآن ليس في تبين دقائق هذا الموضوع فحسب، بل في ذكر فوائده الجمة^{٩٥}، في كل زمان ومكان، ويذكرون من هذه الفوائد:

١. الاستعانة في تفسير القرآن، والاستفادة منها في أسلوب الدعوة، فإن لكل مقام مقالاً، ومراعاة لمقتضى الحال، فالخطاب يختلف باختلاف أنماط الناس

^{٩٢} خلود العموش، الخطاب القرآني، (الأردن: عالم الكتب الحديث، ط ١، ٢٠٠٥م)، ص ٨٣؛ محمد بن عبد الرحمن الشايع، المكّي والمدني في القرآن، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ط ١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ص ٤١-٤٢.

^{٩٣} انظر: خلود العموش، المرجع نفسه، ص ٨٣.

^{٩٤} انظر أيضاً: هادي نور توفيق، المدخل في علوم القرآن، (أندونيسيا: الجامعة المحمدية، ط ١، ٢٠٢٢م)، ص ٥٦.

ومعتقداتهم، وأحوال بيئتهم، وتتلاءم طرائق الخطاب بما يلائم نفسية المخاطب".
كما أنه "عماد قوي في تاريخ التشريع يستند إليه الباحث في معرفة التدرج في
الأحكام والتكاليف.

٢. من فوائد معرفة المكّي من المدني منع اللبس: أمره الله سبحانه بأن يخبرهم أنه
لا يجد في شيء مما أوحى إليه محرماً غير هذه المذكورات، فدل ذلك على انحصار
المحرمات فيها لولا أنها مكّية، وقد نزل بعدها بالمدينة سورة المائدة وزيد فيها على
هذه المحرمات المنخقة والموقوذة والمتردية والنطيحة، وصح عن رسول الله ﷺ تحريم
غير ذلك في السنة المطهرة.

٣. ومن فوائد تمييز المكّي والمدني معرفة الآية هل من النسخ والمنسوخ: هناك
من ذهب إلى أن آية التحريم في سورة الأنعام منسوخة بتحريم النبي ﷺ بعد ذلك
لبعض الأشياء غير المذكورة في الآية. والحق: عدم النسخ لأن مفاد الآية هو
الإخبار عن عدم وجدان محرم غير ما ذكر فيها، وهو دليل على عدم الوجود
حين نزولها حيث نزلت بمكة قبل الهجرة.

وعليه فلا معنى لدعوى النسخ فيها، فإن النسخ لا يقع في الجملة الخبرية، يقول المحقق
الخليلي في ذلك: الخصوص والعموم أعم من النسخ، لأن النسخ لا يكون إلا في الأوامر
والنواهي، فلا يكون في الأخبار، بينما الخصوص والعموم يقع على الجميع^{٩٥} وإذن فلا بد من
الالتزام بأن الحصر في الآية إضافي، فإن المشركين حرّموا على أنفسهم أشياء، وهي ليست محرمة
في الشريعة الإلهية، وهذا يظهر من سياق الآيات التي قبل هذه الآية، أو الالتزام بأن الحصر
حقيقي، وأن المحرمات حين نزول هذه الآية كانت محصورة بما ذكر فيها، فإن هذه الآية مكّية
وقد حرمت بعد نزولها أشياء أخرى، وكانت الأحكام تنزل على التدرج.

ومن الظاهر أن تحريم شيء بعد شيء لا يكون من النسخ في شيء، وكون الحصر
حقيقياً أظهر الاحتمالين وأقربهما إلى الفهم العربي، ومع ذلك فلا نسخ في مدلول الآية - ولو
كان الحصر إضافياً - كما عرفت.

^{٩٥} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ٥ ص ٣٨٤.

وبناءً على السياق الزماني والمكاني نجد الفخر الرازي يستبعد عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ إِلَّا أَنْ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ﴾ [الأنعام: ١١٩] أقوال المفسرين الذين ذهبوا إلى أن المراد منه قوله تعالى في أول سورة المائدة: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وفيه إشكال: وهو أن سورة الأنعام مكية وسورة المائدة مدنية، وهي آخر ما أنزل الله بالمدينة. وقوله: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ﴾ يقتضي أن يكون ذلك المفصل مقدماً على هذا الحمل، والمدني متأخر عن المكي، والمتأخر يمتنع كونه متقدماً. بل الأولى أن يقال المراد قوله بعد هذه الآية من السورة نفسها، وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وهذه الآية وإن كانت مذكورة بعد هذه الآية بقليل إلا أن هذا القدر من التأخير لا يمنع أن يكون هو المراد. والله أعلم^{٩٦}.

٣. السنة النبوية

استدل المحقق الخليلي على تخصيص آية التحريم بالسنة باعتبار أنها من الوحي، والتحليل والتحريم لا يكون إلا بطريق الوحي من الملك الجليل، وعلى أن الكتاب والسنة والإجماع والرأي كلها حاصل من طريق الوحي عن الله من فضله الجزيل، لأن الإجماع والرأي مأخوذان من سنة رسول الله ﷺ فما وجد فيها من التحريم، وصح به تخصيص ذلك التعميم: فهو في حكم الموجود فيما أوحى إليه فكان في المعنى من جملة المستثنى. والله أعلم.

وهذا تماماً ما ذكره أيوب عطية في كتابه الخطاب القرآني حيث أورد أن القرآن الكريم يصدق بعضه بعضاً، ويفسر بعضه بعضاً، فما أجمل في موضع فضل في موضع آخر، وما أبهم في مكان بين في آخر، وما أطلق في سورة أو آية قيد في أخرى، وما جاء عاماً في سياق خصص في سياق آخر، ولا بد من ضم الآيات والنصوص بعضها إلى بعض، حتى يتكامل الفهم، ويستبين المقصود من النص. وتفسير القرآن بصحيح السنة، ولهذا قال -صلى الله عليه

^{٩٦} فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت)، المجلد ١٢، ص

وسلم-: ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه^{٩٧}. يعني: السنة. والسنة تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن، إلا أنها لا تتلى كما يتلى القرآن (ولهذا تسمى الوحي غير المتلو). والانتفاع بتفسير الصحابة والتابعين لأنهم تلاميذ المدرسة المحمدية، فيها تخرجوا، ومنها اقتبسوا، وعنهما تلقوا، وعلى مائدتها تغذت عقولهم وقلوبهم، فإذا صح عن الصحابة - رضي الله عنهم - تفسير معين أصغينا له أسماعنا، لما امتازوا به من مشاهدة أسباب التنزيل وقرائن الأحوال، فرأوا وسمعوا^{٩٨}. ومن جملة هذه الأحاديث المخصصة ما روي عن ابن عباس: «أن شاة لسودة بنت زمعة ماتت فقالت: يا رسول الله ماتت فلانة: تعني الشاة، قال: فلولا أخذتم مسكها؟ قالت: يا رسول الله أناخذ مسك شاة قد ماتت؟ فقرأ رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيتَةً﴾ وأنتم لا تطعمونه، وإنما تدبغونه حتى تستنفعوا به، فأرسلت إليها فسلختها ثم دبغته، فاتخذت منه قربة حتى تخرقت عنده^{٩٩}.

خاتمة المبحث: تتبع المحقق الخليلي سياق آية التحريم على المستوى الداخلي والخارجي للوصول إلى معنى الآية، وكان من أبرز ما استند عليه هو سباق الآية ونلخصه على النحو الآتي:

ترجيح المحقق	الآيات السابقة لآية التحريم التي استشهد بها المحقق من سورة الأنعام	وجه استشهاد السياقي بسباق الآية
--------------	--	---------------------------------

^{٩٧} ذكره أبو داود، وبه ذكره البخاري في تاريخه، انظر: علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي، أبو الحسن ابن القطان (المتوفى: ٦٢٨هـ)، بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام، تحقيق: الحسين آيت سعيد، (الرياض: دار طيبة، ط ١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م) ج ٣، ص ٢٥٨.

^{٩٨} انظر: أيوب جرجيس عطية، الخطاب القرآني بين إشكالية الفهم ودلالة النص، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، ٢٠١٢م)، ص ١١.

^{٩٩} الحسن بن أحمد الصنعاني، فتح الغفار الجامع لأحكام سنة نبينا المختار ﷺ، تحقيق: حامد المحلاوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٢٢م)، ص ٤٥.

دل ذكر فلق الحب والنوى وإخراج الحي من الميت والميت من الحي، وما بعده إلى آخره على ضروب المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح والمركوب وما عدها من الموهوب من فضل الله على العباد من الأموال والأهل والأولاد، فأبى الشيطان الرجيم، إلا أن يقسم بعزة مولاه الرحمن الرحيم، فقال - على ما حكى الله عنه في القرآن الحكيم -: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ٨٢ ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴾ ص: ٨٢-٨٣، وقال: ﴿ ولأمرهم فليغيرن خلق الله ﴾ أي دين الإسلام، الذي يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام، وذلك شيء يظناه، فأدرك منهم بسوء اختيارهم ما تمناه، فحكي الله عنهم بعد هذه الآيات بعض ما اتبعوا فيه الشيطان من خصالهم الذميمة فقال:	﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ الأنعام: ٩٥ ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ الأنعام: ٩٩	آية التحريم على عموم في التحليل إلا ما استثنى بالوحي من الله تعالى.
	﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائُهُمْ لِيَزِدُّهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ (١٣٧) ﴿ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حِجْرَ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ ۖ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (١٣٨) ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا ۖ وَإِنْ يَكُن مَيْتَةً	

فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ۖ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَّهُمْ ۖ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿[الأنعام ١٣٦-١٣٩]	
ثم شهد عليهم بالخسران فقال: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٠]	
ثم عاد إلى ما بدأ به من ذكر الفضل والإنعام فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزُّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۚ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ۚ وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١] فبدأ بذكر الجنات ذوات العرش، وختم بذكر الحمولة والعرش إلى آخر الاحتجاج عليهم في تحريم ما حرموه من ثمانية الأزواج ثم أتى بعد ذلك بآية التحريم.	

وهكذا يستخلص المبحث الاستدلال السياقي بسباق الآيات الذي تسلسل به المحقق الخليلي وصولاً إلى محل الشاهد من آية التحريم في ترجيح ما ذهب إليه، من عموم التحليل في الآية إلا ما استثني بطريق الوحي، والوحي عند المحقق داخلاً فيه السنة النبوية والإجماع. كما أنه ربط تزيين الشيطان بما يفسره من سورة صاد والنساء حسب تسلسل الآيات في الجدول أعلاه.

خلص المبحث إلى النتائج الآتية:

١. يخصص عموم الآيات بقرائن متنوعة ومن أهمها التخصيص بدلالة السياق القرآني، وهو يعتبر أصل من أصول استنباط الأحكام الشرعية.
٢. تتبع المحقق الخليلي سياق المقطع السابق للآية التحريم في سورة الأنعام متعددة المقاطع للوصول إلى نتيجة عموم التحليل في الآية إلا ما استثني بتحريم رباني سواء كان من القرآن أو السنة والإجماع.
٣. لا بد من الرجوع إلى محور السورة الأساسي في السور ذات المقاطع المتعددة، وهذا ما أعمله المحقق الخليلي حين ركز على أن قضية التحليل والتحريم في سورة الأنعام، وأنها راجعة لله وحده، وهي من ضمن عقيدة التوحيد.
٤. الحصر في آية التحريم في سورة الأنعام إضافي إذ ليس الغرض من الاستثناء فيها قصرها على ما ذكر.

٥. إن الأخذ بالسياق القرآني بنوعيه له تأثيرٌ كبيرٌ على فهم الآيات من جوانب متعددة منها:

- أ. توضيح المراد من الآية.
 - ب. إزالة الإشكال عن الآية.
 - ج. توضيح إجمال الآية
 - د. تخصيص عموم الآية.
٦. للسياق الزماني والمكاني أهمية كبيرة في تحديد غرض السورة والمقصود منها.

المبحث الرابع: دلالة السياق القرآني في آية محاججة إبراهيم عليه السلام قومه في سورة الأنعام عند المحقق الخليلي

سياق آية محاججة إبراهيم عليه السلام قومه في سورة الأنعام سياق احتجاج^{١٠٠} جاءت بعد محاولات هداية وإقناع وارشاد للحق، واتسم الحجاج بنوع من القوة التي لم تُعهد فيما مضى، ففي الماضي جاء:

قد تنوعت سياقات المحاوراة التي قدمها إبراهيم ﷺ فخص كل سياق بمنهج وأسلوب يقوم على الحجة والبرهان والتأثير في الجدل والإقناع في المحاجة ويمكننا أن نرسم لهذه السياقات^{١٠١} التي جاء ذكرها في القرآن الكريم ثلاث مشاهد.

المطلب الأول: سباق آية محاججة إبراهيم عليه السلام أبيه وقومه

ذكر القرآن الكريم عدة مشاهد أو مواقف من محاوراة إبراهيم ﷺ وأبيه ومنها هذا المشهد وقد تضمنه القول الكريم، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (سورة الأنعام: ٧٤) موقف "غلظة" في الحوار بين "إبراهيم" وأبيه (وهو ما كان بعد

^{١٠٠} انظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، (الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ٢، ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م)، ص ٣٧١.

^{١٠١} انظر: طالب محمد إسماعيل، أساليب المحاوراة في القرآن الكريم، تحقيق: عمران إسماعيل فيكتور، (الأردن: دار زهران للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م)، ص ١٥٢.

أن قال له أبوه (لَإِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ). وقد تضمن ما حكي من كلام "إبراهيم" لأبيه أنه أنكر عليه شيئين أحدهما جعله "الأصنام" آلهة مع أنها ظاهرة الانحطاط عن صفة الإلهية. ثانيهما: وأنت ترى أن في الفعل (تتخذ) إشعاراً بأن ذلك شيء مصطنع مفتعل، وأن الأصنام ليست أهلاً للألوهية، وفي ذلك تعريض بسخافات عقله أن يجعل آلهة شيئاً هو صنعه. وجملة ﴿إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينَةٍ﴾ مبينة للإنكار في جملة (أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا وَآلِهَةً) وأكد الإجماع بحرف التأكيد لما يتضمنه ذلك الإجماع من كون ضلالهم مبيناً.

ونلتقط من قول إبراهيم بعض الإشارات الدلالية العظيمة

الإشارة الأولى "الرؤية" في قوله ﴿أَرَاكَ﴾، كأن ضلال أبيه وقومه صار كالشيء المشاهد لوضوحه في أحوال تقريبهم للأصنام من الحجارة، فهي حالة مشاهد ما فيها من الضلال، ويجوز كون الرؤية علمية، وقوله (فِي ضَلَالٍ مُّبِينَةٍ) في موضع المفعول الثاني. الدلالة الثانية في فائدة عطف ﴿وقومك﴾ على ضمير المخاطب، فالمقام مقام صراحة يقتضي التنبه من أول وهلة على أن موافقة جمع كثير إياه على ضلاله لا تعضد اعتقاده، ولا تشكك من ينكر عليه ما هو فيه.

الدلالة الثالثة: ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينَةٍ﴾ إشارة إلى قوة فساد عقولهم إذ لم يفتنوا لضلالهم مع أن كالمشاهد المرئي.

كما أن للسياق الصوتي أثر في بيان شدة ضلالهم هذه الآية ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَرْتَنِي أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينَةٍ﴾، حيث أكد الإخبار بحرف التأكيد (إِنَّ)، ثم جاء بحرف الجر (فِي) لجعلهم مظروفين في الضلال، وكأن الضلال صار ظرفاً لهم، ثم قرنه بوصف (مبين) ليدل على قوة فساد عقولهم^{١٠٢}

ودلالة السياق القرآني في هذه الآية السابقة لآية الحاجة، توضح بعض مظاهر دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه إلى التوحيد والإخلاص لله سبحانه وتعالى، وتبين كيف كان ينتقد ويفند عبادتهم للأصنام. ومن سباق آية الحاجة أيضاً قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ افتراه أراه الملكوت ليوقن، فلما أيقن رأى كوكبا قال هذا ربي

^{١٠٢} رافع عبد الغني يحيى الطائي، أثر الظواهر الصوتية في تفسير القرآن الكريم، (عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٢٠م)، ص ٣٤١.

معتقداً به هذا لا يكون أبداً^{١٠٣}. فقد يبين الله تعالى كيف أراد أن يزيد إبراهيم عليه السلام في إيمانه ويثبتته على التوحيد، لأنه كان صادقاً في فطرته ومخلصاً للحق، فأنازل الله له بصيرته بالأسرار التي تخفى في الكون والآيات التي تشير إلى الهدى في الوجود، بهذه الفطرة الزكية، وبهذه البصيرة المستنيرة، وبهذا الخلوص للحق، وبهذا القوة في إنكار الباطل، أظهر الله لإبراهيم سر هذا الملك، ملك السماوات والأرض وأطلعته على الأسرار التي تسكن جوهر الكون، وأبان له عن الآيات التي تنتشر في كتب الوجود، وأوصل بين قلبه وفطرته وإلهامات الإيمان وبراهين الهدى في هذا الكون المدهش ليتحول من مرحلة الإنكار على عبادة الآلهة المزورة، إلى مرحلة اليقين المستنير بالإله الحق.^{١٠٤}

وإراءة الله تعالى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض، أي: كل ما يصح أن تحت «ملك»؛ لأنَّ «ملكوت» وأمثالها صيغ مبالغة، وهذه يندرج المبالغة تتجلى بالعموم والشمول، وجعلت إبراهيم نفسه أول المستفيدين من هذا؛ ليكون بهذه الإرادة الإلهية له من أهل اليقين التام، ويطمئن قلبه بحجته وسلامتها، فيقدمها لقومه وهو عالم بما علماً يقينياً لا تخالطه شائبة من شك^{١٠٥}.

المطلب الثاني سياق آية محاجة إبراهيم أبيه وقومه في سورة الأنعام

ومفاد هذه المحاجة أن يظهر المحاور بمظهر المسترشد المستفيد الذي يستعين بمحاوره في معرفة الصواب^{١٠٦} لا بمظهر الخصم المواجه الذي يريد الحجة على خصمه، وإن كان يقصد إلى ذلك حقيقة. كما رأينا من خلال حوار إبراهيم عليه السلام مع نفسه على رأي من قالوا أنه حوار موجه حقيقة إلى قومه؛ يقول الشهرستاني: «فإن الموافقة في العبارة على طريق الإلزام على الخصم

^{١٠٣} الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ١، ص ٢٩١.

^{١٠٤} سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٢، ص ١١٣٩.

^{١٠٥} العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، ص ٣٧٣.

^{١٠٦} أدريس أوهنا، أسلوب الحوار في القرآن الكريم، (المدينة المنورة: مطبعة بلال، ط ٢، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)،

من أبلغ الحجج، وأوضح المناهج^{١٠٧}، وعلى هذا قال فلما ﴿رأى الشمس بازغة قال هذا رب﴾ لا اعتقاد القوم أن الشمس ملك الفلك، وهو رب الأرباب، الذي يقتبسون منه الأنوار، ويقبلون منه الآثار فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون. إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين.

وفي بيان هذه الآلية البديعة في الحوار والمناظرة بأسلوب بديع أيضاً؛ يقول الإمام الشاطبي رحمه الله عليه: «كما أنه يدخل تحت هذا الأصل ما إذا أجرى الخصم المحتج نفسه مجرى السائل المستفيد، حتى ينقطع الخصم بأقرب الطرق، كما جاء في شأن محاجة إبراهيم عليه السلام قومه بالكوكب والقمر والشمس، فإنه فرض نفسه بحضرتهم مسترشداً حتى يبين لهم من نفسه البرهان^{١٠٨}»

سياق الترقى من الأدنى إلى الأعلى في الاستدلال والمحاجة

روعي في بعض جوانب الاستدلال والمحاجة وإقامة البرهان على وجود الله -تعالى- وإبطال الشرك قانون الترقى من الأدنى إلى الأعلى، وفي ذلك تدرج في الإقناع، ووقوف على الحجة الصحيحة، وقد سمى البلاغيون الاستدلال بالمذهب الكلامي، وهو: احتجاج المتكلم على خصمه بحجة تقطع عناده، وتوجب له الاعتراف بما ادعاه، وإبطال ما أورده الخصم.

فهذا ترقى في الحجة من سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وتساعد في الاستدلال^{١٠٩} على بطلان معبودات قومه التي كانوا يعبدونها من دون الله -تعالى- فقد ترقى من إبطال عبادة الكواكب، إلى إبطال عبادة القمر، إلى إبطال عبادة الشمس، وذلك بالنظر إلى حجمها وإلى أفولها، وفي ذلك تدرج في الانتقال بالحجة والاستدلال على ما أراد؛ إقناعاً للعقول وإفحاماً للخصم المعاند. وقد بين ابن كثير سبيل الارتقاء في هذه الآية؛ حيث كان السبيل إلى إبطال

^{١٠٧} محمد جمال الدين القاسمي، تفسير القاسمي محاسن التأويل، تحقيق محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٣م)، ج ٤، ص ٤١٠.

^{١٠٨} أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق: حمد وعبدالله دراز وعبد السلام محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٨م)، ص ٩٢١.

^{١٠٩} زكريا علي الخضر، "أسلوب الترقى من الأدنى إلى الأعلى في القرآن الكريم وأثره في المعنى"، جامعة آل البيت: المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج ١٢، ع ٢، (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م)، ص ١٤٢.

عبادة الكواكب الإقناع بالتدرج، فبدأ بالكوكب مبيناً أنه يشرق ويغرب، ثم يغيب عن الأبصار، وهكذا في سائر الليالي، وهذا لا يصلح للإلهية، ثم انتقل للقمر، فبين مثلما بين في الكوكب، ثم انتقل للشمس كذلك، فلما انتفت الإلهية عن هذه الأجرام الثلاثة التي أنور ما تقع عليه الأبصار، وتحقق ذلك بالدليل القاطع [قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ] [الأنعام: ٧٨] أي: أنا بريء من عبادتها وموالاتها. ويظهر في هذا الأسلوب البلاغي في المحاجة لطيفة من لطائف عدة؛ وهي تنبيه العقول على الدقائق، والتدرج في إقناعها من الخفي إلى الأخرى، قال الألوسي: (وكان تقديم بطلان إلهية الأصنام على ما ذكر من باب الترقى من الخفي إلى الأخرى).

ويتضح من خلال تتبع سياق المحاجة أن هدف إبراهيم عليه السلام هو أن يُثير الأسئلة في أذهانهم ليعودوا إلى رشدهم، وليصلوا إلى حقيقة خالق هذا الكون بيقين تام، فتقدم إلى قومه الذين يعبدون النجوم والكواكب، ويصورون لها أصناماً، وتلك ديانة الصابئة والكلدانين من قوم إبراهيم، وهي ديانة كانت منتشرة آنذاك في جنوب العراق^{١١٠}، مسقط رأس إبراهيم، فاختار أشد الكواكب إضاءة ولمعاناً في ليلة من الليالي، ويبدو أن من الكواكب التي كانوا يعظمونها؛ فقال: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٦]، فبريقه وتوسطه في السماء يجعله لاثماً بأن يمنح صفة الربوبية والتدبير والخلق، وانتظر، وأمل قومه أن تنتهي أزمته معهم. فكأنهم تجاوبوا ونظروا معه إلى النجوم والكواكب، فلما أفل وغاب، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا أُحِبُّ الْأَفْلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦]، فالأفول دليل النقص، وما دام قد أفل وانصرف فمن الذي صرفه وجعله يأفل؟ أليس ذلك أولى بالربوبية منه؟! وقد استمال عقولهم وأذهانهم إلى التساؤل والتفكير، تركهم في حيرتهم وتساؤلاتهم الكثيرة: ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا﴾ [الأنعام: ٧٧] وابتدأ شروقه سارع إلى القول: ﴿هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَإِنْ لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ [الأنعام: ٧٧] تظاهر عليه السلام بعد ذلك كمن يخاطب نفسه، ويتوجه بكل خضوع وإذعان إلى رب هذا الكون، ورب هذه الكواكب، لينعم عليه بالهداية؛ إذ إنَّ جهوده وبجته بنفسه لن تُوصله إلى الإله الحق؛ وفي ذلك بيان لقومه أنهم ضالّون في عبادة هذه الكواكب الآفلة الناقصة، والتي

^{١١٠} انظر: طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، (الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ٢،

١٤٤٢هـ/٢٠٢١م)، ص ٣٧٤.

بلا شك أن لها رباً خالقاً يسير بزوغها وأفولها. ولما تابعوا معه تلك المشاهدات والأدلة الحسية^{١١١} انتظر بزوغ الكوكب الأكبر، «الشمس»: ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَقُومُ إِلَيَّ بَرٌّ مِمَّا تُمَارُونَ﴾ [الأنعام: ٧٨] إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿[الأنعام: ٧٩] لقد تدرّج عليه السَّلامُ معهم وقادهم عبر مسيرة مليئة بـ«الشك المنهجي»؛ ليرفع عن قلوبهم وعقولهم حُجب الأفكار المسبقة والمسلمات الخاطئة التي لا دليل عليها، ويستبدلها بمسلمات سليمة: فالرب لا يمكن أن يفِل أو يغيب وما ينبغي له ذلك.

فطنة سيدنا إبراهيم بحالة المجتمع والبيئة التي يدعو فيها أثر المكان على اختيار نوع الحاجة
إبراهيم عليه السلام كان يسعى بحكمة وصبر لإنقاذ قومه من عبادة الأوثان التي فرضها عليهم المجتمع. وكان هذا المجتمع يستخدم تاريخه وتراثه وثقافته وغيرها من العوامل لصنع أوثان تحجب الحق عن الناس. وكان من أساليب ذلك المجتمع نشر الرهبة والخوف في قلوب من يريدون مخالفة هذه الأوثان، فكان إبراهيم عليه السلام يحاول تنوير عقول قومه وإظهار فطرتهم السليمة ودفعهم إلى التفكير بالحجج والبراهين.

بهذا المنطق القرآني البسيط السهل الممتنع يخاطب القرآن عقل الإنسان، وهو منطق يحرك العقل^{١١٢}، وينطلق معه من بديهيات فطرية تتجاوب مع الدليل القرآني في الاستدلال دونما تعقيد فلسفي أو منطقي جاف.

السياق الصوتي وأثره في بيان سلامة معتقد إبراهيم عليه السلام

ويبرز الأثر التفسيري للتنغيم في جملة ﴿هَذَا رَبِّي﴾؛ إذ يضيف عليها تفسيراً آخر امتد من المساحة اللغوية التي يمكن أن يشغلها فيها، فحينما تُؤدَّى بنغمة هابطة تكون خبرية، ولكن لا يكون هذا الإخبار على سبيل الاعتقاد والتصميم لعصمة الأنبياء من المعاصي، فضلاً عن

^{١١١} العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، ص ٣٧٥.

^{١١٢} راجع: عبد الحميد الكردي، نفحات إيمانية: دلائل عظمة الخالق سبحانه، (الأردن: دار المأمون للنشر، ط ١، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، ص ٣١-٣٢.

الشرك، فقول إبراهيم U هذا ربي في المواضع كلها في السياق ليس هو على ظاهره^{١١٣} أبداً. بل هو تدرج بهم إلى الوصول إلى الحقيقة، وهي أنه لا إله إلا الله، فقله: هذا ربي، أي على قولكم أو زعمكم، وهو كقوله تعالى ﴿أين شركائي﴾ كما زعمتم أو على قولكم، وإلا فالله تعالى يعلم أنه لا شريك له أبداً، أو هو على حذف حرف الاستفهام، أي أهو ربي؟ نحو ﴿أفإن مت فهم الخالدون أي أفهم الخالدون﴾^{١١٤}

الوجه السياقية التي أيدها الخليلي^{١١٥} في الانتصار لرد الرواية الباطلة في سلامة إيمان إبراهيم عليه السلام أوجه من التأويل:

الوجه الأول: لأجل الاستدراج أن إبراهيم عليه السلام أراد بهذا القول أن يعرفهم بخطئهم وجهلهم، في تعظيم ما عظموه، وكانوا يعبدون النجوم ويعظمونها، ويرون أن الأمور تسير بها، فأراهم أنه معظم ما عظموه، وأنه يبحث عن الهدى مثلهم، فلما أفل أراهم النقص الداخل على النجوم ليثبت خطأ دعواهم، مثل هذا مثل الحوار الذي ورد على قوم يعبدون الصنم، أظهر تعظيمه فأكرموا حتى صدروا في كثير من الأمور عن رأيه، إلى أن دهمهم عدو، وشاوروه في أمره فقال: الرأي أن تدعوا هذا الصنم حتى يكشف عنا ما قد أظننا، فاجتمعوا حوله يتضرعون، فلما تبين لهم أنه لا ينفع ولا يرفع دعاهم إلى أن يدعو الله فدعوه، فصرف عنهم ما كانوا يحذرون فأسلموا^{١١٦}.

^{١١٣} أبي بكر جابر الجزائري، **أيسر التفاسير**، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، ٢٠٠٨م)، ج ٢، ص ٦٥.

^{١١٤} رافع عبد الغني يحيى الطائي، **أثر الظواهر الصوتية في تفسير القرآن الكريم**، ص ٣٤١.

^{١١٥} انظر: الخليلي، **تمهيد قواعد الإيمان**، ج ١، ص ٢٩١؛ علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، ٢٠١٤م)، ص ١٢٨؛ عبيد الضير تقي الدين عبد الملك البابي، **نزهة الناظرين في الأخبار والآثار المروية عن الأنبياء والصالحين**، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، ٢٠٠٨م)، ص ٥٨٣؛ الحسين بن مسعود البغوي، **تفسير البغوي معالم التنزيل**، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، (الرياض: دار طيبة، ط ١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ج ٣، ص ١٦٨.

^{١١٦} تقي الدين عبد الملك بن علي المعروف بعبيد الضير، **نزهة الناظرين في الأخبار والآثار المروية عن الأنبياء والصالحين**، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٨م)، ص ٥٨٣.

والوجه الثاني من التأويل أنه قال على وجه الاستفهام: تقديره كقوله تعالى: (أَفَأَيْنِ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ) وذكره على وجه التوبيخ منكرًا لفعلهم، يعني ومثل هذا يكون ربًا، ليس هذا ربي.

والوجه الثالث: أنه ذكره على وجه الاحتجاج عليهم يقول: هذا ربي بزعمكم، فلما غاب قال: لو كان إلهًا لما غاب كما قال: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ لَكَرِيمٌ﴾ أي عند نفسك وزعمك، وكما أخبر عن موسى أنه قال: ﴿وانظر إلى إِلَهِ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾، يريد إلهك بزعمك.

والوجه الرابع: فيه إضمار، وتقديره يقولون هذا ربي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ فلما أفل قال لا أحبُّ الآفلين را ربا لا يدوم ﴿فَلَمَّا رَهَا الْقَمَرُ بَازِغًا﴾ طالعًا قال: ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ قيل: لكن لم يثبتني ربي على الهدى ليس أنه لم يكن مهتديًا، والأنبياء لم يزلوا يسألون الله الثبات على الإيمان، وكان إبراهيم (عليه السلام) يقول: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، ﴿لَا كُؤُنَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ [الأنعام: ٧٧] أي عن الهدى. فَلَمَّارَ الشَّمْسِ بازغة: طالعة قال: قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ (٧) أي أكبر من الكواكب والقمر، ولم يقل هذه مع أن الشمس مؤنثة لأنه أراد هذا الطالع، أو رده إلى المعنى، وهو الضياء والنور، لأنه رآه أضواء من النجوم والقمر، فَلَمَّا أَفَلَتْ غربت ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [٧٨] إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

تعقيب المحقق الخليلي على هذه التأويلات^{١١٧}: حكى في كتابه العزيز من قصص الصبيان وحكاياتهم في حال الطفولية، ثم العجب ألا يبين ما كان من إبراهيم إذ كان طفلًا في سربه قبل معرفته بربه، ثم يثني عليه بذلك ويقول: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ [الأنعام: ٨٣]، فهذا تناقض واضح يدل على أن القائلين بهذا في محل البعد العظيم عن إصابة مفصل الصواب، بل الحق الواضح الذي لا شك فيه أن ذلك كان من إبراهيم (عليه السلام) في مقام الجدال لقومه بإيضاح الحق لهم، وإظهار ما عليه من الباطل في اعتقادهم النفع والضرر

^{١١٧} الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ١، ص ٢٩٤.

من النجوم والتأله لها بالعبادة من دون الله تعالى، فجرى معهم في ذلك على أبلغ أسلوب، وأحكم طريقة وأوضح مثال.

وألمه الله تعالى ذلك ليكون حجة عليهم، ولهذا قال: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ ثم وصفه برفع درجته عنده، وعلو مقامه معه، فقال: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّنَا حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ وإذا كانت هذه هي حجة الله بلسان إبراهيم، فتمحل الوجوه لها طلباً للمخرج لقائلها لئلا يلزمه الشرك بما قاله والاعتذار له بالوجوه البعيدة عناء محض، وهذان بحث، فإن نفس الإذن به من الله تعالى كاف عن طلب المعاذير له، كيف والحق أنه كلام محكم جاز، صحيح، والله أعلم^{١١٨}.

الاستدلال بسياق لحاق آية الحاجة

والذي يدل أن هذا مقام حجة واستدلال من إبراهيم عليه السلام على قومه سياق لحاق آيات الحاجة، وهو قوله تعالى في آخرها ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ نرفع درجات من نشاء، إِنَّ رَبَّنَا حَكِيمٌ عَلِيمٌ فالدرجات هنا درجات الحجة والبرهان العقلي في العلم، ولذلك قدم فيه ذكر الحكمة على العلم^{١١٩}

فهذه الحاجة - التي آتاها الله إبراهيم على قومه - هي التي ينبغي أن يعتمد عليها دعاة التوحيد ليصلوا بالناس إلى مرتبة إِيَّيَّ وَجْهَتْ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا [الأنعام: ٧٩]، مبتعداً عن الباطل، مجافياً للشرك وأهله، مائلاً عن سائر الأديان إلا دين الحق الذي اختاره الله لعباده وأرست دعائمه أمة الأنبياء الواحدة، والموحد يتجه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِمَحْضِ اخْتِيَارِهِ وَإِرَادَتِهِ فَيَتَجَلَّى مَعْنَى: ﴿إِيَّيَّ وَجْهَتْ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام: ٧٩].

كما قال الله تعالى بعد آية الحاجة ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ ولم يقل على نفسه!^{١٢٠}، فهي من عند الله ليحاج بها قومه. وهذا ما ذهب إليه المحقق سعيد بن

^{١١٨} الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ١، ص ٢٩٤.

^{١١٩} انظر: محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، (بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط ٣، ١٤٠٦هـ)، ص ٢٦٨.

^{١٢٠} عقيل حسين، إبراهيم عليه السلام من وحي القرآن والسنة، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ٢٠١٧م)، ص ٢٠.

خلفان الخليلي حيث أفاد أن هذه الحجة من الله تعالى بلسان إبراهيم، فلا يحتاج إلى تبرير أو تفسير لقوله، ولا يحتاج الاعتذار له والتبرير بأسباب بعيدة عن الحقيقة، ولا يصح أن يتهم بالشرك أو الجنون، فإن إذن الله تعالى به كاف لبراءته من ذلك^{١٢١}

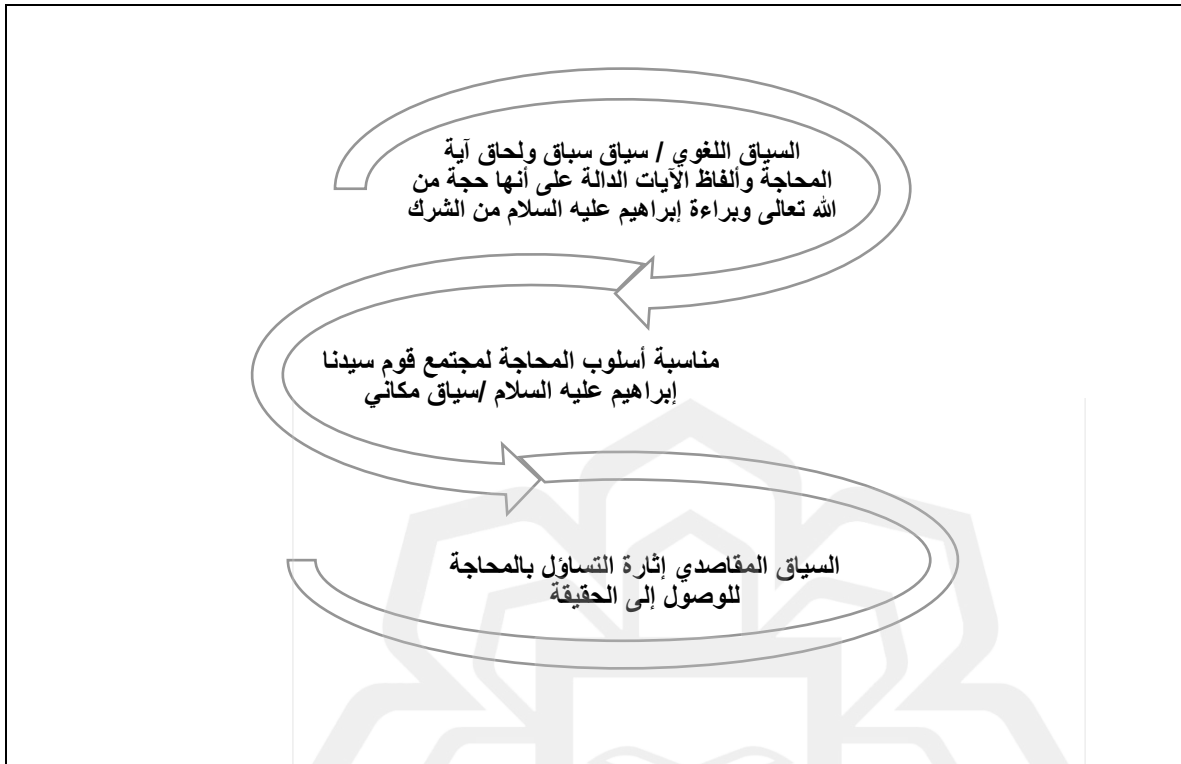
وبعد أن تحدث إبراهيم مع قومه بحجة قوية وواضحة، لم يتوقفوا عن مجادلته ومخاصمته في الله الذي هداه إليه فقال لهم بتعجب واستغراب هل تجادلوني في الله وهو قد هداني؟ [الأنعام: ٨٠] قوله وقد هداني هذا دليل على أن محاجة إبراهيم لقومه هي هداية من الله تعالى وتوجيه من سبحانه لإثبات الحجة عليهم. ولما خوفه قومه بأهتهم التي لا تسمع، ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر، فأجابهم إبراهيم بشجاعة وثقة ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ [الأنعام: ١٨٠]، وإن أصابني شيء فليس بسبب آهتكم المنحوتة، بل بإذن ربي وإلهي الذي يعلم ما هو خير لي وما هو شر، فإنه عليم بكل شيء، حكيم في كل أمر. فكيف تخافون من شركائكم التي لا دليل عليها ولا برهان ولا تخافون من الله رب هذا الكون العظيم، فأَي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون! فالسياق اللاحق لآيات محاجة إبراهيم لقومة تدل على قوة إيمان إبراهيم، وعلى أن هذه المحاجة هي بهداية من رب هذا الكون، وتفنيد على اتخاذهم آلهة لا دليل ولا شاهد عليها. ويصف المحقق الخليلي إن استخدامه هذه الطريقة غاية في الجمال والإبداع والإتقان حيث قال: كلام محكم جائز صحيح، فإن إirاده على تلك الطريقة في غاية الحسن ونهاية الإحكام والإتقان^{١٢٢}.

وخلاصة القول يذهب المبحث إلى ما ذهب إليه المحقق سعيد بن خلفان الخليلي حيث أن الجلي الذي لا ريب فيه أن ذلك كان من إبراهيم U في حالة الجدل مع قومه لبيان الحق لهم، وإبطال ما هم عليه من باطل اعتقادهم المنفعة والمضرة من الكواكب والإدانة لها بالعبادة من دون الله تعالى، فتكلم معهم بذلك الأسلوب الذي هو معروف في اللغة وله شواهد من آيات مبثوثة في كتاب الله كما تم عرضه في المطالب السابقة، وأن هذه الحجة من عند الله تعالى آتاها إبراهيم عليه السلام، وتشهد بذلك الآيات السابقة واللاحقة، كما أن هذه الحجة تناسب

^{١٢١} انظر: الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ج ١، ص ٢٩٤.

^{١٢٢} المرجع نفسه، ج ١، ص ٢٩٤.

مجتمع سيدنا إبراهيم وقومه، لكل هذه الاعتبارات رفع الله تعالى مكانة سيدنا إبراهيم وشرفه. ويظهر المخطط التالي التكامل السياقي بين أنواع السياق في آية الحاجة.



المبحث الخامس: دلالة السياق القرآني في آية مسألة فرعون عن رب العالمين في سورة الشعراء عند المحقق الخليلي

من أهم مظاهر السياق المقاصدي في حوارات القرآن الكريم هو توجيه الحوار إلى ما يخدم المصلحة العامة والفائدة الشرعية، وتجنب الجدل العقيم والخروج عن الموضوع. وأحد هذه الحوارات ما ورد في سورة الشعراء في آية مسألة فرعون عن رب العالمين. فمن خلالها نلاحظ كيف استخدم موسى عليه السلام أسلوب الحوار المقاصدي مع فرعون. وسنتطرق في هذا المبحث من خلال ثلاثة مباحث إلى بيان دور هذه الدلالة السياقية في خدمة المعنى كما سيأتي:

المطلب الأول: المحور الكلي لسورة الشعراء

ولكل سورة محور أو أكثر يشكل أساس بنائها ومضمونها. ويمكن أن يسمى المحور، أو الهدف، أو الغرض، أو القصد من السورة، ويمكن أن يتألف من آية واحدة أو عدة آيات. وقد تحمل

السورة اسماً مرتبطاً بمحورها أو اسماً آخر، فبعض السور سماها رسول الله (ﷺ) بأسماء معينة، وبعضها اشتهرت بأوصافها، وبعضها كان يطلق عليها السلف بالسور التي فيها ذكر كذا وكذا^{١٢٣}.

المحور الكلي لسورة الشعراء هو الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، وبيان حقيقة الرسالة الإسلامية وإثبات صدقها بالبراهين والمعجزات، وتحذير المكذابين من عاقبة الطغاة والمستكبرين في الدنيا والآخرة^{١٢٤}.

يقول سيد قطب في مواضيع هذه السورة: تتناول موضوع العقيدة الإسلامية، وهو موضوع مشترك بين جميع السور المكية، وتلخصه في ثلاث نقاط رئيسية: التوحيد والرسالة والبعث. وتستخدم السورة أسلوب القصص لتوضيح هذا الموضوع وتقديم الأدلة والبراهين عليه، وتشغل القصص ثمانية أجزاء من تسعة أجزاء في السورة. والسورة تبدأ بمقدمة تمجد القرآن وتنتهي عن التكذيب وتنتهي بتعقيب يحث على التوبة والإيمان، والقصص والمقدمة والتعقيب يشكلون كياناً موحداً متسقاً يعبر عن مضمون السورة ويبرزه بأنماط مختلفة، تلتقي في غاية واحدة. وفي كل قصة تختار السورة المشهد أو المشاهد التي تخدم هذه الغاية^{١٢٥}.

علاقة آية مسألة فرعون بمحور السورة

هناك علاقة سياقية بين محور سورة الشعراء وبين سياق آية مسألة فرعون عن رب العالمين، وهي أنها تظهر تكذيب فرعون دعوة موسى عليه السلام إلى التوحيد والإيمان برب العالمين، واستهزائه بالقرآن والوحي، واستعجاله بالعذاب الذي توعد به. وهذا يتفق مع محور السورة الذي يتناول أصول الدين من التوحيد والرسالة والبعث، ويبين عاقبة المكذابين بالرسول والمعرضين عن آيات الله، ويطمئن قلوب المؤمنين ويصبرهم على ما يلقون من عدوان المشركين، كما أن هذه الآية تمهد لقصة موسى عليه السلام وفرعون التي تشغل جزءاً كبيراً من السورة، وتبرز مناظرة موسى

^{١٢٣} أحمد حاجم الربيعي، أساليب الخطاب في القرآن الكريم، (بيروت: دار غيداء للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠١٧م)،

ص ١٥٥

^{١٢٤} انظر: سعيد حوى، الأساس في التفسير، (القاهرة: دار السلام، د. ط، ١٩٨٥م)، ج ٧، ص ٣٩٧٤.

^{١٢٥} سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٥، ص ٥٢٨٣.

عليه السلام مع فرعون الطاغية، وإظهار آيات الله سبحانه التي تثبت صدق رسوله وتحقق نصرته.

المطلب الثاني: العدول في سياق آية مسألة فرعون عند المحقق الخليلي

قول المحقق سعيد بن خلفان الخليلي عن سؤال فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ فإنه سؤال من الخبيث المارد عن الماهية عند أكثر المفسرين^{١٢٦}

فكان جواب موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٤]. فأجابه بما يدل على عظمة خالق كل شيء، وأن له آية في كل مخلوق، وأن لا إله غيره يستحق العبادة.

ولم يخض في تفصيل صفات ربه أو أسمائه أو أفعاله، لأن ذلك لم يكن هدف فرعون من سؤاله، بل كان يريد إثبات زعمه بأنه هو رب المصريين، وأن موسى عليه السلام هو ساحر أو مجنون. فكان جواب موسى عليه السلام مختصراً ومؤثراً في نفس من يستمع إليه بإخلاص. يقول المحقق سعيد بن خلفان بهذا الصدد: ويسمى هذا الجواب عدولاً، لأنه عدل به عن مطابقة اللفظ إلى مطابقة الحق، والحق أحق أن يتبع^{١٢٧}

كما أثنى المحقق الخليلي على قول الزمخشري واعتبره بياناً وافياً لهذه المسألة الذي قال فيها: أنه إذا كان فرعون يسأل عن ذات الله تعالى بشكل عام، فالجواب هو أن ينظر إلى أفعاله الخاصة التي تدل على صفاته الكمالية. وأما إذا كان يسعى إلى معرفة حقيقة ذاته التي تتجاوز قدرة العقول على إدراكها، فهذا طلب باطل ومستحيل، والسائل مجرد متكبر لا يبحث عن الحق. وهذا كفاية في الرد على سؤاله عن الذات المقدسة^{١٢٨}

أما عن أثر لفظ إن كنتم موقنين على السياق الآية في جواب موسى على فرعون هو أنه يدل على أن موسى لم يجادل فرعون بالكلام الفارغ أو الجدل العقيم، بل أراد أن يهديه إلى الحق بالبراهين والدلائل التي تقطع الشك وتثبت الإيمان، فلفظ إن كنتم موقنين يشير إلى أن

^{١٢٦} الخليلي، تمهيد قواعد الإيمان، ص ٤٥٣.

^{١٢٧} المرجع نفسه.

^{١٢٨} انظر: المرجع نفسه، ج ١، ص ٤٥٣.

موسى لا يتحدث إلا بما توقن به نفسه، وأنه يدعو فرعون وقومه إلى التأمل في خلق السماوات والأرض وما بينهما من آيات تدل على وحدانية الله وربوبيته. كما أن هذا اللفظ يحمل في طياته تحدياً لفرعون إن كانوا موقنين بأن لهم رباً غير الله، فليأتوا بدليل على ذلك، أو ليقبلوا بالحجة التي جاء بها موسى من رب العالمين. وهذا ما يجعل الحوار مبنياً على المقاصد والفوائد، وليس على المجادلة العقيمة^{١٢٩}

ولكن فرعون لم يكتف بجواب موسى عليه السلام، بل حاول تغيير الموضوع وطرح أسئلة أخرى لإبطال دعوته، فقال: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣]. فأجابه موسى عليه السلام بإشارة إلى أصول خلق فرعون وآبائه، فقال: ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ٢٦]. فذكره بأنه ليس خالداً أو أزلياً، بل هو مخلوق من العدم، وسائر إلى الموت، كما عدم آباؤه الأولون. ولم يكتف فرعون بذلك، بل تجاهل جواب موسى عليه السلام، واتهمه بالجنون، فقال: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧]. فرد عليه موسى عليه السلام بإظهار قدرة الله على خلق الشرق والغرب وما بينهما، وأن الجنون هو إنكار ذلك، فقال: ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٨].

المطلب الثالث: أثر السياق المقاصدي لجواب موسى عليه السلام

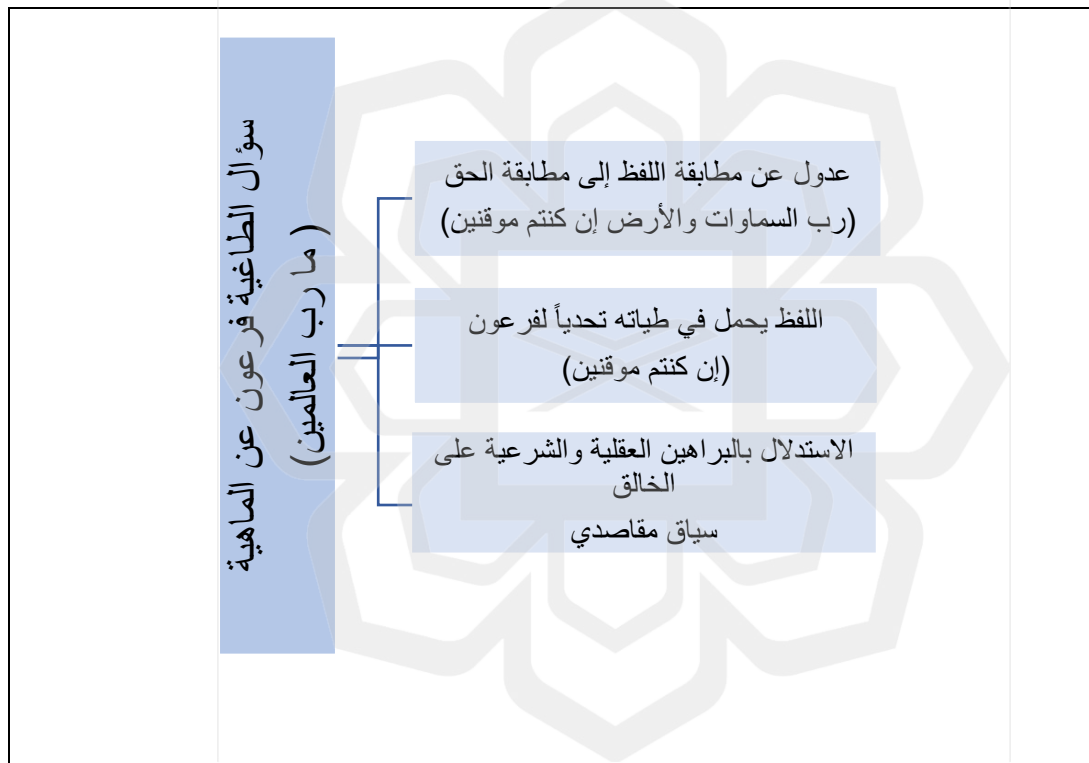
الجواب الذي أعطاه موسى عليه السلام لفرعون عندما سأله عن هوية الرب الذي أرسله، تضمن حكمة عظيمة ودلالة قوية على وحدانية الله وقدرته ورحمته. فقد أشار موسى عليه السلام إلى أن الرب هو خالق كل شيء في السماوات والأرض وما بينهما، وأنه لا يشاركه أحد في ملكه وسلطانه. وقد استدل بالبراهين العقلية والشرعية على ذلك، فقال: إن كنتم موقنين، أي إن كان لديكم يقين بوجود الخالق والمدير لهذا الكون. وبهذا الجواب أراد موسى عليه السلام أن يبين لفرعون أنه لا يجب أن يتعصب لرأيه ويتجاهل الحقائق الموضحة له، بل يجب أن يتبع المقاصد الشرعية والمصالح العامة في حوارهِ، وألا يدخل في جدال لا طائل منه.

^{١٢٩} انظر: أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط ١، ٢٠٠٨م)، ج ٣،

وأراد أيضاً أن يجعل فرعون يتأمل في آيات الله في خلقه وفي رزقه وفي تدبيره الأمور الحياة، فربما يستفيق من غفلته ويعترف بالحق^{١٣٠}

فهذا هو الحوار المقاصدي الذي يستهدف الحق ويتجاوز الباطل، ويستخدم أسلوباً مناسباً لكل موقف وحالة، ولا يضيع الوقت في ما لا يفيد أو يضر. وهذا هو ما يحتاجه المسلم في دعوته إلى الله تعالى، أن يكون حكيماً وبصيراً في حوارهِ مع الآخرين، وأن يستعين بالقرآن والسنة في بيان حجته وبرهانه.

وزبدة القول في هذه المسألة نلخصها إجمالاً كما يلي:



^{١٣٠} انظر: عدنان مهدي سلطان الدليمي، الإعجاز البلاغي في القصة القرآنية دراسة في سور الطواسين، (العراق: جامعة الموصل، ط ١، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م)، ص ١٣٨-١٤١.

الخاتمة

أولاً: النتائج

١. السياق القرآني هو مجموعة العوامل التي تحدد معنى الكلام في القرآن الكريم، وتشمل هذه العوامل ما قبل الكلام وما بعده، وما يتصل به من سبب نزول، أو مخاطب، أو موضوع، أو غير ذلك. السياق القرآني له أهمية كبيرة في التفسير، لأنه يساعد على فهم مراد الله تعالى في آياته، ويوضح المعاني المختلفة والمتشابهة، ويدفع التأويلات الخاطئة والمغالطات.

٢. للسياق فوائد عديدة، منها:

أ. تصحيح القراءات وتضعيف بعضها أو ردها بناء على مدى تناسبها مع السياق.

ب. بيان الأصح من أسباب النزول وترجيح المخاطب بالآيات، والتفريق بين الخصوص والعموم.

ج. إظهار تناسب الآيات وترابطها وتقسيمها إلى مقاطع مناسبة للموضوعات بين دلالة السياق على المعنى في الآية الواحدة أو الآيات، وتحديد المخاطب أو الموصوف.

د. ترجيح المعاني المحتملة للكلمات أو التعبيرات وإزالة الإشكالات أو المتضادات.

٣. وعلى الرغم من أهمية السياق وفوائده، فإن هناك بعض الأسباب التي تجعل بعض

المفسرين يغفلون عنه أو يستخدمونه بشكل خاطئ من هذه الأسباب

أ. جهل المفسر بأصول التفسير وقواعد السياق، أو تجاهله لها.

ب. اتباع المفسر للروايات والأخبار دون تحقيق أو نقد، أو اتخاذها حجة دون رجوع إلى السياق.

ج. تأثر المفسر بالمذهب أو المدرسة أو الميل الفكري، وإجبار الآية على مطابقة رأيه.

د. إغفال المفسر للظروف التاريخية أو الجغرافية أو الثقافية التي نزل فيها القرآن، أو التغيرات التي حصلت في استعمال اللغة.

٤. ولذلك يجب على المفسر أن يكون حذرًا في استخدام السياق، وأن يتبع ضوابط محددة، منها:

أ. احترام رسم القرآن وإشاراته وإعرابه وتشكيله واتباع قراءات المتقدمين المشهورة والمروية بالإجماع.

ب. اعتماد التفسير بالقرآن أولاً، ثم بالسنة، ثم بأقوال.. الصحابة والتابعين والسلف الصالح

ج. التمسك بالظاهر من الخطاب، وعدم اللجوء إلى التأويل إلا للضرورة.

د. النظر إلى السياق العام للسورة والآيات، وعدم اقتطاع الآية عن موضعها.

هـ. مراعاة التناسب والترابط بين الآيات، وعدم تفريق ما جمعه الله أو جمع ما فرقه.

و. تحري الدقة في تحديد المخاطب، أو الموصوف، أو المشروع، أو المنهي عنه.

ز. تجنب التكرار الذي لا معنى له، أو التضاد الذي لا حل له.

٥. مدرسة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي هي مدرسة علمية وفكرية تتميز بالالتزام

بالكتاب والسنة ومنهج الصحابة والتابعين، وبالاستقلال في البحث والتأصيل،

وبالجرأة والصدق في الفتوى والتوجيه. وقد اشتهر بها الشيخ المحقق سعيد بن

خلفان الخليلي، الذي كان من أعلام عُمان في القرن الثالث عشر الهجري، وكان

كعبة المعلمين والعلماء في عصره آنذاك.

ومن ملامح مدرسة المحقق الخليلي:

أ. التوسع في شتى فروع العلوم الشرعية، مثل الفقه والأصول والتفسير والصرف

والنحو وغيرها، وإنتاج مؤلفات جليلة فيها، مثل (كرسي الأصول)،

و(التمهيد)، و(مقاليد التصريف)، وغيرها.

ب. التمسك بأصول الدين الحق وآثار الصحابة الكرام والسلف الصالح، وبيان حقائق التوحيد والولاية والبراءة، ورد شبهات المخالفين.

ج. التأصيل للأحكام الشرعية بالدلائل العقلية والنقلية، واستخدام منطق البديهة والضرورة، دون التورط في المنطق الفلسفي أو التكلف.

د. التفسير بالقرآن أولاً، ثم بالسنة، ثم بأقوال الصحابة والتابعين والسلف الصالح، مع احترام رسم القرآن، وإشارات، وإعرابه، وتشكيله.

هـ. اتباع قراءات المتقدمين المشهورة والمروية بالإجماع، دون ابتداع قراءات جديدة أو تضعيف بعضها أو ردها.

و. اعتماد التفسير بالظاهر من الخطاب، دون لجوء إلى التأويل إلا للضرورة.

ز. مراعاة سياق الآية في تفسيرها، سواء كان سياق لغوي، أو تاريخي، أو جغرافي، أو ثقافي.

تحديد المخاطب، أو الموصوف، أو المنهني عنه بدقة، دون تخصيص أو تعميم غير مبرر.

ح. تجنب التكرار، أو التضاد، أو التشكيلات، أو التناقضات في التفسير. سياق القرآني هو العلاقة بين الآيات والسور في القرآن الكريم، والتي تبين معانيها ومقاصدها وأسرارها.

٦. السياق القرآني له أثر كبير في كثير من مباحث علوم القرآن من التجويد والقراءات والناسخ والمنسوخ وأسباب النزول. من هذا الأثر ما يلي:

أ. أثر السياق في القراءات: يساعد السياق على تصحيح أو تضعيف أو رد بعض القراءات التي تخالف المعنى المراد من الآية أو تتعارض مع سياقها.

ب. أثر السياق في كشف المعاني: يوضح السياق معاني بعض الكلمات أو التعبيرات التي قد تكون غامضة أو مجازية أو متشابهة.

٧. اعتبار السياق القرآني في التفسير يؤدي إلى تحقيق الدقة والصحة في استخراج المعاني والأحكام من كلام الله تعالى.

٨. للسياق القرآني أثر في أقوال المفسرين واختلافاتهم فهو يساعد على ترجيح أو تفضيل بعض الأقوال على بعضها البعض، أو على توفيق بينها إذا احتمل ذلك.

٩. أبرز المحقق الخليلي أن سورة الفاتحة تحوي إشارات سياقية ومضامين تعد دستوراً للمسلمين في حياتهم وذلك من خلال تحليله لآياتها وبيان ما تشمل عليه من مبادئ وأهداف وقيم.
١٠. رسم المحقق الخليلي من خلال إبراز الروابط السياقية مشهد من مشاهد يوم القيامة في سورة الحديد والحوار بين المؤمنين والمنافقين للاقتباس من نورهم، ووضح أصول الحرمان من ذلك النور ليكون عبرة وعظة لكل حي قبل فوات الأوان.
١١. تخصيص عموم الآيات هو أحد الموضوعات المهمة في علم التفسير الفقهي، وهو يعني تحديد معنى الآية العامة بما يتناسب مع مقاصد الشرع والسياق القرآني والأدلة الأخرى المحقق الخليلي هو أحد العلماء الذين اهتموا بهذا الموضوع، وأظهروا براعة في تطبيقه على آيات مختلفة.
١٢. استدل المحقق الخليلي بالسياق القرآني في بيان براءة إبراهيم عليه السلام مما نسب إليه من روايات باطلة عن سلامة معتقده في آيات محاجة قومه في سورة الأنعام.
١٣. وضح المحقق الخليلي السياق القرآني المقاصدي الذي تضمنه حوار موسى عليه السلام مع فرعون في مسألة فرعون عن مارب العالمين ليكون نموذجاً حياً يُتخذى به لكل من يحاور أعداء الله المشركين به.

ثانياً: التوصيات العملية للبحث:

١. توصي الباحثة طلاب الدراسات العليا بالتفكير في تكامل الآيات القرآنية، وكيف يمكن ربطها ببعضها البعض، واللجوء إلى منهجية المحقق الخليلي كمنهجية ملهمة ومحفزة لابتكار مناهج جديدة في تفسير القرآن اعتماداً على السياق القرآني، فهذه الخطوة تساهم في فهم الرسالة القرآنية ككل وتداخل المفاهيم والمعاني.
٢. أوصي جميع الباحثين في العلوم الإسلامية وخاصة المتخصصين في علوم القرآن الكريم، استكمال مسيرة البحث في تراث المحقق الخليلي في تفسير آيات الله تعالى وتفسير سور القرآن وجمع ما تفرق منه في كتبه المتنوعة، وتقصي منهجه في استنباط المعاني من الألفاظ..

٣. أوصي الباحثين إلى الالتفات إلى مناهج علماء التفسير المختلفة في تفسير كلام رب العالمين والجهود التي بذلوها في إظهار ما اشتملت عليه الآيات القرآنية من علوم وفوائد، وذلك لزيادة الإدراك في كيفية التعامل مع آيات الذكر الحكيم.
٤. أوصي الباحثين والمفسرين الاهتمام بدراسة وتفسير القرآن الكريم بناءً على السياق القرآني اللغوي والسياق الخارجي الذي يشمل الأحاديث النبوية وآثار الصحابة، إذ ذلك يساعد في فهم أعمق للمعاني والمفاهيم القرآنية.
٥. من الوصايا العملية لهذا البحث حث الباحثين على أن يأخذوا بعين الاعتبار الأحاديث النبوية الصحيحة وآثار الصحابة في تفسير القرآن، وربط ذلك بالاستنباطات الجديدة الخاصة بالباحثين والمفكرين والمفسرين الجدد، إذ ذلك يساعد في توضيح المفاهيم والتفسيرات المتعلقة بالآيات القرآنية، ويساهم كذلك في الحفاظ على الأصالة والدقة في البحث والتفسير، كما يمكن أن يساهم في تطوير البحوث وزيادة الفهم المشترك للقرآن الكريم.

قائمة المصادر والمراجع

أبا الخليل، خالد بن علي؛ وآخرون. (١٤٤١هـ). موسوعة المصطلحات الإسلامية. (ط٣). الرياض: مؤسسة رواد الترجمة.

ابن الجزري، محمد بن محمد بن محمد بن علي. (٢٠١٨م). النشر في القراءات العشر. (ط١). بيروت: دار الفكر العلمية.

ابن الجوزي. أبي الفرج عبد الرحمن. (١٤٢٢هـ). زاد المسير في علم التفسير. (ط١). عبد الرزاق المهدي (تحقيق). بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن الجوزي. جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن. (٢٠٠١م). فنون الأفنان في عيون علوم القرآن. (ط١). محمد حسن محمد حسن (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن الجوزي. جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن. (٢٠١٢م). المنتخب في النوب. (د.ط.). أسامة عبد العظيم (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن الزبير، محمد؛ وآخرون. (١٩٩١م). دليل أعلام عمان القسم الثالث. (ط١). مسقط: جامعة السلطان قابوس.

ابن العربي. أبي بكر محمد بن عبد الله. (٢٠١٩م). أحكام القرآن. (د.ط.). بيروت: دار الفكر.

ابن القيم الجوزية. محمد بن أبي بكر. (١٩٩٤م). الضوء المنير على التفسير. (ط١). علي الحمد الصالحي (تحقيق). الرياض: مؤسسة النور للطباعة.

ابن تيمية. أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن السلام. (١٤٩٠هـ/١٩٨٠م). مقدمة في أصول التفسير. (د.ط.). بيروت: دار مكتبة الحياة.

ابن حجر المكي. أبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد. (٢٠١١م). فتح الجواد بشرح الإرشاد. (ط١). تحقيق: عبد اللطيف حسن (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن خالويه. أبي عبد الله الحسين. (٢٠٢٢م). مجدول في القراءات الشاذة. (ط١). الأردن: دار الخليج للنشر والتوزيع.

ابن زريق. حميد بن محمد. (١٩٩٢م). الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين. (د.ط.). سلطنة عمان: وزارة التراث والثقافة.

ابن عادل الحنبلي. عمر بن علي بن عادل. (١٤١٩هـ/١٩٩٨م). اللباب في علوم الكتاب. (ط١). عادل أحمد عبد الموجود (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن عاشور. حمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي. (١٩٨٤م). التحرير والتنوير. (د.ط.). تونس: الدار التونسية للنشر.

ابن عاشور. محمد الطاهر. (١٩٨٤م). تفسير التحرير والتنوير. (ط١). تونس: دار التونسية للنشر.

ابن عاشور. محمد الطاهر. (١٩٨٨م). التحرير والتنوير. (ط١). بيروت: دار الكتاب.

ابن عطية. أبو محمد عبد الحق بن غالب. (٢٠١٦م). المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز. (ط١). عبد السلام عبد الشافي محمد (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن عقيلة المكي. جمال الدين محمد. (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م). الزيادة والإحسان في علوم القرآن. (ط١). جامعة الشارقة: مركز البحوث.

ابن فارس. أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني. (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م). معجم مقاييس اللغة. (د.ط.). عبد السلام محمد هارون (تحقيق). سوريا: دار الفكر.

ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر. (٢٠٠٥م). اختيارات ابن قيم الجوزية الأصولية. (د.ط.).
الجزائر: دار ابن باديس.

ابن قيم الجوزية، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر. (١٩٩٤م). بدائع الفوائد. (د.ط.). تحقيق:
أحمد عبد السلام (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن قيم الدمشقي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب. (٢٠١٠م). تهذيب
مدارج السالكين. (ط١). عبد المنعم العزي (تحقيق). مصر: دار النشر للجامعات.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي جمال الدين. (١٤١٤هـ). لسان العرب. (ط٣). اليازجي
وجماعة من اللغويين. (تحقيق). بيروت: دار صادر.

أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى. (٢٠١٠م). إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب
الكريم. (ط١). خالد عبد الغني محفوظ (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

أبو الطيب، محمد صديق خان بن حسن بن علي القنوجي. (١٤١٢هـ/١٩٩٢م). فتح البيان
في مقاصد القرآن. (د.ط.). بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر.

أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير. (١٤١٩هـ). تفسير القرآن العظيم. (ط١). محمد
حسين شمس الدين (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون.

أبو القاسم النويري. (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م). شرح طيبة النشر في القراءات العشر، (ط١).
مصر: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف.

أبو القاسم، سليمان بن أحمد. (د.ت.). تفسير القرآن العظيم للطبراني. (ط٢). هشام بن
عبد الكريم البدراني (تحقيق). الأردن: دار الكتاب الثقافي.

أبو جعفر النحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل. (١٤٢١هـ). إعراب القرآن. (ط١). عبد
المنعم خليل إبراهيم (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي. (١٤٢٠هـ). البحر المحيط. (د.ط.). تحقيق: صدقي محمد جميل (تحقيق). بيروت: دار الفكر.

أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف. (١٤٢٠هـ). البحر المحيط في التفسير. صدقي محمد جميل (تحقيق). بيروت: دار الفكر.

أبو سكين، إبراهيم محمد. (د.ت). دراسات لغوية في أمهات كتب اللغة. (د.ط.). مصر: الأزهر الشريف.

أبو سليمان، صابر حسن محمد. (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م). مورد الظمان في علوم القرآن. (ط١). الهند: الدار السلفية.

أبو شعبة، محمد بن محمد بن سويلم. (٢٠٠٦م). الوسيط في علوم ومصطلح الحديث. (د.ط.). بيروت: دار الفكر العربي.

أبو صفية، عبد الوهاب رشيد صالح. (١٤٣٢هـ/٢٠١١م). التكامل السياقي دلالة وتفسير. (ط١). عمان: دار عمار.

أبو عبد الرحمن، جمال بن إبراهيم. (٢٠٠٠م). البيان في زاد المقرئين أثناء تلاوة الكتاب المبين. (ط١). الرياض: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.

أبو مطر، أمجد وفيق محمد. (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م). السياق القرآني وأثره في الترجيح بين خلافات المفسرين. رسالة دكتوراة. جامعة طرابلس: لبنان.

أبو موسى، محمد بن محمد. (٢٠١٢م). من أسرار التعبير القرآني. (د.ط.). القاهرة: مكتبة وهبة للنشر.

أحمد، شهاب الدين أبي العباس. (٢٠١٢م). الآيات البينات على شرح جمع الجوامع. (ط١). زكريا عميرات (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

أحمد، عبد الله خضر. (٢٠١٩م). مدخل إلى علوم القرآن واتجاهات التفسير. (د.ط.). بيروت: دار الكتب العلمية.

أحمد، كرم عبد الستار. (٢٠٢٠م). السياق القرآني عند المفسرين بين ضوابط المعتدلين وقراءات الغالين. مصر: جامعة الأزهر، حولية كلية أصول الدين، العدد ٣٣.

إسماعيل، طالب محمد. (١٤٣١هـ/٢٠١٠م). أساليب المحاور في القرآن الكريم. (ط١). عمران إسماعيل فيتور (تحقيق). الأردن: دار زهران للنشر والتوزيع.

أطفيش. محمد بن يوسف وهبي. (١٩٨٠م). هيمان الزاد إلى دار المعاد. (ط١). سلطنة عمان: وزارة التراث القومي والثقافة.

آل بورنو، محمد صدقي. (١٤١٦هـ/١٩٩٦م). الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية. (ط٤). بيروت: مؤسسة الرسالة العالمية.

الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله. (١٤١٥هـ). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. (ط١). علي عبدالله الباري (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

إمام، كريم. (٢٠١٨م). مختصر قواعد التفسير. (د.ط.). مصر: دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع.

أمنان، صالحة يعقوب محمد. (٢٠١٥م)، القراءات الشاذة وموقفها عند المسلمين دراسة قرآنية تحليلية، مجلة اللغة العربية للأبحاث التخصصية. المجلد ١. العدد ٤

الإندونيسي، عبد الرؤوف محمد أمين (٢٠١٣م) الاجتهاد تأثره وتأثيره في فقه المقاصد والواقع. (د.ط.). بيروت: دار الكتب العلمية.

الأنصاري، أبو عبد الله محمد بن أحمد. (٢٠١٩م). الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي. (د.ط.). الأردن: دار الفكر.

أنيس، إبراهيم. (١٩٧٢م). دلالات الألفاظ. (ط٣). القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

أوهنا، أدريس. (١٤٣٩هـ/٢٠١٧م). أسلوب الحوار في القرآن الكريم. (ط٢). المدينة المنورة: مطبعة بلال.

باجو، مصطفى بن صالح. (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م). منهج الاجتهاد عند الإباضية. (ط٢). الجزائر: جمعية التراث.

باحويرث، تهاني بنت سالم بن أحمد. (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م). أثر دلالة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني. رسالة ماجستير غير منشورة. مكة المكرمة: جامعة أم القرى.

الباز، محمد عباس. (٢٠٢١م). الحذف البلاغي في الرسم القرآني. (ط١). بيروت: دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. (١٤١٤هـ/١٩٩٣م). صحيح البخاري. (ط٥). تحقيق: مصطفى ديب البغا (تحقيق). دمشق: دار ابن كثير.

البخاري، أبي الطيب صديق بن حسن. (٢٠٠٨م). عون الباري لحل أدلة صحيح البخاري. (ط١). محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي (تحقيق). بيروت: دار الكتاب.

البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل. (٢٠١٩م). صحيح البخاري. (ط١). محمود محمد حسن نصار (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

البرزنجي، أيوب آدم رسول. (٢٠١٩م). أقوال الأكثرية في التفسير بالمأثور في القرنين الرابع والخامس هجري. (ط١). بيروت: دار الكتب العلمية.

البغا، مصطفى ديب؛ ومحبي الدين ديب مستو. (١٤١٨هـ/١٩٩٨م). الواضح في علوم القرآن. (ط٢). دمشق: دار العلوم الإنسانية.

البغدادى، علاء الدين علي بن محمد الخازن. (١٤١٥هـ). لباب التأويل في معاني التنزيل. (ط١). عبد السلام محمد شاهين (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. (١٤٢٠هـ). معالم التنزيل في تفسير القرآن. (ط ١).
عبد الرزاق المهدي (تحقيق). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

البغوي، الحسين بن مسعود. (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م). تفسير البغوي معالم التنزيل. (ط ١).
محمد عبد الله النمر وآخرون (تحقيق). الرياض: دار طيبة.

بو عقل، مصطفى. (٢٠١٠م). إجماعات الأصوليين جمع ودراسة. (ط ١). بيروت: دار ابن
حزم للطباعة والنشر.

البوسعيدي، خلفان بن سالم؛ وآخرون. (٢٠٢٠م). مدرسة الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي
التعليمية، مركز رفاة للدراسات والأبحاث، المجلة الدولية للدراسات الإسلامية
المتخصصة، المجلد ٥، العدد ١.

البيضاوي، ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر. (١٤١٨هـ). أنوار التنزيل وأسرار التأويل
مع تخریج أحاديث البيضاوي. (ط ١). محمد عبد الرحمن المرعشلي (تحقيق). بيروت:
دار إحياء التراث العربي.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الضحاك. (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م). سنن الترمذي. (ط ٢).
إبراهيم عطوة عوض (تحقيق). مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

توفيق، هادي نور. (٢٠٢٢م). المدخل في علوم القرآن. (ط ١). أندونيسيا: الجامعة المحمدية
مالانج.

الثعالبي، عبد الرحمن. (د.ت). الجواهر الحسان في تفسير القرآن. (د.ط.). أبو محمد الغماري
الأديسي (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب. (١٤٢٣هـ) البيان والتبيين. (د.ط.). بيروت: دار ومكتبة
الهلal.

جاسم، عبد الرافع. (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م). المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية. (د.ط.). القاهرة: المركز العربي للنشر والتوزيع.

الجبوري، كامل سلمان جاسم. (٢٠٠٣م). معجم الشعراء من العصر الجاهلي إلى ٢٠٠٢م. (ط١). بيروت: دار الكتب العلمية.

الجزائري، أبي بكر جابر. (٢٠٠٨م). أيسر التفاسير. (د.ط.). بيروت: دار الكتب العلمية.

الجزائري، الطاهر بن محمد. (٢٠١٩م). الميسر المفيد في فن التلاوة والتجويد من قراءة نافع المدني. (ط١). بيروت: دار الكتب العلمية.

جليند، محمد السيد. (١٩٨٦م). دقائق التفسير الجامع للإمام ابن تيمية. (ط١). مكة المكرمة: دار القبلة للثقافة الإسلامية.

الجنابي، سيروان عبد الزهرة. (٢٠١٢م)، الاطلاق والتقييد في النص القرآني قراءة في المفهوم والدلالة. (د.ط.). الأردن: دار صفاء للنشر والتوزيع.

الجورجاني، علي بن محمد بن علي. (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م). التعريفات. (ط١). تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، بيروت: دار الكتب العلمية.

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد. (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م). كتاب الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. (ط٤). أحمد عبد الغفور عطار (تحقيق). بيروت: دار العلم للملايين.

الحارثي، سعود الحارثي. (٢٠٢٠م). كتابه إضاءات على إسهامات العمانيين الاجتماعية والعلمية والفكرية. (ط١). مسقط: مؤسسة اللبان للنشر.

الحارثي، عبد الوهاب رشيد صالح (١٩٨٩م). دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم. (د.ط.). عمان: دائرة المكتبات والوثائق الوطنية.

الحارثي، محمد بن عبد الله بن حمد. (٢٠٠٧م). موسوعة عمان الوثائق السرية. (ط١). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

حاووط، سمر محمد. (٢٠٠٨م). أول الغيث في تفسير سورة الفاتحة والجزء الأول من سورة البقرة. (ط١). أحمد سليمان الرقب (تحقيق). الأردن: دار المأمون للنشر.

الحريري، سعد بن مقبل بن عيسى. (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م). ظاهرة إهدار السياق في الخطاب الحدائي. (ط١). جدة: مركز التأصيل للدراسات والبحوث.

حسان، تمام. (١٩٩٣م). البيان في روائع القرآن. (ط١). بيروت: عالم الكتب.

حسن، ماجدة صلاح. (٢٠٠٧م). السياق القرآني والدلالة المعجمية. مجلة الجامعة، العدد التاسع.

حسين، عقيل. (٢٠١٧م) إبراهيم عليه السلام من وحي القرآن والسنة. (د.ط.). القاهرة: مكتبة الخانجي

الحضرمي، محمد بن سليمان. (٢٠٢٠م). المشرب العذب قراءات في الشعر العماني. (ط١). مسقط: الجمعية العمانية للكتاب والأدباء.

حمد، غانم قادوري. (١٩٨٦م). الدراسات الصوتية عند علماء التجويد. (ط١). العراق: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية.

حوى، سعيد. (١٤٢٤هـ) الأساس في التفسير. (ط٦). القاهرة: دار السلام.

الحيان، الحسين بن الحسن. (٢٠٠٧م). السياق وفهم النص الشرعي. الرباط: الرابطة المحمدية لعلماء المغرب.

حيدر، فريد عوض. (٢٠١١م). فصول في علم الدلالة. (ط٣). القاهرة: مكتبة الآداب.

الخازن؛ والبغوي. (١٩٩٥م). تفسير الخازن والبغوي. (ط١). عبد السلام شاهين (تحقيق) بيروت: دار الكتب العلمية.

الخروصي، الشيخ الرئيس جاعد بن خميس. (١٤٣٩هـ/٢٠١٧م). ودوره التربوي والاجتماعي. (ط١). مسقط: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية.

الخروصي، خالد بن عبد الله. (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م). المراسلات الفقهية بين الشيخين خميس بن أبي نهبان الخروصي وسعيد بن خلفان الخليلي. (ط١). مسقط: ذاكرة عمان.

الخصبي، محمد بن راشد. (٢٠٢٠م). شقائق النعمان. (ط٣). مسقط: وزارة التراث والثقافة.

الخضر، زكريا علي. (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م)، أسلوب التزقي من الأدنى إلى الأعلى في القرآن الكريم وأثره في المعنى، جامعة آل البيت: المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج١٢، ٢٤.

الخضر، محمد ياس. (٢٠١٤م). دقائق الفروق اللغوية في التعبير القرآني. (د.ط.). بيروت: دار الكتب العلمية.

خلف، علي بن مصطفى. (٢٠١٢م). صحيح أسباب النزول. (ط١). الرياض: مكتبة وفنون.

الخليلي، أحمد بن حمد. (١٤٢٧هـ/١٩٩٣م). الخليلي فقيها ومحققا. (ط٢). مسقط: المنتدى الأدبي، حصاد الندوة التي أحيها المنتدى الأدبي للمرحوم سعيد بن خلفان الخليلي.

الخليلي، أحمد بن حمد. (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م). جواهر التفسير. (ط٢). مسقط: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية.

الخليلي، أحمد بن حمد. (٢٠٠٦م). قراءات في فكر الخليلي. (ط٢). مسقط: المنتدى الأدبي: حصاد ندوة التي أحيها المنتدى الأدبي تكريما للمحقق سعيد بن خلفان الخليلي.

الخليلي، أفلح بن أحمد. (٢٠١٦م). السياسة الشرعية عند الشيخين الخليلي والسالمي. (ط١). مسقط: ذاكرة عمان.

الخليلي، سعيد بن خلفان الخليلي. (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م). إغاثة الملهوف بالسيف المذكر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. (ط١). صالح بن سليم الرنجي (تحقيق). مسقط: ذاكرة عمان.

الخليلي، سعيد بن خلفان الخليلي. (٢٠١٦م). أسنى الذخائر في فك أو فتح الدوائر في كشف الستائر. (ط١). فهد بن علي السعدي (تحقيق). مسقط: ذاكرة عمان.

الخليلي، سعيد بن خلفان بن أحمد. (٢٠١١م). أجوبة المحقق الخليلي. (ط١). خالد العبدلي وآخرون (تحقيق). مسقط: مكتبة الجيل الواعد.

الخليلي، سعيد بن خلفان. (١٤٣١هـ/٢٠١٠م). تمهيد قواعد الإيمان. (ط١). بيروت: دار الهلال العالمية.

الخليلي، سعيد بن خلفان. (١٤٣١هـ/٢٠١٠م). تمهيد قواعد الإيمان. (ط١). حارث بن شامس البطاشي (تحقيق)، مسقط: مكتبة الشيخ: محمد بن شامس البطاشي.

الخليلي، سعيد بن خلفان. (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م). سمط الجواهر الرفيع. (ط١). محمد بن يحيى الراشدي (تحقيق)، مسقط: ذاكرة عمان.

الخليلي، سعيد بن خلفان. (٢٠٠٣م). ديوان الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي. (ط١). عادل بن راشد المطاعني (تحقيق)، عمان: مؤسسة الوراق.

الخليلي، سعيد بن خلفان. (٢٠٠٣م). لطايف الحكم في صدقات النعم. (ط١). سلطان خميس الناعبي (تحقيق)، مسقط: مكتبة الجيل الواعد.

الخليلي، سعيد بن خلفان. (٢٠١٥م). التيسير في شيء من الصرف اليسير (ط١). محمد بن خاتم الذهلي (تحقيق). مسقط: مركز ذاكرة عمان.

الخليلي، سعيد بن خلفان. (٢٠١٨م). كرسى أصول الدين. (ط٢). خليفة بن سعيد البوسعيدى (تحقيق)، مسقط: مؤسسة بيت الغشام.

الخليلي، سعيد بن خلفان. (٢٠٢٠م). النواميس الرحمانية. (ط١). انتصار بنت محفوظ المسلمية (تحقيق). مسقط: مكتبة مسقط.

الخليلي، سعيد بن خلفان. (٢٠١٥). مظهر الخافي بنظم الكافي في علمي العروض والقوافي. مسقط: وزارة الثقافة والرياضة والشباب، مخطوط رقم: ٣.

الخليلي، سعيد بن خلفان. (١٢٩١هـ). مخطوط مسائل العلامة سعيد بن خلفان الخليلي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية: المكتبة الإلكترونية، النسخ: بحيت بن سعيد الحراصي، مخطوط رقم AK:149. تاريخ النسخ: ١٠ جمادى الأولى.

الخليلي، سعيد بن خلفان. (١٣٢٧هـ) مخطوط تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام والأديان، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، المكتبة الإلكترونية، النسخ: سيف بن ناجم بن علي الجابري، مخطوط رقم: AS153. تاريخ النسخ: ١٢ رجب.

الخليلي، سعيد بن خلفان، (١٩٨٦م). مقاليد التصريف. (ط١). مسقط: وزارة التراث القومي والثقافة.

الخولي، بيسوني محمد. (٢٠٢٠م). إحكام الإله العليم للقرآن العظيم. (ط١). مصر: الناشر خاص.

الخويري، عثمان حسن. (٢٠١٤م). درة الناصحين في الوعظ والإرشاد. (ط١). عمر أحمد الراوي (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان أبو عمرو. (١٤٠٧هـ/١٩٨٨م). التحديد في الإتيان والتجويد. (ط١). بغداد: دار الأنباء.

الداوودي، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد. (٢٠٠٠م). **طبقات المفسرين**. (ط١). عبد السلام عبد المعين (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

دراج، رائد عبد. (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م). **أسلوب الإحالة في القرآن الكريم**، بغداد: **مجلة العلوم الإسلامية**.

درويش، أحمد درويش. (٢٠١١م). **تأملات في جماليات النص القرآني**. (د.ط.). مصر: دار نهضة مصر.

الدليمي، عدنان مهدي. (٢٠١٣م) **الإعجاز البلاغي في القصة القرآنية**. (د.ط.). عمان: دار غيداء للنشر.

الدمشقي الشافعي، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي. (١٤١٩هـ/١٩٩٩م). **مجاز القرآن**. (د.ط.). مصطفى محمد حسين الذهبي (تحقيق). لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي.

الدوري، قحطان عبد الرحمن. (٢٠١٧م). **مناهج الفقهاء في استنباط الأحكام وأسباب اختلافهم**. (ط٢). عمان: كتاب ناشرون.

ذاكر، محمد؛ وإسماعيل عبد الله. (٢٠٢١م). **أثر السياق القرآني في نقد الروايات الإسرائيلية**. سلطنة بروني دار السلام: جامعة السلطان شريف علي الإسلامية، المجلة العالمية للدراسات العمرانية، المجلد ٤، العدد ٢، ٢٠٢١م.

الرازي، أحمد بن فارس. (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م). **معجم مقاييس اللغة**. (ط١). بيروت: دار الفكر.

الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنفي. (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م). **مختار الصحاح**. (ط٥). يوسف الشيخ محمد. (تحقيق). بيروت: المكتبة العصرية.

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر. (١٨٧٢). مفاتيح الغيب. (د.ط.). مصر: المطبعة المصرية.

الراشدي، مبارك بن عبد الله. (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م). الشيخ العلامة سعيد بن خلفان الخليلي وفكره. (ط١). مسقط: مكتبة الضامري للنشر والتوزيع.

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد. (١٤١٢هـ). المفردات في غريب القرآن. (ط١). صفوان عدنان الداودي (تحقيق). دار القلم: دمشق.

رافع. محمد عبد الكريم. (٢٠٢٠م). التوجيهات النحوية واللغوية في قرائتي عاصم وحزمة. (ط١). بيروت: دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع.

ربيعة، محمد. (٢٠٠٧م). علم السياق القرآني قواعد وضوابط في السياق، (ملتقى أهل التفسير، ٢٤/٢).

الربيعة، أحمد حاجم الربيعي. (٢٠١٧م). أساليب الخطاب في القرآن الكريم. (د.ط.). الأردن: دار غيداء للنشر والتوزيع.

رحال، علاء الدين حسين صديق. (٢٠١٧م). دور السياق في فهم النصوص الشرعية واستنباط الأحكام. (د.ط.). جامعة القصيم: مجلة العلوم الشرعية، مجلد ١٠، العدد ٤.

الرزاق، عبد المعز فضل عبد. (٢٠٢٣م). تاريخ الفكر الإسلامي. (ط١). الإسكندرية: دار التعليم الجامعي.

رضا، محمد رشيد. (١٤٠٦هـ). الوحي المحمدي. (ط٣). بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر.

رضا، محمد رشيد. (٢٠١١م). تفسير القرآن الحكيم. (د.ط.). إبراهيم شمس الدين (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

روشن، محمد باقر سعيدي. (٢٠١٦م). **منطق الخطاب القرآني**. (ط١). بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.

الريسوني، قطب. (١٤٣١هـ/٢٠١٠م). **النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر**. (ط١). المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.

الزرقاني، محمد عبد العظيم. (٢٠١٣م). **مناهل العرفان في علوم القرآن**. (ط١). بيروت: دار الكتب العلمية.

الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر. (١٣٧٦هـ/١٩٥٧م). **البرهان في علوم القرآن**. (د.ط.). محمد أبو الفضل إبراهيم. (تحقيق). بيروت: دار المعرفة.

الزركشي، أبو عبد الله محمد بن بهادر. (١٤١٣هـ/١٩٩٢م). **البحر المحيط في أصول الفقه**. (ط٢). عبد الستار أبو غدة (تحقيق). الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

الزركشي، أبو عبد الله محمد بن بهادر. (٢٠١٣م). **البحر المحيط في أصول الفقه**. (د.ط.). محمد بن محمد تامر (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

الزركشي، أبو عبد الله محمد بن بهادر. (٢٠١٨م). **البرهان في علوم القرآن**. (د.ط.). مصطفى عبد القادر عطا (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

الزركشي، أبي عبد الله محمد بن بهادر. (٢٠١٨م). **البرهان في علوم القرآن**. (د.ط.). مصطفى عبد القادر عطا (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

الزركشي، محمد بن عبد الله. (١٣٧٦هـ/١٩٥٧م). **البرهان في علوم القرآن**. (ط١). محمد أبو الفضل إبراهيم. (تحقيق). بيروت: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد. (١٤٠٧هـ). **الكشاف عن حقائق غوامض التفسير**. (ط٣). بيروت: دار الكتاب العربي.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد. (١٤٠٧هـ). الكشف عن حقائق غوامض التفسير. (ط٣). بيروت: دار الكتاب العربي.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد. (١٤١٩هـ/١٩٩٨م). أساس البلاغة. (ط١). محمد باسل عيون السود (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

الزمزمي، محمد الناصر لدين الله. (٢٠١٥م). فبسات من علوم القرآن الكريم وشرح المختار من آي الذكر الحكيم. (ط١). عادل أبو العلى. (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

الزركي، نجم الدين قادر كريم. (٢٠٠٦م). الاجتهاد في مورد النص. (ط١). بيروت: دار الكتب العلمية.

الزركي، نجم الدين قادر كريم. (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م). نظرية السياق دراسة أصولية. (ط١) بيروت: دار الكتب العلمية.

السالمي، عبد الله بن حميد. (١٩٨٨م). تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان. (ط١). مسقط: وزارة التراث والثقافة.

السالمي، عبد الله بن حميد. (١٩٩٩م). تلقين الصبيان ما يلزم الإنسان. (ط١). مسقط: مكتبة الإمام نور الدين السالمي.

السالمي، نور الدين عبد الله بن حميد السالمي. (١٩٦١م). تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان. (ط١). بيروت: دار الكتب العربية.

السالمي، نور الدين عبد الله بن حميد. (٢٠١٢م). طلعة الشمس. (د.ط.). مصر: مكتبة الإسكندرية.

السالمي، نور الدين عبد الله بن حميد. (د.ت.). نخضة الأعيان بسيرة أهل عمان. (د.ط.). مسقط: مكتبة الاستقامة.

السري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد. (٢٠٠٧م). معاني القرآن وإعرابه المسمى المختصر في إعراب القرآن ومعانيه. (ط١). أحمد فتحي عبد الرحمن (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

سعد، محمود توفيق. (٢٠٠٩م). دلالة الألفاظ على المعاني عند الأصوليين دراسة منهجية تحليلية. (ط١). القاهرة: مكتبة وهبة.

السعدي، جميل بن خميس. (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م). قاموس الشريعة الحاوي طرقها الوسيعة. (د.ط). مسقط: وزارة التراث القومي والثقافة.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. (ط١). بيروت: مؤسسة الرسالة.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. (١٩٨٨م). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. (ط١). بيروت: دار الكتب العلمية.

السعدي، فهد بن علي بن هاشل. (٢٠١٠م). لقاءات سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي. (ط١). مسقط: مكتبة الأنفال.

سعدي، منير سعدي. (٢٠٢٢م). قراءة في السياق وخصوصية الدلالة في القرآن الكريم. الجزائر: مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، المجلد ١، العدد ١، السداسي الأول.

السعدي، ناصر بن سيف السعدي. (٢٠٢٢م). العلماء والسلطة في عمان. (ط١). لبنان: مركز الأبحاث ودراسة السياسات

السلماني، سعيد بن راشد. (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م). الشيخ المحقق سعيد بن خلفان الخليلي والاجتهاد في الفتوى. (ط١). مسقط: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بحوث ندوة تطور العلوم الفقهية في عمان.

السليمانى، سليمان بن محمد. (٢٠٢٠م). العلامة نور الدين السالمى أمة في رجل. (ط١). مسقط: مكتبة بصيرة.

السويدي، جمال سند. (٢٠١٥م). السراب. (ط١). الإمارات: زاوية المعرفة.

السيابى، أحمد بن سعود. (٢٠٢١م). المحقق سعيد بن خلفان الخليلي وأثره العلمى والسياسى. (ط١). خميس بن راشد العدوي (تحقيق). مسقط: مؤسسة اللبان للنشر.

السيابى، عبد الله بن راشد. (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م). التقنيين والجديد فى الفقه الإسلامى المعاصر. (ط٢). الحاج سليمان بن إبراهيم الوارجلاني وآخرون (تحقيق). سلطنة عمان: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية.

سيد قطب، إبراهيم حسين. (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) فى ظلال القرآن. (ط٣٤). القاهرة: دار الشروق.

سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي. (١٤١٢هـ). فى ظلال القرآن. (ط١٧)، بيروت: دار الشروق.

سيد قطب، إبراهيم حسين. (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م). التصوير الفنى فى القرآن. (ط١٧) القاهرة: دار الشروق.

السيفى، محمد بن خميس. (د.ت). اللامية فى أئمة اليعاربة. (د.ط). محمد بن عبد الله السيفى (تحقيق). نزوى: صدى الإبداع.

السيوطى، جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر. (٢٠١٦م). جمع الجوامع الجامع الكبير فى الحديث والجامع الصغير وزوائده. (ط١). خالد عبد الفتاح شبل (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

السيوطى، جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر. (٢٠١٧م). الإتقان فى علوم القرآن. (ط١). محمد سالم هشام (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين. (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م). **الإتقان في علوم القرآن**. (ط١). شعيب الأرنؤوط ومصطفى شيخ مصطفى (تحقيق). دمشق: مؤسسة الرسالة.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين. (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م). **الاتقان في علوم القرآن**. (د.ط). محمد أبو الفضل إبراهيم (تحقيق) مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (٢٠١٧م). **الإتقان في علوم القرآن**. (د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (د.ت). **لباب النقول في أسباب النزول**. (د.ط). أحمد عبد الشافي (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى. (١٤١٧هـ/١٩٩٧م). **الموافقات**. (ط١). أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان (تحقيق). السعودية: دار عفان للنشر والتوزيع.

الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى. (٢٠٠٨م). **الموافقات في أصول الشريعة**. (ط١). حمد وعبدالله دراز وعبد السلام محمد (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

الشافعي، محمد إدريس. (١٩٩٠م). **الأمم**. رفعت فوزي عبد المطلب (تحقيق). دبلن: مكتبة تشستريتي.

الشامي، عزة السعيد. (٢٠٢٠م). **المفيد في علوم القرآن وعلم التجويد**. (ط١). بيروت: دار صادر.

الشايع، محمد بن عبد الرحمن. (١٤١٨هـ/١٩٩٧م). **المكي والمدني في القرآن**. (ط١). الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.

الشايع، محمد بن عبد الرحمن. (١٤١٨هـ/١٩٩٧م). **المكي والمدني في القرآن الكريم**. (ط١). الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، **مجلة الفيصل**، العدد ٢٥٣.

الشعراوي، محمد متولي. (١٩٨٢م). أسئلة حرجة وأجوبة صريحة. (ط١). بيروت: دار العودة.

شقانصي، أحمد بن أحمد. (٢٠٠٨م). عمدة القارئ والمقرئ. (ط١). عبد الرزاق بسرور (تحقيق). بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر.

شلتاغ، عبود. (١٩٩٣م). الإعجاز القرآني أسلوباً ومضموناً. (د.ط.). بغداد: دار المرتضى.

الشنقيطي، عبد الله بن إبراهيم. (٢٠١١م). نشر البنود على مراقبي السعود. (ط١). ناجي إبراهيم السويد (تحقيق) بيروت: دار الكتب العلمية.

الشنقيطي، لمهابة محفوظ محمد. (٢٠٢١م). مفهوم التدبر السياقي وتطبيقاته دراسة في القرآن الكريم. القاهرة: مجلة كلية أصول الدين، المجلد ٣٤، العدد ٣٤.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار. (١٤١٥هـ/١٩٩٥م). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. (د.ط.). بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله. (١٤١٤هـ). فتح القدير. (ط١). دمشق: دار ابن كثير.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. (٢٠٠٧م). فتح القدير. (ط٤). بيروت: دار المعرفة.

الشوكاني، محمد بن علي. (٢٠٠٧م). فتح القدير. (د.ط.). أحمد عبد السلام (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

الشوم، محمد قاسم. (٢٠١٤م). علوم القرآن ومناهج المفسرين. (د.ط.). بيروت: دار الكتب العلمية.

الشيبياني، محمد صالح ناصر وسلطان بن مبارك. (٢٠٠٦م). معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر. (ط١). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

الشيخ، عبد الوهاب خلاف. (٢٠١٦م). علم أصول الفقه. تحقيق: محمد بشير حلاوي، (د.ط.). بيروت: دار الكتب العلمية.

الصالح، محمد أديب. (٢٠٠٣م). مصادر التشريع الإسلامي ومناهج الاستنباط. (د.ط.). الرياض: مكتبة العبيكان.

صالح، عبد الرزاق. (٢٠١٢م). أهمية إعمال السياق في فهم النص القرآني. العراق: مجلة آفاق أدبية، العدد ٥.

صلاحي، علي محمد. (١٩٧٧م). الاباضية مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج. (د.ط.). مسقط: مركز الكتاب الأكاديمي.

الصنعاني، الحسن بن أحمد الصنعاني. (٢٠٢٢م). فتح الغفار الجامع لأحكام سنة نبينا المختار ﷺ. (ط ١). حامد المحلاوي (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

الصوافي، سعيد بن راشد. (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م). علوم القرآن عند الإمام ابن بركة من خلال كتاب الجامع. (ط ١). بركاء: مكتبة خزائن الآثار.

الضياء المقدسي، أبي عبد الله محمد. (٢٠٠٩م). صحاح الأحاديث فيما اتفق عليه أهل الأحاديث. حمزة أحمد الزين (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية، رقم الحديث ٣١٠٣٧.

الطائي، رافع عبد الغني يحيى. (٢٠٢٠م). أثر الظواهر الصوتية في تفسير القرآن الكريم. (ط ١). عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع.

الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير. (د.ت.). جامع البيان عن تأويل آي القرآن. (د.ط.). محمود محمد شاكر (تحقيق). مكة المكرمة: دار التربية والتراث.

الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير. (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م). تفسير الطبري جامع البيان في تأويل آي القرآن. (ط ١). عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون (تحقيق). القاهرة: دار هجر.

الطبري، محمد بن جرير. (د.ت). جامع البيان في تأويل آي القرآن. (د.ط). مكة المكرمة: دار التربية والتراث.

طحان. عبد الله عبد الرحيم. (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م). دلالة السياق ومدى اعتبارها في استدلالات الكليني من القرآن الكريم. رسالة ماجستير غير منشورة، قطر: جامعة قطر، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.

طنطاوي، محمد السيد. (١٩٩٣م). التفسير الوسيط للقرآن الكريم. (د.ط). القاهرة: دار المعارف.

الطواله، عائشة بنت عبد الله. (٢٠٢٠م). أثر السياق القرآني في القراءات القرآنية. طنطا: مجلة الشريعة والقانون. العدد الخامس والثلاثون. المجلد ٢

الطيّار، مساعد بن سليمان بن ناصر. (١٤٣٢هـ). التفسير اللغوي للقرآن الكريم. (ط ١). المملكة العربية السعودية: دار الجوزي.

الطيّار، مساعد بن سليمان. (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م). المحرر في علوم القرآن. (ط ٣). الرياض: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي.

الطيّار، مساعد بن سليمان. (٢٠٢٠م). مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير. (ط ١). الرياض: مركز التفسير للدراسات القرآنية.

عبادة، محمد أنيس. (١٩٦٥م). المنتقى في تاريخ التشريع الإسلامي وحكمته. (ط ١). القاهرة: مطبعة دار التأليف.

عبد الغفار، أحمد. (٢٠٠٠م). التفسير ومناهجه والنص وتفسيره. (ط١). بيروت: دار الكتب العلمية.

عبد الكريم، حسين. (٢٠٢٣م). نماذجية التعبير القرآني. المجلة العلمية الجزائرية، المجلد ١٤، العدد ١، ٢٠٢٣م.

عبد الوهاب، محمود حسني. (٢٠١٧م). الدلالة القرآنية المفهوم والخصوصية. مصر: مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المنيا، العدد ٨٤.

العبدلي، خالد بن محمد. (٢٠٢١م). مصير الإنسان في اليوم الآخر بين القرآن الكريم والعهدين القديم والجديد. (ط١). سلطنة عمان: مكتبة خزائن الآثار.

العبري، سليمان بن سعيد. (٢٠١٠م). سعيد بن خلفان الخليلي وآراؤه في علوم القرآن الكريم. رسالة ماجستير غير منشورة، السودان: جامعة أم درمان

العبرية، جميلة. (٢٠٢٢م). مقال مع الفائزين بجائزة السلطان قابوس في تحقيق التراث العماني. مجلة أثير. سلطنة عمان: مسقط.

عبيد الضير، تقي الدين عبد الملك بن علي. (٢٠٠٨م). نزهة الناظرين في الأخبار والآثار المروية عن الأنبياء والصالحين. (ط١). أحمد فريد المزيدي (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

العبيدي، خالد فائق. (٢٠٠٧م). القرآن منهل العلوم. (ط١). بيروت: دار الكتب العلمية. عطوات، نسرین عبد الله. (٢٠١٨م). أثر اللهجات العربية في توجيه المعنى النحوي. (ط١). بيروت: دار الكتب

عطية، شرين وهيب. (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م). وظيفة السياق القرآني في تفسير التلخيص في تفسير القرآن العزيز للإمام الكواشي، رسالة ماجستير غير مطبوعة. (د.ط.). العراق: جامعة ديالى، كلية العلوم الإسلامية.

عطيه، أيوب جرجيس. (٢٠١٢م). الخطاب القرآني بين إشكالية الفهم ودلالة النص. (د.ط.). بيروت: دار الكتب العلمية.

عظيم، فضيلة. (٢٠١٩م). التناسب السياقي في القرآن الكريم. (ط١). عمان: مركز الكتاب الأكاديمي.

عكيوي، عبد الكريم. (٢٠٠٧م). منهج اعتبار السياق في فقه النص الشرعي وضوابطه. الرباط: ندوة أهمية اعتبار السياق في المجالات التشريعية وصلته بسلامة الاستدلال، الرابطة المحمدية لعلماء المغرب.

عكيوي، عبد الكريم. (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م). نظرية الاعتبار في العلوم الإسلامية. (ط١). فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

علاوي، الخامسة. (٢٠١٣م) السياق وإنتاج المعنى قراءة تأصيلية نقدية في نظرية السياق القرآني. الجزائر: جامعة قسنطينة ١، المجلة العلمية الجزائرية، المجلد ١٧، العدد ٣٣.

العلاوي، رقية طه. (٢٠١٧م). جابر السياق الزماني والمكاني وأثره في فهم النصوص القرآنية. الجزائر: مجلة الدراسات الإسلامية. العدد ٩.

العلاوي، طه جابر. (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م). تفسير القرآن بالقرآن. (ط٢). الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

العموش، خلود. (٢٠٠٥م). الخطاب القرآني. (ط١). الأردن: عالم الكتب الحديث.

اليساوي، مشعان سعود. (٢٠١٣م). التفسير الإشاري ماهيته وضوابطه. (ط١). بيروت: دار الكتب العلمية.

غازي عناية. (١٩٩٦م). هدى الفرقان في علوم القرآن. (د.ط.). القاهرة: عالم الكتب للنشر والتوزيع.

الغافري، عبد الله. (د.ت). سعيد بن خلفان الخليلي وآراؤه الكلامية. سلطنة عمان: مسقط.

الغزالي. أبي حامد محمد. (٢٠١٦م). المستصفى من علم الأصول ومعه فواتح الرحموت. (د.ط). إبراهيم محمد رمضان (تحقيق). بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر.

الغزالي، أبي حامد محمد. (٢٠١٨م). إحياء علوم الدين. (د.ط). بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر.

الغزالي، محمد بن محمد. (د.ت). المستصفى في علم الأصول. (د.ط). حمزة بن زهير حافظ. (تحقيق). المدينة المنورة: شركة المدينة المنورة للطباعة.

الفقيه، نوح مصطفى. (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م). إضاءات في التفريق بين الأحرف السبعة والسبع القراءات. (ط٢). الأردن: دار المأمون.

الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد. (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م). القاموس المحيط. (ط٨). محمد نعيم العرقسوسي (تحقيق). بيروت: مؤسسة الرسالة.

قاسم، محي الدين محمد. (١٩٧٧م). السياسة الشرعية ومفهوم السياسة الحديث. (ط١). مسقط: مركز الكتاب.

القاسمي، محمد جمال الدين. (٢٠٠٣م). تفسير القاسمي محاسن التأويل. (ط١). محمد باسل عيون السود (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

القاضي، عبد الرحيم بن أحمد. (١٩٨٤م). دقائق الأخبار في أهل الجنة والنار. (ط١). بيروت: دار الكتب العلمية

قاضي، محمد مختار. (١٩٤٩). الرأي في الفقه الإسلامي. (د.ط). القاهرة: جامعة فؤاد الأول.

قائمي، مرتضى؛ وآخرون. (٢٠١٦م). أسلوبية الانزياح في سورة الحديد المباركة. إيران: جامعة آزاد الإسلامية، مجلة إضاءات نقدية بالأدبين العربي والفارسي، السنة ٦، العدد ٢٤، ٢٠١٦م.

القرشي، عبد الله بن حماد. (١٤٣٠هـ). القراءات الشاذة وأثرها في التفسير مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد السابع.

القرطبي. أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري. (١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤م). الجامع لأحكام القرآن (ط ٢). أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش (تحقيق). القاهرة: دار الكتب المصرية.

القطان، مناع بن خليل. (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م). مباحث في علوم القرآن. (ط ٣). الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

القطان، مناع. (٢٠٠٠م). مباحث في علوم القرآن. (ط ٧). القاهرة: مكتبة وهبة.

القطان، مناع. (٢٠٠٩م). تاريخ التشريع الإسلامي: التشريع والفقه الإسلامي: تاريخاً ومنهجاً. (ط ٤). القاهرة: مكتبة وهبة.

القنزري، عبد الواحد محمد. (٢٠١٢م). صفوة في أصول الفقه. (د. ط). محمد أحمد الغرسي. (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

القوي، سليمان بن عبد الله. (٢٠١٢م). شرح مختصر الروضة في أصول الفقه. (د. ط). محمد السيد عثمان (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

الكاسبي، يوسف. (٢٠١٩م). الحركة اللغوية والأدبية في عمان خلال الدولة البوسعيدية. سلطنة عمان: جامعة الشرقية، المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة. لنشر الأبحاث العلمية والتربوية، العدد التاسع.

الكبيسي، بشير فهمي. (٢٠٠٧م). مفاهيم الألفاظ ودلالاتها عند الأصوليين. (د. ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

الكدمي، أبي سعيد محمد بن سعيد. (١٤٠٥هـ/١٩٨٤م). **المعتبر**. (د.ط). مسقط: وزارة التراث القومي والثقافة.

الكردى، راجح عبد الحميد. (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م). **نفحات إيمانية: دلائل عظمة الخالق سبحانه**. (ط١). الأردن: دار المأمون للنشر.

الكسواني، ناصر صبرة. (٢٠٢١م). **إشكاليات القراءة المعاصرة في القرآن الكريم**. (د.ط). مصر: عصير الكتب.

الكندي، محمد بن إبراهيم الكندي. (١٩٨٨م). **بيان الشرع**. (ط١). مسقط: وزارة التراث القومي والثقافة.

كنفودي، محمد. (٢٠١٩م). **بناء دلالة المفهوم في القرآن نحو منهج توحيدي لقراءة مفاهيم نصوص القرآن**. (د.ط). عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع.

لجنة البحث العلمي جمعية التراث. (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م). **معجم مصطلحات الإباضية**. (ط٢). الجزائر: دار الوعي للنشر.

ماء العينين، محمد. (٢٠١٠م). **علوم القرآن الكريم**. (ط١). بيروت: دار الكتب العلمية.

الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد. (٢٠١٧م). **الخواوي الكبير في فقه الإمام الشافعي** (ط١). تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد الموجود (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

المنثى، عبد الفتاح محمود. (٢٠٠٥م). **السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي**. (د.ط). الأردن: جامعة اليرموك.

المنثى، عبد الفتاح محمود. (٢٠٠٨م). **نظرية السياق القرآني**. (ط١). الأردن: دار وائل للنشر.

مجموعة من الباحثين. (١٤٣٢هـ/٢٠١١م). معجم مصطلحات الإباضية. (ط٢). مسقط: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية.

مجموعة من الباحثين. (٢٠١٣م). الموسوعة العمانية. (ط١). مسقط: وزارة التراث والثقافة.

الحزري، منصور ناصر. (٢٠١٤م). الدولة والمجتمع في عمان منذ النباهة حتى العصر الحديث، (ط١). بيروت: منتدى المعارف.

الحلي، جلال الدين محمد بن أحمد؛ وجمال الدين عبد الرحمن السيوطي. (٢٠١٧م). تفسير الجلالين. (ط١). بيروت: دار الكتب العلمية.

محمد، حنان منصور أبو زيد. (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م). الآراء الأدبية والنحوية لشيخ الإسلام ابن جماعة في ضوء كتابه كشف المعاني في المتشابه من المثاني. (ط١). مصر: ماستر للنشر والتوزيع.

محمد، سوسوه عبد المجيد. (٢٠٠٣م). دراسات في الاجتهاد وفهم النص. (د.ط.). بيروت: دار البشائر الإسلامية.

مشالي، هشام محمد فتحي السعيد. (١٤٣٢هـ/٢٠١١م). الرد على شبهات المعاصرين حول مبحث الدلالات من علم أصول الفقه. (د.ط.). القاهرة: دار البشير للثقافة والعلوم.

المشني، مصطفى إبراهيم. (١٩٩٠م). ابن عربي المالكي الإشبيلي وتفسيره أحكام القرآن. (ط١). الأردن: دار عمار.

المشهداني، فواز إسماعيل محمد. (٢٠١٤م). حجية القراءات وأثرها في الفقه. (ط١). بيروت: دار الكتب العلمية.

مصطفى، محمد إبراهيم محمد. (٢٠١٢م). حديث نزول القرآن على سبعة أحرف. (ط١). القاهرة: دار الكلمة للنشر والتوزيع.

المطيري، عبد الرحمن عبد الله. (٢٠٠٠م). السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير. مكة المكرمة: جامعة أم القرى، رسالة ماجستير.

معصر، عبد الله بن محمد. (٢٠٠٧م). تقريب معجم مصطلحات الفقه المالكي. (ط١). بيروت: دار الكتب العلمية.

المكي، محمد بن علي. (٢٠١٩م). وفور الفضل والمنة بشرح منظومة ابن الشحنة. (د.ط.). السيد محمد السيد سلام (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

ملكاوي، فتحي حسين. (٢٠١١م). منهجية التكامل المعرفي مقدمات في المنهجية الإسلامية. (د.ط.). واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

منصور، محمد خالد. (٢٠٠٧م). تخصيص العموم بالسياق عند الأصوليين وأثرها في الاستنباط الفقهي. جامعة آل البيت: مجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد ٣، العدد ٢، ٢٠٠٧م.

موسى إبراهيم الإبراهيم. (١٤١٦هـ/١٩٩٦م). بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم. (ط١). عمان: دار عمار.

الميداني، عبد الرحمن حبنكة. (٢٠٠٠م). معارج التفكير ودقائق التدبر. (د.ط.). دمشق: دار القلم.

ناصر، محمد صالح. (١٩٨٨م). قراءات في فكر البهلائي الرواحي. (ط١). سلطنة عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، المنتدى الأدبي: حصاد الندوة التي أقامها المنتدى احتفاء بذكرى المرحوم أبي مسلم الرواحي.

النجار، نادية رمضان. (٢٠١٥م). القرائن بين اللغويين والأصوليين. (د.ط.). بيروت: دار الكتب العلمية.

نخبة من اللغويين بجمع اللغة العربية. (١٩٧٢م). المعجم الوسيط. (ط٢). القاهرة: مجمع اللغة العربية.

النصراوي، عادل عباس. (١٤٣١هـ). ثراء الدلالة في المفردة القرآنية، مجلة ينابيع الحكمة، العدد ٣٥ و٣٦.

النعماني، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي. (١٤١٩هـ / ١٩٩٨م). الباب في علوم الكتاب. (ط١). عادل أحمد عبد الموجود (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

نور الدين، باب العياط. (٢٠١٥م). النص القرآني دراسة بنيوية. رسالة دكتوراة غير منشورة. جامعة وهران: كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري. (١٩٥٥م)، صحيح مسلم. (ط١) محمد فؤاد عبد الباقي (تحقيق)، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الهادي، حسن أحمد. (٢٠٠٩م). التشريع الإسلامي: دراسة مقارنة في المنهج والاجتهاد. (ط١). بيروت: دار الولااء.

الهاشمي، السيد محمود. (د.ت). بحوث في علم الأصول. (ط١). العراق: مكتب الإعلام الإسلامي.

الهروي، أبو عبيد القاسم بن سلام. (٢٠٠٥م). فضائل القرآن. (ط١). تحقيق: وهي سليمان غاوجي (تحقيق). بيروت: دار صادر.

الهماوندي، عبد الرحمن صباح سعيد. (٢٠١٨م). جمع الجوامع للسبكي في ميزان الأصوليين منهم والمحدثين. (د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

الهنائي، سعيد بن حميد بن خليفين. (٢٠١٨م). الإمام المحقق سعيد بن خلفان ومنهجه الدعوي. رسالة ماجستير غير مطبوعة. السودان: جامعة أم درمان.

الهوري، بلجىلالى الهورى. (٢٠١٨م). جهود علماء الوقف والابتداء حتى القرن الخامس الهجرى فى علم الدلالة. مجلة الشهاب، المجلد ٤، العدد ٣. الجزائر: جامعة الشهيد حمه لخضر الوادى.

الواحدى. أبى الحسن على بن أحمد. (٢٠١٦م). أسباب نزول القرآن. (ط١). كمال بسوىى زغلول (تحقىق). بىروت: دار الكتب العلمىة.

الواحدى، أبى الحسن على بن أحمد. (١٩٩٤م). الوسىط فى تفسىر القرآن المجىد. (ط١). عادل أحمد عبد الموجد وآخرون (تحقىق). بىروت: دار الكتب العلمىة.

الوكاع، عبد العزىز عىادة. (٢٠٢١م). الثراء اللغوى والتنوع الببانى فى السىاق القرآنى. (ط١). عمان: دار الخلىج للنشر والتوزىع.

الوهبى، فهد بن مبارك بن عبد الله. (٢٠١٥م). المسائل المشركة بىن علوم القرآن وأصول الفقه. (د.ط). المملكة العربىة السعودىة: مركز الدراسات الإسلامىة.

الىحىائى، شرفة بنت خلفان. (١٩٩٦م). الخلىلى رائد الشعر الصوفى. مجلة نزوى، العدد السابع.

ىعقوب، عبد الرحىم. (١٤٣١هـ). تىسىر الوصول إلى علم الأصول. (د.ط). الرىاض: مكتبة العبىكان، المجلد الثانى.

الىندوزى، رىحانة. (٢٠٠٧م). أهمىة اعتبار أسباب النزول فى الخطاب الشرعى من حىث الفهم والتطىبق، (د.ط). الرباط: الرابطة المحمدىة المغرب.

الىندوزى، رىحانة. (٢٠٠٧م). أهمىة اعتبار أسباب النزول فى الخطاب الشرعى من حىث الفهم والتطىبق، المغرب: الرابطة المحمدىة لعلماء المغرب، بحوث مؤتمر ندوة أهمىة اعتبار السىاق فى المجالات التشرىعىة وصلته بسلامة العمل بالأحكام.

حوار الباحثة مع الشيخ محمد بن عبدالله الخليفي، حفيد المحقق بتاريخ ١١/١٠/٢٠٢٣م (عن الآثار العلمية للمحقق سعيد بن خلفان الخليفي).

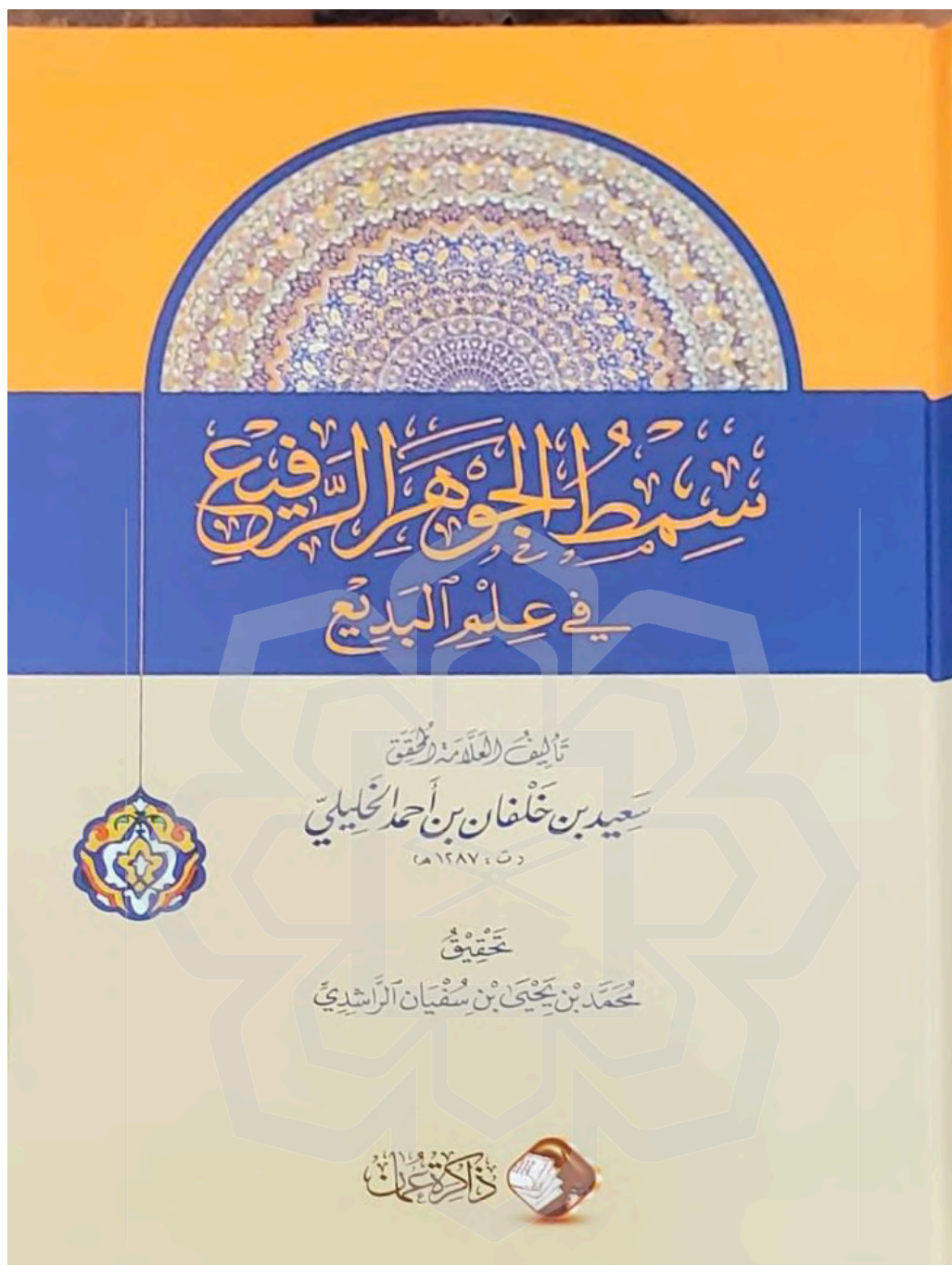
لقاء مع الأستاذ / محمود الصقري من أعضاء مركز ذاكرة عمان، يوم الاثنين ٢٠ / فبراير ٢٠٢٣م.



الملاحق

ملحق رقم (١) زيارة إلى مركز ذاكرة عمان، يوم الاثنين ٢٠ / فبراير / ٢٠٢٣ م.













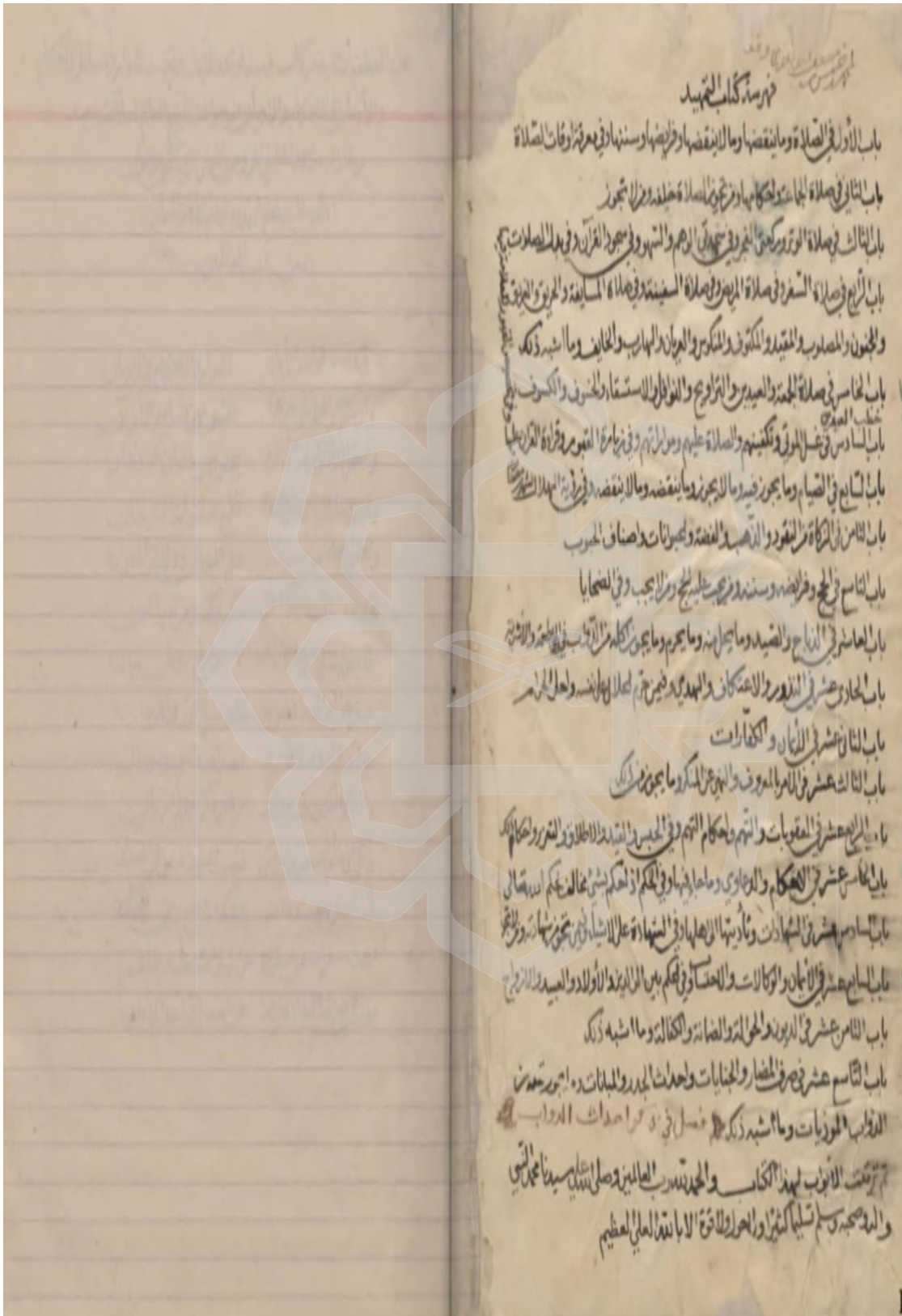
ماهية آثار المحقق الخليفي العلمية المتوارثة في العائلة الكريمة؟؟

وكما تعلمين الظروف التي أحاطت باستشهاد
جدنا المحقق الخليفي والإمام العدل عزان بن
قيس رحمة الله عليهم ورضوانه فقد استولت
الحكومة آنذاك على موروث المحقق الخليفي
من أملاك منقولة وغير منقولة بما فيها
مكتبته ومؤلفاته ولم يصل الى أيدينا في
حقيقة الأمر إلا النزر القليل مما كان في أيدي
الناس وللأسف لم يقيم أحد من أفراد الأسرة
بعد الإمام محمد بن عبد الله بن سعيد الخليفي
وهو حفيد المحقق بأي جهد حسب علمي في
جمع أو تحقيق مؤلفات المحقق الخليفي رحمة
الله عليهم أجمعين.

حوار الباحثة مع / الشيخ محمد بن عبد الله
الخليفي

يوم الثلاثاء 11/أكتوبر /2023

ملحق رقم (٢) كتاب تمهيد قواعد الإيمان



المسوحة ضوئياً بـ CamScanner

هذا الجواب عن هوي ليس له الجواب لكن دعاه اليه لجلاله ان يقدر بالخطا فان اولها المستحق
 من طلبها كانت فيه والاسكاب وتعلقت بتوهم جريته فاذ اسر بفتنه لا
 يلين قلبه شين ولا ينفذ الحزن ما كل من يلين ما كل من يلين وقد رقت هذه المدة
 كلها اقدم رجلا ولاخر اخرى لعله علم وركانه في هذا الحقل وعلم ان كل ان النبي صلى الله عليه
 وسلم جبلت القلوب على معادلات المعادلات جبلت كقسط وزنا ومعنى القلوب جميع
 قلبه هو الكمال الصنوبري الصنوبري الكاين بالجانب الايسر الصدور على حروف الاستعداد
 حقيقيا ونسبها في غير معادلات بضم الميم مصدر عاى اي خاصم المعادلات
 جمع معاداة بضم الميم فيها اي المكرهت يعني ان القلوب مطبوعة على التنوير عن المكر
 والسم لا انبا عليه والار بالقلب هاهنا العقول على سبيل الجواز لا سيما في العلة
 المحلولة لان العقل على سبيل الاول وان التخصص والصدقة وغيرهما تصدق
 في العقل ولا تكون المعادلات الاستقرائية او مستقرئين فثبتت المثلثات باشتراط خاص
 القلوب ثم حذفت وانفتحت لوانها المصنوعة جازما لا استعارة فلهذا حال حسبنا
 يلغ اليه في الاما قف عليه اثر ولا سمعته من بشر فان يكون هويا فمن الله له الحمد وان
 كان هويا ومنى برده وعليه السلام بحمد بل انهم في القدر هويا عاى على سبيل القلوب

(134)

قريب من الصلاة بالبالحة من ثم يمشي القادر ويصلي على ما عز عن جملته الصلاة
للماء ويصلي على ما بدأ بالبالحة من ثم يمشي القادر ويصلي على ما عز عن جملته الصلاة
الزمن تحت فت وفيه والبالحة من ثم يمشي القادر ويصلي على ما عز عن جملته الصلاة
التي يمشي **مسألة** والمفرد هو في الفجر فلما مضى الركعتين وقد انقضى
اصلاه على ان يمشي في صلاة الفجر او في الصلاة او في صلاة الفجر او في صلاة الفجر
فلما انقضى من غير صلاة ولا في غير الصلاة الذي مضى في غير الصلاة
الاية ولم يزد شيئا غير ذلك ثم ستم بعد ذلك صلاة الصلاة صلاة من صلاة
ان كان اما او ما من صلاة او صلاة ولا يمشي جميعا بل هو **الحال** اذا لم
يسبق على صلاة الفجر ولا على الصلاة الا ان كان ستم في ذلك فمختلف
صلاة الفجر هو من صلاة في صلاة ولا يمشي صلاة الصلاة ولا يمشي صلاة الصلاة
على هذه الصلاة الا ان يكون في ذلك الحالت على صلاة الصلاة ولا يمشي صلاة الصلاة
جواز الصلاة على صلاة الصلاة ولا علم **مسألة** ومنه وهو على صلاة الصلاة
هذه الصلاة على صلاة الصلاة ولا يمشي صلاة الصلاة ولا يمشي صلاة الصلاة
فلما مضى الصلاة او الفجر فلا يصح تصديق الحرام على الصلاة **الحال**
وهذا ايضا لا بأس به لزم الصلاة ولا علم **مسألة** ومنه وهو على
صلاة الصلاة ولا يمشي صلاة الصلاة ولا يمشي صلاة الصلاة ولا يمشي صلاة الصلاة
اول الصلاة على صلاة الصلاة ولا يمشي صلاة الصلاة ولا يمشي صلاة الصلاة
بعد الثاني في الصلاة ولا يمشي صلاة الصلاة ولا يمشي صلاة الصلاة
في الصلاة على صلاة الصلاة ولا يمشي صلاة الصلاة ولا يمشي صلاة الصلاة
بغير صلاة الصلاة ولا يمشي صلاة الصلاة ولا يمشي صلاة الصلاة ولا يمشي صلاة الصلاة
بعد الثاني في الصلاة ولا يمشي صلاة الصلاة ولا يمشي صلاة الصلاة ولا يمشي صلاة الصلاة
في الصلاة على صلاة الصلاة ولا يمشي صلاة الصلاة ولا يمشي صلاة الصلاة ولا يمشي صلاة الصلاة
بغير صلاة الصلاة ولا يمشي صلاة الصلاة ولا يمشي صلاة الصلاة ولا يمشي صلاة الصلاة

وَأَمَّا

[illegible]

ان لم يقرأها ونفسه انه فعل على صلاته لا يتعدى ما جازى الانسان وان
 تتعدت نفسه وصلاة من غيره او رياء الامانة والله وخصوصا
 ان كان مغفرا فليس بهذا المصلي على اعطائه واوقافه صلاته
 تامة ام يرد به اقراره بما كان قبل ان الصلاة لا يرد على الشك **الجواب**
 لا المرد في الظاهر والعقود هي ثلاثا او اربع او خمس في ركعة قد قيل
 انه ليس به ويجعلها نافذة بعد الصلاة واما في الغرض استيقن انه في
 التحبات الثانية وسكن في الاولى فليس عليه الرجوع الى الشك وان لم يرد به في الاولى
 في الثانية وقيل لا يرد ركعتي الثانية والقصه الزيادة ان كانت الصلاة نافذة
 وفيها اختلاف وان كان هو التحبات الاولى فنقل في علم من يراه والله اعلم
مسئلة ومنه المصلي على ان يقرأ سورة لم يقرأ بعد اذلال نفسه او امره ما
 ما كان او انصافا حال صلاته تامة ام مستغفرة **الجواب** تامة والله اعلم
مسئلة ومنه ما تقول في الصلوات ان كان غير التحات الجيدة ومثوله قسم في
 والذات ان سلم ولا يرد على سلمه في ركعتي الاخرين وانم الصلاة وحل
 سجود السجدة صلاته ام لا وكذا ان كان في صلاة **الجواب** ان صلاته
 تامة اذا ركع من غير سجدة في الركعة الاولى او في الركعة الثانية ٥٥
مسئلة ومنه قوله في ما ذكره في المصلي الذي ينقص على الصلوات ويكون
 المارقاتان المرد منه وبين سجدة لم يقرأه والى امره ان يرد به
الجواب ان كل المارقات انظروا لاداس عليه ما كان مودع بين المصلي وبين سجدة
 وان كان للرجوع فيجمع من ان يقرأ المصلي فيها ركعة ثم يقرأ ركعة
 يقطع الصلاة عليه وان كتب به خمسة ففعل في قطع الصلاة بها الخمسة
 غير ان علقه اعلم **مسئلة** ومنه في رجل صلى في مسجد وفيه من القوم
 او الفاضل في ذلك واستغفر الله عن رجله ربا بعض اللذخ معروف مجرد منه
 في شدة الانسان ثم اعجزه ان يتسرى فوق نفسه برباطه حتى

يعطى

يعطى فقيهه ام لا يجوز له ذلك **الجواب** لا بأس عليه في ذلك في هذه الشبهة اعلم
مسئلة ومنه وهل يجوز الصلوات في القبة المتغيرة فيها من الكعبة والى
 خلافه من نازك **الجواب** لا بأس بها واحب بعض اكره ذلك على العهد والله
 اعلم **مسئلة** ومنه ما تقول في المساواة في الصلاة يقرأ في ركعة ام يكتف
 ويقرأ في ركعة ام يكتم في ركعة **الجواب** يكسب وان ذكر اذ ركعة مقترنة لم يس
 في عليه بأس وان يرد به على فله بأس عليه والله اعلم **مسئلة** ومنه ولا اعطى
 يجوز وهو الصلاة ام لا وان كل عليه ان يتقوى وهو في الصلاة اي يوقل
 ام ينطق بلسانه ام لا **الجواب** في ذلك الوجه في ذلك الوجه وان لم يمتد عليه
 ولا بأس عليه والله اعلم **مسئلة** ومنه وهل قبل الفصل اذ يحضر الصلوات
 للمروضات عز اول قتها وقيل في العتاة الغيرة الى الليل
 وقيل في نصفه في ركعة بعد ما مضى تلك الليل فله ركعة الليل فله ركعة عليه
 في صلاة الاختلاف وما لا يكسب من الاقل في ذلك وهو يخرج من
 الاختلاف من كان له عذر في تأخيرها الى ركعة الليل فله ركعة من ركعة حوا
 ان يحل له قبله ما يقع عليه في صلاة او كل سائر ارجوا ان يصل الى الماء
 قبل نصف الليل لم يتم وكان تأخيرها وقد دخل وقتها كما قيل وقتها قبل ذلك
 صوف لم يبق من نومه الا بعد ما مضى الليل الاول او كل مختار تأخيرها
 الى ذلك الوقت وقد سمع بعض العارفين يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لو ان الناس على ارجلهم ما خرجوا من بيوتهم الى المسجد لكانت الصلاة
 علينا ما اقبل في قول الرسول الله صلى الله عليه وسلم والامر بتأخيرها الى
 تلك الليل خصوصاً في ولا قبله ولا بعده الى اخر تلك الليل
 الاول فمكون الصلاة في ذلك الوقت الى ان يمضي تلك الليل الاول
 فكون الصلاة بعد ذلك الوقت فان كان الامر في ذلك في المانع ان يكون
 الى نصف الليل ليس اول الشيء واخره منه **الجواب** تاويل الحديث

انما هو هذا الان تصلي في **الحل** الاول من الليل لان نحرها الى
 بعض النصف كمن يكون الصلاة الى نصف الليل فلهذا في هذا العلم
 قبل الموضع قبل الموضع وقبل الجواز في السفر حادثة لانه اوجب الى الصلوة
 واحوج الى الترخص والمريض منه المسافر والنام اوسع منهما والابومرثدا
 خيمها الى نصف الليل الاول في الاختيار المخرج من شبهة الاختلاف
 والله اعلم **مسألة** ومنه وذكر عليه حدث النبي صلى الله عليه وآله في ما ياتي من
 امور الدنيا وما يحتاج اليه فيها الى الدلالة والمباح وكما في صفة من
 لا ياء على يده على طاعة الله الا انه في بعض الاوقات يرد عليه
 بخلاف هذا وفيه من غير طاعة الله ودعا له به وبغيره من ردا
 في ذلك كل ما رآه على ذلك لم يثبت الا في الصلاة على المصطفى و
 خصوصاً في الدعاء الكبري وفي الصلاة فقطل سبب رآه على شئ من الاعمال
 يعرف في ذلك في صلاتي وفي غير ذلك **الحل** كتابنا هذا ولا
 علاج لنا الا الزهد في الدنيا والفرغ من الدارين فيكون الله اعلم
 وهذه حصة من علمها والله اعلم في بعض ما رآه في بعض النسخ
 نسأل الله المغفرة له وسائر المسلمين **مسألة** ومنه وفي بعض النسخ
 الغير من المغفون على غير الله تعالى في جميع النسخ الطارئة يكون ذلك
 منه لمن بعده الصلاة ام قد ذكرها في بعض النسخ ام كيف الوجه في
 ذلك **الحل** هو من ذلك في بعض النسخ لانه لا يبدل الدعاء الا اذا
 قد رأت الساندية على سبيل الخطاء في بعض النسخ ولا يبدل ولا
 لغز ولا يعجز على اعادة الكلمة حتى ياتي بها محكمه كمن يريه فان لم يجد
 ففي القول لانه اذا علمه في مثل هذا والله اعلم **مسألة** ومنه
 وفي الصلوة صلاة في صفة بها فافتح الكتاب على قراءة سورة
 ثم سعى في ذلك حتى لم يبق له ذكر في وقت علمها ولم صلاة

وسجد

وسجد سجدة الوهم يجوز له الوقوف هاهنا في هذا الموضع ويتم صلاته على هذا
 الصفة ام لا وكذا في بعض النسخ في ارض المسجد لم يتم فيها سجدة في وقت
 عليها لم لا يجوز في بعض النسخ في ارض المسجد لم يتم فيها سجدة في وقت
 منه **الحل** لم يقف على شيء من النسخ ولا يرد عليها وفي ذلك كذا ان
 يقف على ولم يقف ولا يتي وانما في اصلاح اللغة الباقية بحمد
 يخرج عن ظاهر النسخ الباطن الذي لا صواب له على حاله وان كان
 يصلي عليه والله اعلم **مسألة** ومنه وفي الصلوة صلاة في صفة اماما كان
 او مأموماً او منفرداً اذا شك في صلاته ويصلي على ما في من نفسه الا ان شك
 لم يربط من تلك الصلاة فاجب عندئذ مرة اخرى ولم يبي في هذا اطلاق الصلاة
 الاولى **الحل** في الصلوة اي الصلوة التي اجب اليها الله تعالى على عبد في صلاة
 في الجنبه على الغرض طاعة الله ولا رسول محمد صلى الله عليه وسلم ما تقول
 فيمن نكث هذه ما ذكرنا في بعض النسخ لغيره لغيره لغيره لغيره ان كل اماماً
 او مؤمناً لا يريه **الحل** لا يريه لغيره لغيره لغيره لغيره ان كل اماماً
 ظاهر الاحكام لم يلقه احدهم **مسألة** ومنه وان الكعبه قبلتي وان بالكعبه
 وما في غيرهما في بعض النسخ والله اعلم **الحل** ان الكعبه كسرت من ان
 لا في الواجب ويجب معها الكسرة في قعد الغزو والله اعلم **مسألة** ومنه
 وفي بعض النسخ في الواجبات النورانية والصور النورانية ذكر او دعا فقر
 ها في الصلوات المفروضة والسنن المؤكدة ونحوها ذكر انتم صلاته ام
 نفسه **الحل** اما في الفرق في الصلوات التي يعرفها ما يريه على الفاتحة
 ولا مانع من الصلوات الدعاء وغيرها ولكن كره ان يتخير في الغزوات في الدعاء
 على فيكون كالصوت المبدع في عرف القوم وان تعد ذلك في الحقد والقول في هذا
 هاهنا **الحل** ان لم يجد ذلك يجوز ان يقرأ ما دعا ولا اثم له الا ان
 يقرأ ما دعا **الحل** في سائر القرآن ولو جهر فيها يعني الدعاء لم

